المجلس الأعلى للغة العربية

اللغة العربية

مجلة نصف سنوية تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية
تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر
العدد 33
2015

مختار نويوات "القيمة والقامة والمقام"

أ. عز الدين ميهوبي

الحداثة والنحو العربي

د. عبد الناصر بوعلي (ج. تلمسان).

نظام الرواية بين سلطة البنية وبنية الأسلوب

د. سليمان بن سمعون (ج. غرداية).

النص والنص الموازي في الخطاب الشعري لمصطفى الغماري

أ. وهاب داودي (ج. قالمة).

اللغة السواحلية (امتدادها أفريقيا)

أ.د. عبد الجليل مرتاض (ج. تلمسان).

جهود الأفراد والجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربية

أ. مسعودة بن النوي (ج.الجزائر-2 بوزريعة -).

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية

العدد الثالث والثلاثون

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للّغة العربية

مجلة اللغة العربية

دورية تعنى بقضايا اللغة العربية وترقيتها
يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية.
المجلة منبر حر، وليس كل ما ينشر فيها معبرا بالضرورة عن موقف المجلس

قواعد النشر

- ✓ التقيد بالمعايير العلمية والأكاديمية المتعارف عليها:كالتوثيق..
- ✓ أن تكون الأعمال أصيلة لم يسبق نشرها من قبل.
- ✓ ترسل النصوص مرفقة بقرص مسجل باسم رئيس المجلس أو رئيس التحرير على العنوان المذكور أدناه.
- ✓ أن توضع الهوامش والمراجع في آخر المقالة.
- ✓ المقالات التي ترد إلى المجلة لا تردّ إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.

التحرير والمراسلة:

المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرنكلين روزفلت الجزائر
ص.ب . 575 ديدوش مراد – الجزائر
الهاتف: 25 /24 07 23 21 (00213)
16 /17 07 23 21 (00213)
الناسوخ:07 07 23 21 (00213)

الترقيم الدولي الموحّد للمجلاّت (ر.د.م.م) :1112. 3575
الإيداع القانوني:02 20 /7

الفهرس

كلمة رئيس التحرير

يراها حبَة وأراها قبَة - 3 -*

أ.د/ مختار نويوات (ج.عنابة)

قال صاحبي : كنت وعدتني في لقائنا السابق بأن تفيدني ما أفادك إيّاه أساتذتك كلّما جانبك الصواب فيما تكتب. وأريد أن نستعين ببعضنا البعض لنكون على بيّنة من أمرنا.

- ويلك ! للمرّة الثانية. أتستهلُّ الحديث بلحن أنت في غنى عنه ؟ بل ارتكبت خطأيْنِ، الأوّل يُغفَر لك والثّاني لا يمكن التغاضي عنه. بعض لا تدخل عليها لام التعريف في الأصيل من كلام العرب. كلٌّ وبعضٌ وغيرُ وسِوى متوغّلة في التنكير لا تُعَرَّفُ أبدا ولم ترد في القرآن وفي الشعر إلاّ منكّرة. أورد ابن منظور في اللّسان أنّ الزّجاجيّ استعمل بعضا وكلاّ بالألف واللاّم مجازا ونصّ على أنّ ذلك غير جائز، وأنّ أبا حاتم قال: " ولا تقول العرب الكلّ ولا البعض، وقد استعمله النّاس حتّى سيبويه والأخفش في كتبهما لقلّة علمهما بهذا النحو فاجتنبْ ذلك فإنّه ليس من كلام العرب". وجاء في التهذيب للأزهريّ أنّ النحويّين أجازوا الألف واللاّم في بعض وكلّ وإن أباه الأصمعيّ.

نَكِّرْ هذه الألفاظ أو عرّفْها ما عدا "سِوى" فإنّ ذلك لا يضير العربيّة. إنّما يضيرها الخلط في استعمالها والغموض في التركيب. ألا ترى أنّك لا تستطيع إعراب " نستعين ببعضنا البعض" ولا تعجز عن إعراب "يستعين بعضُنا ببعض" أو " يُعينُ بعضُنا بعضا " أو هو من إطلاق الكلّ وإرادة البعض" بالتعريف إن شئت فقد سبقك إليه سيبويه؟ فاترك ما أعياك إعرابُه لأنّ عجزك عن ذلك دليل على أنّه غير عربيّ.

- زِدني ونبّهني إلى ما يَشيع فيه الخطأ سيّما في الصّحف والدّوريّات ممّا قد يغيب عنّي.

- إنّك أنت الذي تنبّهني إليها بوقوعك فيها. يقال لا سِيّما. السيُّ المِثْلُ؛ ولا سيّما (= لا سِيَّ ما) يعنون بها " لا مثل ما هو ". وقد تحذف فيها الواو فيقال لا سيّما. أمّا لا فلا تفارقها أبدا. وكثيرا ما يستغني عنها الكتّاب المعاصرون ممّن ضعف فيهم الحسّ اللّغويّ، يقصدون التخفيف. ومنهم من يلذّ له الحذف حيث يَمتنع الحذف. يقول " كَوْنَهُ " في " لِكَوْنِهِ ". ولا يتحاشى مع ذلك الحشو والتكرار حيث يجافيان المنطق والعربيّة. يقول "اقتصر على أصدقائه فقط " و"لم يعرني إلاّ ديوان زهير فقط " غير منتبه إلى أنّ "فقط" حشو لوجود "اقتصر" قبله في الأوّل وأداة الاستثناء في الثاني، أو يُثْقِل أسلوبه بما صار " موضة " لا غَناء فيه ولا جمال. يقول " ابتداءً من... وانتهاءً إلى... مرورا ب...". كلّما قرأت قوله تعالى : " فكذّب وعصى ثمّ أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربّكم الأعلى فأخذه اللّه نكال الآخرة والأولى" (النازعات:25-21) هزّتني روعة هذه الخفّة وتذكّرت ثقل تلك "الموضة" فغشيني ما غشيني منها. ألا يرى الْكَلِفُ بهذه"الموضة"، العاملُ عليها- و" العاملون عليها " أخوف ما يخاف الناس- أنّ منْ للابتداء وإلى للغاية، لما يدعونه بالوصول، وما بينهما "للمرور به". وكثيرا ما يجمع

بين واو المعيّة وبين الفعل الدالّ على الاشتراك مثل "اجتمع أخي ورفاقَه " والصحيح " اجتمع أخي ورفاقُه ".

- كثيرا ما تُبرّرُ الاستعمال بالمنطق وليست اللّغة كلّها منطقيّة لا في صرفها ولا في نظم جملها. وممّا يشهد بذلك المؤنّث بصيغة المذكّر كالجارية العاتِق، واللّفظ الدالّ على معنيينِ مثل شرى، بمعنى باع وبمعنى اشترى، والقلبُ في قولهم " خرق الثوبُ المسمارَ".

- نعم ! لكنّها لا تستغني عن الوضوح فالمرأة الحاملُ أو الطّالق " تَرْكُ العلامة له علامةْ " كما يقول النحاة في الحرف؛ و"شَرى" في قوله تعالى " وشَرَوْهُ بثمن بَخْسٍ" (يوسف:20) لا يختلف اثنان في معنى " شرى " لأنّ السياق يوضّح معناه؛ والمعنى واضح كذلك في "خرق الثوبُ المسمارَ " عند العرب وفي " دخل السبّاط في رجلي والشّاشيّة في راسي" عند عامّتنا، و"عرضتُ الدابّة على الحوض" في العربيّة و" عْرضْني على قهوه " في عامّيّتنا. من منّا ينتبه إلى أنّ في التعبير قلبا لكثرة تعوّدنا له، ومن منّا لا يدرك معنى هذه الأمثلة الواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ؟ بل وضوحُ المعنى في مثل هذه الأمثلة هو الذي برّر به ابن السرّاج وغيره من النحاة هذا الاستعمال غير المنطقيّ الموجود في معظم اللّغات إن لم يكن فيها كلِّها.

اللّغة ممارسة يوميّة وحسّ مرهف وإدراك عميق لدلالة الألفاظ، ومتى قلّت الممارسة وضعف الحسّ والإدراك الصحيح زلّت القدم. ما أكثر ما تسمع في الإذاعة وتقرأ في الكتب المطبوعة في مشارق الأرض ومغاربها : أمعن النّظر، وناهيك عن، وكان متواجدا في تلك الحفلة،

وتعرّف على، واختلفوا حول المسألة، وهي أعظم الثّوَرات، وحسْبَ رأيه، واشْتُهِرَ، وسوف نتناول اليوم طعاما طيبا، واجلسْ أين انتهى بك

المجلسُ ، وقيّمتُ مقالته، وألْفَتَ انتباهي، والمُلْفِتُ للانتباه، ووضعت القلم فوق الطّاولة، و"البلاغة هي الإيجاز" كما قال الجاحظ، والمنسوب لِ...، ومدّوا أياديَهم إليه يلتهمونه التهاما، ومقاديرُ متساويّة، ومشكلة سهلة عاديَة، ولَمّا يجيءُ، وسبق وأنْ، ولا يُمَيَّزُ بين المحكيّ بالقول وبين المفيد للظّنّ، وبين مازال ولا زال أو بين الأسرة والعائلة ! وأولاد العبّاس وبني العبّاس. أمّا الشواهد الشعريّة في البحوث وفي الرسائل المقدّمة لنيل أعلى الشهادات ف"حَدِّثْ عن البحر ولا حرج".

" أمعن النظرَ " من الأخطاء الشائعة في الشرق الأوسط وفي المغرب العربيّ. لم يسلم من هذا اللّحن أحمد أمين نفسه، أحمد أمين صاحب " فجر الإسلام " و "ضحاه " و" ظهره ". والصحيح أنعم النظرَ. نَصَّتْ على ذلك المعجمات العربيّة كلّها. أمّا الإمعان فالمبالغة في الشيء مثل " أمعن في العصيان وأمعنت في عقابه ".

وناهيكَ ونَهْيُكَ ونَهاكَ : كفاكَ. يقالُ : يقال "فلان شاعر ناهيك من شاعر". يُقْصَدُ به : حَسْبُكَ به شاعرا لأنّه يكفيك عن طلب غيره. لا تجدها في نثر أو في شعر عربيّ إلاّ بهذا المعنى. من ذلك قول ابن الروميّ:

في كفّه قلمٌ ناهيك من قلمٍ   نُبْلا وناهيك من كَفٍّ بها اُتّشَحا

والخطأ الشائع قولهم ناهيك عن بمعنى فما بالُك بِ ! أو ما يقرب من هذه الدلالة.

ومن اللّحن الفاحش المستفحل استعمال تواجدَ بالمكان وهو مُتواجد به مكانَ وُجِدَ وموجود. تواجد: أظهر من نفسه الوجْدَ. والوجدُ الغضبُ، من وجَدَ عليه : غضِبَ أو الهيامُ الشديد، من وجَد بفلانة : هام بها حُبّا. كثيرا ما نخطئ في استعمال هذه الصيغة التي تعني في أحد معانيها الثلاثة إظهارَك ما لستَ عليه نحو : تغافلت وتجاهلت وتعاميت وتعاشيت. فمن

الأخطاء الشائعة فيها : تفانى في كذا لأنّه للمشاركة مثل "تقاتلوا حتّى تفانوا" وقد تبنّى المعجم الوسيط هذا الخطأ وكأنّه فرض نفسه لكثرة شيوعه؛ وما تمالك نفسه من البكاء أي عن البكاء، لأنّ تمالك بمعنى ملك نفسه؛ إنّما يقال:ما تمالك أنْ فعل كذا؛ وتجاهلته لأنّ تجاهلَ لازم؛ وأتساءلُ:يريدون أسأل. تساءل القوم سأل بعضُهم بعضا؛ وساهمت في كذا لأنّه بمعنى المقارعة فهو متعدّ. أمّا أسهم فلان بكذا فصحيح فصيح، فليكنْ مكان ساهم بكذا.

ومنه " مكثتُ سبع سنوات بتونس أين درست بجامع الزيتونة وتعرّفتُ على علماء كثيرين ". والصحيح " مكثتُ سبع سنوات بتونِسَ حيثُ درست بجامع الزيتونة وعرفت علماء كثيرين ". المقام لِحَيْثُ لا لأيْنَ. ولا يخطئ في مثل هذا إلاّ من قلّ حظّه من العربيّة. أمّا " تعرّف على" فلحنٌ صارخ لأنّ تعرّف متعدٍّ بنفسه، دالّ على التمهّل. يقال : تعرّف الخبرَ: طلبه حتّى عرفه، عرَفه شيئا فشيئا مثل تفهّمه وتأمّله وتبيّنه وتجرّع الدواء، وتعهّد فلانا وتنجّزه حوائجَهُ. هي أفعال تتعدّى كلّها بنفسها.

ومن الأخطاء الشائعة ما كان وليد الترجمة غير المتبصّرة وبخاصّة من اللّغة الأنجليزيّة كاختلفوا حوْل والصحيح اختلفوا في كما في قوله تعالى " ثمّ إليّ مرجعُكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون" (آل عمران : 55) وفي غيره من الذكر الحكيم؛ أو من اللّغة الفرنسيّة كلعب دورا jouer un rôle والأقرب إلى الروح العربيّة قام بدور وإن كان اللّعب لا يضرّ. وقد أعجب الأدباء واللّغويّون بطه حسين. قالوا إنّه لا يجارى في تطويع الأساليب الأجنبيّة للعربيّة حتى ليظنّ القارئ أنّها عربيّة أصيلة.

(يتبع)

مختار نويوات / القيمة والقامة والمقام*

بقلم: أ. عزالدين ميهوبي
(رئيس المجلس الأعلى للغة العربيّة)+

في البداية نسعدُ بأن يكون لقاؤنا هذا برعاية فخامة رئيس الجمهوريّة السيّد عبد العزيز بوتفليقة، ونسعد أيضا بحضور هذه النخبة من الشخصيات الفكريّة والثقافيّة والسياسيّة والإعلاميّة.. تكريمًا لقامة من قامات الجزائر المرموقة، واحتفاءً برجل كرّس حياته للعلم والمعرفة وتنشئة الأجيال على اللغة القويمة والفكر المستنير والوطنيّة الحقّة.

أيّها الحضور الكريم

إنّ إقرار الأمم المتحدة من خلال منظمة اليونيسكو ليوم عالميّ خاص باللغة العربية له دلالات واسعة، فهو اعتراف بالإسهام الكبير لهذه اللغة، وللناطقين بها، في إثراء الحضارة الإنسانيّة عبر التّاريخ، وبقدرة هذه اللغة على أن تكون حاملا مهمّا للمعرفة والفنون والآداب، فضلاً عن أنّها واحدة من اللغات الخمس المؤثّرة في العالم بحسب تصنيف الأنتروبولجي السويسري جورج فيبر، ولكون عدد متكلميها يقارب النصف مليار نسمة. وهي اليوم في مواجهة تحديات التقنيّة واللغة الرقميّة، وهو ما يقتضي وضع مخططات الرقي بها على صعيد التعليم العالي والبحث العلمي، وجعلها على تماس مع المتغيّرات الثقافيّة التي يشهدها العالم.

*** بمناسبة تكريم الدّكتور مختار نويوات في اليوم العالمي للغة العربية بالمكتبة الوطنيّة الجزائريّة 18 ديسمبر 2014م**

وفي الجزائر، يبقى تعميم العربيّة بحاجة إلى جهد أكبر، لأنّ مسألة اللغة لا يقع عبؤها على هيئة أو مؤسسة، بل هي قضيّة كلّ المجتمع كون اللغة هي المظهر الأساس للهويّة، وبالتالي فإنّ حاجتنا إلى الأمن اللغوي كبيرة جدّا، من خلال الخطاب السياسي والتشريع الضابط لمسألة اللغة، وكذا أهميّة انخراط المجتمع المدني ووسائل الإعلام ومراكز البحث المشتغلة في حقل تطوير العربيّة، وأعتقد أنّ مسؤوليّة المجلس المنتخبة حاليا كبيرة جدّا في ضرورة الانتباه إلى الانفلات الكبير الذي يشهده المحيط من اقتصار واجهات المحلات التجاريّة والمؤسسات الاقتصادية والإدارات العموميّة والخاصّة على الحرف اللاتيني واللغات الأجنبيّة، في حين يتمّ تجاهل اللغتين العربيّة والأمازيغيّة، رغم أنّ القانون واضحٌ في هذا، ولا بدّ من التدخل لإيقاف هذا الانزلاق الذي يتهدّد المظهر الأساس للهويّة الجزائريّة.

أيُّها الحضور الكريم

حين تداولنا في أمر تكريم الأستاذ الدّكتور مختار نويوات، في ذكرى اليوم العالمي للغة العربيّة، أجمع كلّ الذين شاركوا في جلسة إبداء الرأي، على أنّ تكريمه فرضٌ وواجب. فهذا الرّجل الزاهدُ في الأضواء، المستكين للهدوء، لا يجد وقتًا لغير العلم، إذ أنّه كرّس جهوده للبحث والتدريس والإشراف العلمي على الطلبة والأكاديميين، وقلنا ماذا لو بادر المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى إضافة لبنة أخرى لرصيد الأستاذ نويوات بإصدار كتاب يستفيدُ منه عموم المهتمّين بشؤون العربيّة وما ارتبط بها، والأدب وما يدور في فلكه، وسيَر الأعلام وما حوته من معلومات مفيدة، واقترحنا أن يكون عنوان الكتاب المتضمّن مقالات وافتتاحيات نُشرت في فترات متفاوتة «عن اللسان وفي البيان» وهي عصارة تعامله والتزامه الدائمين

مع المجلس، وحرصه الكبير في أن تظلّ هذه الهيئة مثابة للمنافحين عن لغة الضّاد، والمدافعين عن الهويّة الوطنيّة، والسّاعين إلى حماية المجتمع من الهجنة والرّطانة والانفلات اللساني..

والحقيقة أننا لن نغالي إذا قلنا في غير اعتداد إنّ كلّ فكرة يتضمنّها مقالٌ أو افتتاحية للأستاذ نويوات، هي عبارة عن مشروع كتاب مختزل في كلمات، فالرّجل يمتلك حسّ إنتاج «العصير» الفكري، وتركيز الرؤية في عدد قليل من الجُمل، دون أن يُشعرك بالملل، ثم إنّ الكمّ الهائل من المعلومات التي يستقيها من مصادر عديدة، ومن اجتهاد قلّ نظيره، يجعل المقال منجزًا وفق معمار هندسيّ بديع، إذ يختار لكل فكرة ما يشتهي من ألفاظ، ولا يسعى إلى تنطّع أو دوران على الذات، كمن يدور بحبل على جبل، ليقول لك «كم السّاعة الآن؟»..

كلمتي في هذا المقام الذي نكرّم فيها قامة علميّة كبيرة، ذات قيمة إنسانيّة عاليّة، أستعيرها من مقدّمة كتابه المرجع، التي تشرّفتُ بكتابتها، والذي صدر منذ أشهر قليلة بعد أن ظلّ حبيس مكتبته العامرة، وأعني به «البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المعاصرة». كتبتُ:

«حدث هذا في خريف 1975، بثانويّة الشهيد محمّد قيرواني بسطيف. وكنتُ حينها على مقاعد الدّراسة.

كنتُ شاهدًا على هذا الرّجل الذي لا يمكن لي أن أنسى له ذلك الموقف الذي حملني من عاشق للغة والشعر إلى ممارس للكتابة فيهما.. إذ كانت تلك اللحظة فارقة في حياتي، بقليل من الكلمات حرّك في نفسي شهوة الكتابة.. فكتبتُ.

..دخل يومها القسمَ بخطى وئيدة، على قسمات وجهه ذي البشرة القمحيّة ابتسامة هادئة، واختاركرسيّا في آخر القاعة. يتأمّل أستاذ مادّة اللغة العربيّة، فلا يقاطعه إذا رأى حاجة لتوضيح، ولا ينهره إلاّ إذا لاحظ انفلاتًا في المعنى، وكنّا كالحجارة، لا نبدي حركة، وكأنّنا ملائكة في تلك السّاعة.

لم يبق من زمن الدّرس سوى ربع ساعة، حين التفتنا إلى الرجل الجالس في آخر القسم، وهو يتقدّم نحو السبّورة، فيشكر الأستاذ الذي كان يتصبّبُ عرقًا، ويدعوه إلى أن يجلس مكانه، ثم كتب بيتين من الشعر بالصيغة التالية:

إذا كنتَ في حاجة مرسلاً وأنت ِبها كلفٌ مغرمُ

فأرسل حكيمًا ولا توصه وذاك الحكيم هو.....

وأبقى على الكلمة الأخيرة من شطر البيت الثاني مبهمة، وسألنا «من يعرف الكلمة فله منّي أكثر من درهم. خمسة دنانير».. وهو مبلغٌ يفي بأغراض كثيرة إذّاك. فنطقت الحجارة، وصار كلّ واحد من التلاميذ يعرض كلمة على هواه، وهو يكتفي بكلمة «خطأ» أو «غير صحيح».. ثمّ يقول بعد أن أدرك عجز التلاميذ «من يعرف الكلمة سيأخذ ضعف المبلغ»، فترتفع أصوات الملائكة عاليّا، وهو يقول «لا.. أخطأت»، بينما كنتُ أحفر في معنى البيت لأعرف سرّ الكلمة الغائبة.. وسألتُ نفسي حينها «لماذا يصرّ الرجل على أن يمنح من يعرف الكلمة كلّ هذا المبلغ..»، ورفعتُ إصبعي، فأشار إليّ بأن أجيب، فقرأتُ البيتين كاملين:

إذا كنتَ في حاجة مرسلاً وأنتَ بها كلفٌ مغرمُ

فأرسل حكيمًا ولا توصه وذاك الحكيم هو الدّرهمُ

فصفّق الرّجل، وصفّق معه من في القسم، وجاءني ضاحكًا، بعد أن أخرج من جيبه الدنانير العشرة، وهو يقول لي «أحسنت.. هذا حقّك. لكن كيف عرفتَ هذا؟» قلت له «يا أستاذ.. فهمتُ معنى البيتين وزدتُ عليهما حرصك على كلمة درهم.. ثمّ إنّني أحاول كتابة الشّعر». ربتَ على كتفي كأبٍ مفعم بالمحبّة، وقال لي «واصل ولا تتوقف.. فأمامكَ عمرٌ من الشعر إنْ كتبت.. ومن الدّراهم إن تعبتْ». وأطلق ضحكة إعجاب أمام دهشة زملائي الذين اقتسموا معي تلك الدنانير وكأنّ لسان حالهم يقول «بعد أن أتعبْنَا نحنُ معجم اللغة أجهزتَ أنتَ على ما تبقّى منها»..ولم أنم ليلتي تلك، لأنّ الرّجل ألقى في نفسي نبوءة نابعة من حُذاق وفطنة.

لم يكن ذلك الرجل سوى الأستاذ الدكتور مختار نويوات، وكان حينها مفتّشا لمادة الأدب واللغة العربية. ولم يحدث أن قابلته قبل ذلك الوقت.

ومرّت أسابيع على واقعة الدّرهم ليأخذني والدي إلى بيت الشيخ موسى نويوات الأحمدي، هذا العالم الموسوعي، وليلتها لم يُغمض لي جفن، ولم أصدّق أنّني أجالسُ صاحب «المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي»، وهو يدعوني لأن أقرأ شيئا ممّا كتبت من شعر، فغلبني الحياء، واستحضرتُ بعض النصوص التي كتبتها خفيَة عن أعين الأهل والأصحاب، ثمّ سألني «لماذا اخترت هذا البحر وهذه التفعيلة؟ وكيف تصرّفت مع هذا الزّحاف؟..» وأنا لا أملك ردّا سوى «لا أعرف.. لأنّني أكتبُ بأذني. لا أعرف البحور ولا مكوّناتها..» فيطبع قبلة على جبيني ويقول لي «لك من اسمك نصيب.. العزّ والموهبة». وحين أخبرته بما جرى مع ابنه الأكبر مختار، راح يكلّمني عنه وعن علاقته بالأدب واللغة وحبّه للتراث، ثمّ عرّج نحو ابنه الآخر الديبلوماسي والمستشار سعد الدّين الذي يملك مهارات غير مسبوقة في التعاطي مع اللغة وقرض الشعر.. وهو ما وقفتُ عليه بعد سنوات من العشرة الصّادقة والألفة الطيّبة..

قابلتُه طفلاً يافعًا قبل أربعين عامًا، لأجده واحدًا من أعمدة المجلس الأعلى للغة العربيّة وخبرائه، مشرفًا على مجلّة «اللغة العربيّة» ومُساهمًا فيها بمقالات عميقة المعنى والمبنى.

إنّ هذا الرجل العالِم المعلّم، الدّارس المدرّس، الخادم أمّته في صمت، الواقفُ في جبهة المعرفة، متأبطًا محفظته العامرة، آخذًا بأيدي عشرات الباحثين في شؤون الأدب واللغة والتراث.. لا يتعب وإن امتدّ به العمر، ولا يعتدّ بعلمه فدأبه التواضع. لا يسعى إلى رفعة وهو المكتنز علمًا ودراية، ولا يستجدي موقعًا لن يشكّل قيمة مضافة في مسيرته باحثًا أكاديميّا من طينة الكبار.. يكبر في عيون طلبته، وأصدقائه، وكلّ من قاسمه لحظة فكر أو معرفة.

يقول مختار نويوات «لست من الذين يتنكرون لأساتذتهم ولا يذكرون إلا عيوبهم فلهم علي فضل كبير، ولست ممن لا يعجب بالأدب العربي قديمه وحديثه بل أفضّله على كل أدب.. إنما أهيب بالمسئولين عن العملية التربوية أن يهتموا بالأولويات ويبسطوا التعليم ويتدرجوا من السهل إلى الصعب، وأن يجعلوا اللغة ممارسة لا حشو أدمغة بما لا غناء فيه، كما أهيب بالصحفيين أن لا يجعلوا اللغة النيرة تابعة لشعب يزري بها وبنفسه..».

ويقول في مسألة اللغة «اكتساب اللغة لا ينحصر في تبسيط النحو وتطويره بل يتجاوز إلى اختيار المادّة اللغوية المناسبة لعصرها، المحرّرة للألسنة، الكفيلة بجعل المواطن يعرب بلغته عمّا في ضميره، وذلك معنى الإعراب في الأصل. فإذا كنّا نتقلّب في مناخ حضاريّ جلّ عناصره أجنبيّة ونسمّيها بمسمّياتها التي فرضتها علينا متطلّبات الحياة والعولمة ببعض

نتائجها فإنّ لساننا يبقى حبيسا ولغتنا لا تتخلّص من الهجنة. الطريق أمامنا طويل لكنّ بلوغ الهدف غير بعيد إن تضافرت الجهود».

هو هكذا مختار نويوات، الكبير الذي اختار الصمت، الهادئ الذي تجنّب الضجيج، الطيّب الذي يختزل قيّمَ الجزائري الأصيلة. وهي هكذا شجرة عائلة نويوات المباركة باللغة والإيمان والوطنيّة. لايمكن لي أن أقول في الختام سوى، أمدّ الله في عمرك ونفع الأمة بعلمك.. ولتبق دائمًا قدوة للرجال العاملين بإخلاص.

كلمة الأستاذ الدكتور مختار نويوات *

أصحاب المعالي/ أصحاب السعادة / زملائي الأفاضل / سيّداتي سادتي /

لا أدري ما أقول بهذه المناسبة، وبعد هذه اللفتة الطّيّبة التي شرّفتموني بها، ولا كيف أعبّر لكم عمّا يغمرني من شعور يَجمعُ بين الامتنان والشكر والخوف ؛ من أن أكون عاجزا عن أوفّيكم حقّكم لما لكم عليّ من دَين ، وما للمجلس الأعلى للّغة العربيّة عليّ من فضل.

لا أكتمكم أنّني حين استدعاني أحد مستشاري رئاسة الجمهوريّة إلى مقرّ الرّئاسة، وعرض عليّ أن أكون عضوا في هذا المجلس الموقّر؛ وشرح لي مهامّه والغاية من إنشائه ، وأنّ المنتظر منه خدمةُ اللّغة العربيّة والتّمكين لها والرّفع من مستواها. أجبته على الفور بالقبول ، وصارحته بأنّه عُرضت عليّ منذ الاستقلال مناصبُ عديدة؛ سياسيّة إداريّة أو إداريّة سياسيّة فرفضتها، لأنني لم آنس من نفسي لا القدرة عليها ولا الميل إليها. أمّا هذه المهمّة فأنا مرتاح إليها، راجٍ أن أكون قادرا على أداء ما ينتظر منّي فيها. والظّاهر أنّه ارتاح إلى كلامي فرواه للأخ عبد الملك مرتاض.

هكذا وجدت نفسي بين إخوان كرام فاضلين في مجلس لم يعرف عنه إلاّ خدمة اللّغة العربيّة بكلّ ما أوتي من وسائل، هي في الحقيقة

*** بمناسبة تكريم الدكتور مختار نويوات في اليوم العالمي للغة العربية بالمكتبة الوطنية 18 ديسمبر 2014**

قليلة بالنّسبة إلى إنجازاته الكثيرة في فترة جدّ قصيرة، وبإطاراته البشريّة المحدودة للأسباب التي نعرفها. لكنّها إطارات آمنت بالمبدإ وأخلصت لعملها، إطاراتٌ أشرفَ ويشرف عليها ثلاثة من خيرة الرّجال عُرفوا بكفاءتهم العالية ومكانتهم العلميّة المرموقة وبغيرتهم على العربيّة وخدمتهم لها بعزيمة صادقة.

وأنا مدين بالكثير لهذه المؤسّسة الثّقافيّة العلميّة التي لم تفتأ منذ إنشائها تُمَكّن للغة العربيّة ،وتهيّئ الأسباب لتعميم استعمالها في الوطن وعلى جميع الأصعدة والمستويات: في الإدارة العامّة وغيرها من الإدارات، وفي مؤسّسات التربية والتعليم ،وفي الجامعات وفي شتّى التّخصّصات والاهتمامات حتّى التّكنولوجيّة منها. تُمكّن لها بما نشرت وتنشر من معاجم إداريّة واقتصاديّة وعلميّة دقيقة وافية وبدلائلها الوظيفيّة المتنوّعة، وبما نظّمت من ملتقيات دُوليّة ووطنيّة لمعالجة قضايا مهمّة اجتماعيّة وعلميّة وتربويّة ، وبما نشرت من أعمال هذه الملتقيات. وبدوريّتيْها «مجلّة اللّغة العربيّة» «ومعالم»، وبإنشاء مسابقة «جائزة اللّغة العربيّة» ؛ وبإحياء التّراث الجزائريّ، وبتشجيع المواهب بطبع ما تُنتج، وإحياء ذكرى بعض المفكّرين البارزين من أعلام الجزائر وغيرِ ذلك ممّا يخوّل هذه المؤسّسة الثقافيّة مكانة مرموقة داخل الوطن وخارجه.

هذا وألتفت بوجه خاصّ إلى فضيلة الأستاذ عزّ الدّين ميهوبيّ رئيس المجلس الأعلى للّغة العربيّة والشّاعر الأديب متوجّها إليه بالشّكر الخالص، على هذه اللّفتة الطيّبة التي تربكني، وعلى تنظيمه هذا الحفل الذي ما كان ليقام لولا طيبة فيه؛ وفي أعضاء المجلس الموقّر؛ وطلبتي ومعشرِ الحاضرين ممّن لهم علاقة حميميّة بي. وقد عرفت الأستاذَ أوّلَ ما عرفته عند والدي ببرج بو عريريج صغيرا. وجدته مرارا بالمنزل ينشده

ما نظم من شعر، فكان والدي يشجّعه وكنت معجبا به مدركا لموهبته متفرّسا فيه مستقبلا زاهرا. ولقد صدق حدسي فيه والحمد للّه.

أمّا هذا التّكريم الذي أعتزّ به، فلست جديرا به بقدر ما هو جدير به والدي رحمه اللّه ، وأنا أهديه إلى روحه. لولاه لما كنت أمامكم في هذا الموقف الذي يشرّفني. هو الذي ربّاني صغيرا ونشّأني على حبّ العربيّة. وهو الذي رعاني في دراستي: بفضله حفظت القرآن وكثيرا من نماذج الشّعر والنّثر، فلم أجد صعوبة في اكتساب اللّغة والاستئناس بقواعدها وإن كنت حفظت بعض ما نسمّيه بمتونها. واللّغة تُدرَك بالممارسة كالرّياضة والسباحة والرّقن على الآلة، بالتدرّب على نصوصها أكثر ممّا تدرك بحفظ قواعدها. الذّاكرة تخون والطّبع سجيّة راسخة لا هي تخون صاحبها ولا هو قادر على التّنكّر لها.

وبما أنّ اليوم يومُ اللّغة ألتمس منكم العذر للتّعبير عن بعض ما يشغل بالنا نحن الجزائريّين من قضايا خاصّة باللّغة العربيّة أساس التعليم في مراحل الأساسيّ والثّانويّ والعالي.

اللغة ليست وسيلة للثّقافة. هي مادّة الثّقافة نفسها. هي المظهر الحيّ للفكر وهي المكوّن للإنسان. وليس للإنسان من وسيلة أسهلَ وأثرى وأقربَ إلى الطّبيعة من الاتّصال بالبشريّة بأبعادها التّاريخيّة والجغرافيّة والثقافيّة إلاّ لغتُه التي هي أقرب إليه وألصق بروحه وكيانه وعواطفه. في هذا الحقل تتجذّرُ أشكال التفكير حسّيّا كان أم مجرّدا.

لذلك كان تدريس اللّغة مركز الدّائرة وقطب الرّحى في عمليّة التعليم. تعليم اللّغة يتحكّم في حذق غيرها من الفنون والعلوم لأنّها آلتُه. واللّغة غذاء سائر الموادّ، وسائرُ الموادّ يغذّي تعلّمَ اللّغة وتعليمَها لأنّ المجال

اللّغويّ مجال واسع ، ولئنّ أبعادَه تتجاوز الحدود الضّيّقة للّغة كلغة. ونقصد باللّغة اللّغة المْرِنة المْتكيّفة مع مراحل النموّ الحضاريّ ومع اختلاف البيئات ومتطلّبات الحياة البشريّة، في سيرها عبر العصور لغةَ العلوم الإنسانيّة والعلومِ الدّقيقة والتّكنولوجيا كائنا ما كانت، اللّغةَ التي ما ولَجْتَ بها ميدانا إلاّ أسعفتكَ والتي لا تفقد أصالتها في تطوّرها، اللّغةَ المْجيدة للتّمثّل كالأسد يقتات بالبقر والظباء وحُمُرِ الزّرد، ولا يتحوّل إلى مجموع ما أكل بل يبقى أسدا. وهذا هو التّمثّل.

اللّغاتُ كالحضارات أخذٌ وعطاءٌ. وقد استمدّت اللّغة العربيّة الكثير من الحضارات القديمة ، وأمدّت بالكثير النّهضة الغربيّة حتّى كان لا يتصوّر أن يَتعاطى الطّبَّ من جهل لغة ابن سينا، وهذا قول مؤرّخيهم لا قولي. فهل نحن متهيّئون للأخذ منهم كما أخذوا منّا ؟ وهل أعددنا العدّة لذلك من إجادة للغتنا ومعرفة للّغات النّاقلة للعلوم ومن عملٍ دؤوب لأخذ ما لا يعطى. والحضارة وأسبابُها كالحقوق تُؤخَذُ ولا تعطى. أم نريد أن نتقدّم بلغة غيرنا ؟ والمثل الشعبيّ عندنا يقول : « المكسوّ بشيء النّاس عريان». فإن كان لا بدّ من استعارة ثوب فلمدّة قصيرة ثمّ تعود المْياه إلى مجاريها.

لغةُ الإنسان أنجع وسيلة لتكوينه ؛ لأنّها تخاطب فيه العقل والرّوح معا، وتصله بالماضي وبالحاضر وتعرّفه بخلجات الضّمير وأرقّ المشاعر. تصله بكيانه وتقرّب منه نفسَه وغيرَه. فعلينا أن نولي لغتنا كلّ عنايتنا، فهي الضّامن الوحيد لوجودنا، وهي التي تكفل لنا لباسا أقلُّ ما يقال فيه أنّه لباس العزّ والكرامة.

هل أدّينا واجبنا نحو لغتنا في إطار منظومتنا التربويّة وفي التعليم العالي. نعم قمنا بالكثير ممّا علينا وما زال الكثير في انتظارنا. نقلنا معدّل

التمدرس من 2 % سنة 1889 إلى 98 % في المدن و84 % في الأرياف سنة 2014، وجعلنا التعليم ديموقراطيّا إلزاميّا سواءٌ فيه الذّكر والأنثى وشرعنا في التّفتّح على العالم، وعلى النّموّ والرّقيّ التّقنيّ والاجتماعيّ الخلقيّ.

فعددُ مؤسّساتنا في التّعليم العالي يناهز اليومَ المئةَ (100) وعددُ جامعاتنا يبلغ الأربع والثّمانين (84) بعشرات الآلاف من الأساتذة ومئات الآلاف من الطّلبة. وهذا دليل على ما حقّقنا من رقيّ. لكنّ الرقيّ لا يكتفي بالكمّ. لا يكون التعليم الصّحيح إلاّ حركة دائبة ونوعا رفيعا وتقدّما متواصلا.

وعرّبنا التعليم في المرحلتين الأساسيّة والثّانويّة، وفي بعض فروع التعليم العالي. فهل نجح التّعريب في بلادنا على مستوى الشّعب وفي المدرسة ؟ - نعم ولا.

- نعم! لأنّه لم يبق في الشّعب، وفي أغلب الأحيان، من لا يفهم نشرة الأخبار في مجملها. وعلى مستوى الأطفال تحسّنت لغة الخطاب. وفي الأوساط الإداريّة والسّياسيّة عوّضت العربيّةُ الفرنسيّة إلاّ نادرا وإن بقيتْ هجينة في بعض الأحيان.

فقد عُرِفَ عنّا نحن الجزائريّين أنّنا نمزج في حديثنا لغة الأمّ بالفرنسيّة؛ لاسيّما فيما يتعلّق بألفاظ الحضارة محسوسها ومعنويّها: كلمةٌ عربيّة أو أمازيغيّة وأخرى أجنبيّة ممّا لا يفهمه من لا يعرف إلاّ العربيّة أو الأمازيغيّة أو الفرنسيّة، وممّا يَشين الحديث ويُخلّ بالسمعة وبالمروءة. يضاف إلى ذلك افتقارنا إلى لغة تلبّي حاجات العصر وتغني عن اللّجوء إلى اللّفظ الأجنبيّ.

لا ندّعي أنّ العربيّة فقيرةٌ ليس فيها ما يعادل هذه المصطلحات التّقنيّة والعلميّة الأجنبيّة، فإنّ المجامع اللّغويّة والعلميّة في العالم العربيّ وفّرت الكثير الكثير منها وما على البرامج التّعليميّة إلاّ توظيفُها في موادّ تعليمها وما على المؤسّسات إلاّ تطبيقُها. وها هو ذا المجلس الأعلى للّغة العربيّة بجانبنا وبالعاصمة يكاد يُصدر كلّ سنة معجما من المعاجم المتخصّصة على اختلافها، فهل حُمدت له هذه الجهود باستغلال هذه المعاجم ؟ أم هي جهود حُكم عليها أن تضيع في بلاد هي أحوج ما تكون إليها ؟

ولم ننجح كلّ النّجاح ؛ لأن نظامنا التربويّ التعليميّ ما زال متأثّرا بما عانينا في الظّروف الصّعبة التي أعقبت الاستقلال مباشرة وهو شيء طبيعيّ. ولئن كانت الجهود التي بذلها الجيلان المعاصران لها بالغةً، فإنّنا لَمّا نحقّقْ ما كنّا نرمي إليه من أهداف في مختلف الميادين، وبخاصّة فيما يتعلّق بلغتنا وباللّغات الأجنبيّة.

قلنا إنّ الحضارة أخذٌ وعطاءٌ وباللّغة يكون الأخذ وبها يكون العطاء. فمن لم يَملِك لغة لم يملك أسباب التقدّم في زمن من لم يتقدّم فيه تأخّر. وما زلنا لا نتحكّم لا في لغتنا ولا في اللّغات الأجنبيّة ، وما زلنا عاجزين عن الأخذ بأسباب الحياة.

هي اللّغة العربيّة لغتُنا، إن رعيناها رعتنا ،وإن أوينا إليها آوتنا، وإن طورناها طورتنا، وهم آباؤنا غرسوا فأكلنا وهم أبناؤنا وفلذات أكبادنا نغرس فيأكلون.

وسلام اللّه عليك أيّها الحفل الكريم.

الحداثة والنحو العربي

د/ عبد الناصر بوعلي (ج تلمسان)

1 - مقدمة:

قبل الوصول إلى الحديث عن الحداثة والنحو العربي التي أملتها عليَ طبيعة المقالة أود أن أشير إلى أن التراث النحوي هو ذلك الإرث اللّغوي الذي وصلنا عن الأولين، والتراث والميراث كلمتان لا تفرق بينهما المعاجم تفريقا متميزا والمقصود من معناهما ما خلفه السلف من آثار علمية وأدبية نفيسة، ويأتي النحو في مقدمة هذه الآثار، فقد اِهتم العلماء العرب باللّغة العربية اِهتمامًا بالغًا، وإجتهدوا في خدمتها اِجتهادا لا نظير له، فبذلوا جهدا في التقعيد لتراكيبها وأحوالها، فكان نتاج مجهوداتهم تراثا لغويا كبيرا ومتنوعا، قلما نجده عند أمة أخرى وازداد هذا الاِهتمام في عصرنا الحالي بفعل عملية إعادة قراءة هذا التراث قراءة معاصرة، فبرزت حركة لغوية قادها جيل من رواد علم اللّغة الحديث درسوا وإحتكوا بالمدارس الغربية، وقدّموا محاولات تهدف إلى الإحياء والتجديد والإصلاح والتيسير، وقد نتج عن هذه الرؤى وهذه القراءات المختلفة التي سادت البحث اللّغوي العربي في بداياته اثر في انقسام الدارسين العرب الى فريقين:

* فريق أول تشبث بالتراث وتأثر بالفكر اللّغوي العربي القديم، وإعتبر أن ما أتى به الأجداد تاما وكاملا لا يقبل النقد وليس له بديل وأن الخير كل الخير في القديم، وهذا التراث هو ما جاء في القرون الأربعة الهجرية الأولى

فقط، حيث بلغ الفكر اللّغوي قمّته، وقد أضاء هذا التراث الحضارة العربية الإسلامية، ومنه اِستمدت اللّغة العربية مجدها وقوتها. ورفض أنصار هذا الفريق دعوات التجديد.

* وفريق آخر حكم على هذا التراث بالعقم والجمود وعدم صلاحيته لعصرنا، وأن كل رجوع إليه من أجل الاستفادة منه وتطبيقه في حياتنا هو ضرب من الجنون، فلا بد من قطع الصلة به، والتوجه نحو إبداع جديد وإجتهاد معاصر مثمر في ظل الأفكار الجديدة، يرى أنصار هذا الفريق أن للقدامى لغتهم ووضعهم الخاص و أن للمعاصرين حياتهم و لغتهم التي تختلف عن القديم.

* وبمقابل هذين الفريقين نشأت طائفة ثالثة تحت شعار: الأصالة والمعاصرة، ترى أن التراث غني ومفيد جدا، ولكن ليس في جميع جوانبه وبالتالي فهو يحتاج إلى نظرة فاحصة وقراءة معاصرة بهدف تبيان نقاط القوة التي ينبغي أن تتبع وتشجع، ونقاط الضعف التي ينبغي أن تتجنب وأن كل تجديد لهذا التراث إنما هو بعث للطاقات الجديدة، وتعترف هذه الطائفة بأن التراث غني ولا تنجح اِنطلاقة الأمة العلمية إلا بالاِعتماد عليه. فالتراث يمثل الماضي والحاضر.

2 - تقويم التراث النحوي:

يمثل النحو العربي التراث اللّغوي الأعز للأمة وعليه قام عمود اللّغة العربية، فقد نشأ بفعل عوامل متعددة تصدّرها عامل اللّحن الذي تفشى في الألسن بسبب توسع الرقعة الجغرافية العربية، نتيجة المدّ الإسلامي شرقا وغربا، وإنضمام العنصر العجمي غير الناطق بالعربية إلى الحضارة العربية الإسلامية، وإختلاطهم بالعرب، الأمر الذي أدى إلى

فساد السليقة وبروز متاعب لغوية في فهم القرآن الكريم، وقراءته وتذوق معانيه، فكان لزاما أن تفرز الأمة من يتصدى لهذا الانحراف الذي وسمه الرسول صلى الله عليه وسلم ذات مرة بالضلالة. وقد كان لأبي الأسود الدؤلي(ت69 هـ) فضل السبق في التصدي لهذا الفساد الذي داخل أسرته فقد نطقت ابنته التعجب في قالب السؤال، فلما أجابها أبوها اِستغربت الجواب فصحح لها الوضع مركزا على العلامة الاعرابية.[1]

يكاد المؤرخون يجمعون على أن مصطلح النحو هو لأبي الأسود بإشارة من الإمام علي كرم الله وجهه الذي أضاف على مقترح أبي الأسود أبوابا قائلا له: أنح هذا النحو.

وتوالت الجهود وتعددت إلى عصر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت179هـ) الذي حدد محاور النحو العربي وأقام عموده بالبصرة، وجلس للتدريس، فكان أن نبغ من تلامذته سيبويه(ت181هـ) فحمل من بعده راية النحو وتزعم مدرسة البصرة وألّف الكتاب الذي لقب بقرآن النحو، وطلبه الناس في أصقاع الأرض.

ومع الكتاب وبالكتاب تبدأ قصة النحو العربي الحقيقية فقد اِتخذ سيبويه كلام العرب مدونة وقام باستنباط قواعد اللّغة العربية مدعما كل قاعدة بشواهد من كلام العرب، وكان الهدف من وراء هذا الاجتهاد هو الحفاظ على اللّغة العربية والارتقاء بالفصحى من أجل فهم القرآن الكريم والنتاج الفكري والأدبي العربي، وقد كان سيبويه صاحب فكر رياضي يمعن العقل ويعتمد على التحليل والقياس في قضايا الاستنباط لذلك يمكن القول إن النحو العربي نشأ في مناخ عقلي عام اِستمد منه أصول منهجه.

3 - المحطات المضيئة في النحو العربي القديم:

إن الدارس لتاريخ النحو العربي ولمضمونه ومنهجه حين يستعرض مؤلفاته وكتبه وما بلغته من التعدد والتنوع ويحلل ما أثرعن الكتاب ينتهي إلى إدراك حقائق إيجابية تعد مفخرة للحضارة العربية الإسلامية يمكن أن نجملها فيما يأتي:

أ - إن النحو العربي، عربي المنبت درسًا ومنهجًا، ويعد العمود الأساس والمظهر المضيء في الحضارة العربية، وإن ما يقال بأن النحو العربي وليد اجتهادات غيرية هو إجحاف في حق العلماء العرب فلا يمكن أن ننفي التلاقح الحضاري والتبادل المنهجي، ولكن الدارس لنصوص كتاب سيبويه ولمراحل نشأة النحو العربي وتطوره، لا تقدم له دراسته شيئا ماديا مؤكدًا عن اِتصال النحاة الأوائل بنحاة الأمم المجاورة، فالخليل أخذ نصف علمه من البوادي وإستنبط علل النحو من عندياته، ولم يسبقه أحد، أليس هو القائل: « فإن سنحت لغيري علة لما عللته من النحو هي أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها»[3].

وقد قال إبراهيم السامرائي: «نحن لا ننكر أن يكون اتصال العرب بالفكر اليوناني وهذا الاتصال قد بدا أثره في شيء يسير من علم الكلام وفي كثير مما صنّفه المسلمون في الفلسفة الإسلامية، غير أن التراث اللغوي النحوي كان بمنأى عن كل هذا».[4]

ب - إن النحو العربي مدَّ الأمة بقوة معنوية كبيرة وثقة عالية في النفس وحفظ اللّغة من الضياع والاندثار، وقد أعطى دفعًا للدراسات الفقهية والفلسفية والتاريخية، ومكن العربية من اِستيعاب علوم الأمم الأخرى عن طريق الترجمة والنقل، ونقل العربية الفصحى إلى الشعوب

غير الناطقة بالعربية، وأوصلها إلى الأجيال اللاحقة وقد حدد ابن جني ذلك بقوله: « النحو اِنتحاء سمت كلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية والجمع، والتحقير، والتكسير، والإضافة، والنسب، والتركيب وفي ذلك ليلحق من ليس من أهل اللّغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم، وإن شذّ بعضهم عنها ردَّ به إليها»[5].

ت - اِعتمد العمل النحوي العربي على منهج خاص في جمع اللّغة، ورغم أن هذا الجمع كان مقيداً بحدود خاصة، لكنه في حدوده هذه كان اِتصالا مباشرًا بالاِستعمال اللّغوي وكتب تراجم النحاة تذكر رحلات هؤلاء إلى البوادي لجمع اللغة وتبرز حرصهم في تحري الفصاحة، والجميع يذكر«أن الكسائي خرج إلى الصحراء وأنفذَ خمس عشرة قنّينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه»[6].

4 - النقائص المشخّصة في النحو العربي القديم:

مما يؤاخذ به النحو العربي من نقائص توقف عندها الدارسون المحدثون نذكر:

1 - يرى العديد من الباحثين أن النحو العربي لم يقعد للعربية التي كان يتحدَّثها حاملوها والسائدة بينهم، وإنّما قعَّد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين، كان أصحابها يتوخون فهم النص القرآني الكريم.

2 - حصر النحو العربي اللّغة التي قعّد لها في بيئة وزمان محددين فهو لم يسمح بالتقعيد إلا على اللّغة المستعملة في الحجاز وتهامة ونجد، ومن قبائل مخصوصة (قيس – تميم – أسد – هذيل – بعض كنانة – بعض الطائيين) وهمشت لغة الحضر ولغة عرب التخوم وتم تحديد عصر الاستشهاد بآخر عصر بني أمية ولم يؤخذ من لغة العصر العباسي،

ومعنى ذلك أن هذا النحو لم يكن شاملا ولم يمس لغة العرب كلها، ولعل هذا ما جعل الوصفيين يرون «أن هذا الأصل من أصول النحو العربي لا يمثل العربية بكاملها، وإنما يمثل جانبًا واحدًا منها فهو لا يصور إلا هذه العربية التي حددوها مكانا وزمانًا»[7].

3 - لم يُعرّف النحو القديم حدود الوظائف النحوية، فكتاب سيبويه يكاد يخلو من التعريف على وجه العموم، فهو لم يعرف الفاعل ولا المفعول به، ولا التمييز، ولا البدل، ولا الحال، ويكتفي غالبًا بذكر الباب كقوله: هذا باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله، ثم يذهب مباشرة إلى تقديم الأمثلة فيقول: وذلك قولك ضرب عبد الله زيدًا فعبد الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذهب[8].

4 - يرى البعض أن النحو العربي تأثر بالمنطق الأرسطي، وقد صار هذا التأثر طاغيا في القرون المتأخرة، وأدّى ذلك إلى أن يكون النحو العربي صوريًا، وليس واقعيًا ومن ثم اهتم بالتعليل والتقدير والتأويل، ولم يركز درسه على الاستعمال اللّغوي كما هو[9]، ونشير هنا بأن المستشرق الإنجليزي كارتر رفض أن يكون النحو العربي قد تأثر بالنحو اليوناني مشيرًا إلى أقسام الكلمة لدى سيبويه في حين كان للنحو اليوناني ثمانية أقسام[10].

5 - إن النحو العربي القديم لم يميز حدودًا واضحة لمستويات التحليل اللّغوي، وإنّما اِختلطت فيه هذه المستويات فقد جمعت الكتب القديمة المستويات الصوتية والصرفية إلى النحوية.

6 -قيّم النحو العربي القديم اللّغة على أساس معياري جمالي فهذا اِستعمال عالٍ وذاك متوسط والآخر قبيح، ثمّ إنّه حكم على بعض الاِستعمالات المحدودة بالشّاذ الذي يعرف ولا يقاس عليه.

7 - اِهتم النحو العربي القديم بمعرفة العلَّة، والسؤال الذي اِنشغل به النحاة دائمًا هو: لماذا كان هذا هكذا؟ ولماذا لم يكن غير ذلك؟.

8 - دعوات التجديد والتيسير المعاصرة:

يستعمل المختصون في قضايا النحو العربي الحديث مصطلحات متعددة بغية عصرنته مثل الإحياء، والتجديد، والانبعاث، والتيسير، وإن هذه المصطلحات تحمل في عمقها متضادات. فالإحياء يقابل الموت والنحو العربي لم يمت، ويقابل التجديد البلي والنحو العربي لم يبل حتى يجدد، ويقابل التيسير الصعوبة فالنحو لم يكن صعبًا حتى ييسر، وإنما النحو يحتاج في نظرنا إلى النهوض به تحت مفهوم التحديث؛ فالحداثة مست مجالات عديدة من مناحي الحياة ومست العديد من العلوم والمفاهيم، وبقي النحو في برجه العالي تهابه العقول وتتخطاه الأقلام، وهذا بسبب عمقه وتعدد تصانيفه، وقد غفل عنه أبناؤه حتى بدأ المستشرقون في تحقيقه وأخرجوه من دَياجير الظلمة، فظهرت بوادر الإحياء والتيسير على يد مجموعة من العلماء الكبار في أربعينيات القرن الماضي بالمشرق العربي، من بينها ماقام به شوقي ضيف بما أسداه من آراء في تجديد النحو العربي، ودعوات إبراهيم مصطفى الذي دعا إلى ضرورة إعادة النظر في بعض المواضيع بصياغة جديدة فيقول: «أطمع أن أغير منهج البحث النحوي للغة العربية، وأن أرفع عن المتعلمين إصر هذا النحو وأبدلهم منه أصولا سهلة يسيرة تقربهم من العربية»، ومجهودات الأستاذ على الجارم في محاولاته تقديم النحو العربي في كتب ميسرة تحت عنوان "النحو الواضح"[11].

وأما الأستاذ محمد صاري فقد حصر قضية التيسير في الطريقة التي يعرض بها النحو على المتعلمين، فلغتنا العربية غير مخدومة تربويًا وطرائق

تدريسها متخلفة جدًا [12]، ويواصل الأستاذ صاري موضحا معنى التيسير قائلاً: « إن التيسير لا يعني اِستبدال مصطلح مبهم بآخر جلي وواضح، أو بتعويض تعريف معقد بآخر سهل مبسط أو بإعداد مقررات مختصرة عوضًا عن المقررات الطويلة المكثفة، أو بحذف أجزاء من النحو والإبقاء على أجزاء أخرى وإنما التيسير هو انتقاء علمي للمادة النحوية وعرض جديد لموضوعات النحو»[13].

9 - علاقة النحو العربي باللّسانيات:

المقصود بالنحو العربي نظام اللّغة العربية، فقولنا النحو العربي أو النحو الفرنسي أو النحو العبري فالمراد هو الجانب العلمي الذي يدرس النظام الداخلي لهاته اللّغة أو تلك، ونقطة الالتقاء بين النحو بهذا المفهوم واللّسان هو مستوى النظام، ومن ثمّ فاللّسانيات يمكن أن تسهم في تطوير قضايا النحو وتحديثها.

وإن النظر إلى اللّسانيات على أنها علم غريب على اللّغة العربية وأنها ترتبط أساسا بالمفاهيم الغربية ينم عن نظرة خاطئة وجهل لدى المتلقي العربي.

إن اللّسانيات علم إنساني وهي ملك للحضارة الإنسانية ولا يهم إن كانت قد ولدت ونشأت في الثقافة الغربية شأنها شأن الفلسفة التي اِنطلقت من اليونان، وحاولت بعض المفاهيم الدينية مقاومتها في العصور الغابرة، "إن اللّسانيات نظرية غربية ولكن منطلقها الفلسفي وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب، وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والهوية والعرق"[14].

وهنا بات من الواجب التساؤل هل يمكن الاستفادة مما أفرزته الدراسات اللّسانية من أجل تطوير النحو العربي وتحديثه؟ وهل

طبيعة اللّغة العربية تتعارض ومبادئ اللّسانيات؟ العديدمن الدارسين ينطلقون من معتقد مفاده أن أي انفتاح على الدرس اللّساني المعاصر لا يفيد النحو العربي في شيء، وأن النحو العربي نضج حتى اِحترق كما يقال.

وإن مكانة اللّغة العربية في الثقافة الإسلامية عالية جدا فهي تستمد قوتها من اِعتبارات دينية وقومية وحضارية، إلا أن هذا التقديس مبالغ فيه، فالعربية لغة كسائر اللّغات البشرية تشترك معها في العديد من الخواص وتنفرد ببعض المميزات التي تجعلها تختلف كما تختلف كل لغة عن الأخرى، «إن التعارض القائم بين مبادئ النحوومبادئ اللّسانيات ناتج عن الخلط بين المفاهيم التراثية والمفاهيم اللّسانية، والواقع أن النحو واللّسانيات ليسا ضدين بالمعنى المبدئي للتضاد، كيف والنحو نفسه منذ القديم مفهوم مزدوج إذ هو يعني في نفس الوقت جملة النواميس الخفية المحركة للظاهرة اللّغوية كما يعني عملية تفسير الإنسان لنظام اللّغة بمعطيات المنطق من العلل والأسباب والقرائن»[15].

10 - فوائد اللّسانيات للنحو العربي:

تقدم اللّسانيات فوائد يمكن أن يستفيد منها النحو العربي نذكر منها:

- ترسم المبادئ العامة التي تقوم عليها البنيات الذهنية للغات.

- تقدّم المناهج والنظريات التي تعمق فهم النحو العربي وتربطه بالحداثة.

- تساعد على الفهم المعمق والدقيق والشامل للّغة.

- تعالج اللّغة وفق رؤية علمية وتفرق بين الدراسة التاريخية والدراسة الآنية.

- تمكّن النحو العربي من الاِستعانة بالعديد من العلوم الأخرى: علم النفس، والرياضيات، والفلسفة، والنقد...

- تقرر اللّسانيات الحقائق اللّغوية حسبما تدل عليها الملاحظة دون محاولة تفسيرها بتصورات غير لغوية.

- تدعو إلى تناول المنطوق اللّغوي على مستوى واحد من البحث.

الخلاصة:

هذه وقفة نسجلها في قضية النحو العربي لمواجهة العصر والتغيرات التي جدّت في عربيتنا الحديثة، والمتمثلة في ظهور الكثير من الألفاظ الجديدة والتعابير والأساليب الخطابية المتنوعة وداخلتها مناهج حديثة وعصرية، وبقي في معاجمها القديمة طائفة كبيرة من الكلم الذي تجاوزه العصر فأصبح مادة تاريخية نواجهها في النصوص القديمة، مع العلم أن النحو الذي يعالج لغة المحدثين مازال بشكله القديم، وقد رأيت أن أستغل منبر هذه المجلة المحبوبة لدى جمهور الباحثين في قضايا اللغة العربية لأوجه دعوة من أجل تبنّي اِجتهاد لوضع نحو حديث للعربية التي تقدم إلى السادة المتعلمين في المراحل الدراسية العامّة (الابتدائي والمتوسط والثانوي)، وهذا لا يعني التنكر للنحو كما ورثناه وإنّما يبقى ذلك مادة للدّارسين في المراحل المتقدمة من الدراسة ولفهم النص العربي القديم.

هوامش البحث:

1 - علي أبو المكارم، تعليم النحو العربي، مؤسسة المختار، القاهرة، ص29.

2 - نفسه، ص31.

3 - إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، ص29.

4 - منصوري بلقاسم، الآراء النحوية في كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها، ص34.

5 - أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، 1/34.

6 - الأنباري، نزهة الألباء، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة، مصر، ص25.

7 - إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، ص27.

8 - سيبويه، الكتاب، 2/51.

9 - إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، ص25.

10 - صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللّغة، ص57.

11 - إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دار الأوقاف، القاهرة، ص03.

12 - محمد صاري، تيسير النحو موضة أم ضرورة، ص203.

13 - نفسه، ص210.

14 - مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، ص39.

15 - نفسه، ص41.

قائمة المصادر والمراجع:

- إبراهيم السامرائي، النحو العربي في مواجهة العصر، دار الجيل، بيروت، ط1، 1995.

- إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، دار الأوقاف، القاهرة، دت، دط.

- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، عالم الكتب، دت.

- الأنباري، نزهة الألباء، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة، مصر، ط1، 1985.

- سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1998.

- صالح بلعيد، محاضرات في قضايا اللّغة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2006.

- علي أبو المكارم، تعليم النحو العربي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط1، دت.

- مازن الوعر، دراسات لسانية تطبيقية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1980.

- محمد صاري، تيسير النحو موضة أم ضرورة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

- منصوري بلقاسم، الآراء النحوية في كتاب اللّغة العربية معناها ومبناها، مخبر التواصل اللّغوي تيزي وزو، الجزائر، 2010.

نظام الرواية بين سلطة البنية
وبنية الأسلوب

د. سليمان بن سمعون (ج. غرداية)

عندما نقرأ أي رواية فإن الذي يستوقفنا هو اللغة التي كتبت بها ، ذلك أن اللغة ونظامها هو ما يتحكّم في التفريق بين جنس أدبي وآخر بالإضافة إلى طريقة الكتابة ، وقد بدا لنا في هذه الدراسة أن نتحدث عن نظام الرواية بين سلطة البنية وبنية الأسلوب أو بالأحرى أن نوضّح بعض المفاهيم البنيوية والأسلوبية التي يستعين بها المحلل في تقطيع أجزاء الرواية ورصد أبنيتها وتحديد دلالاتها.

لكن الإشكال الذي واجهنا هو هل نستطيع أن نثبت نظاما خاصا بالرواية سواء من حيث بنيتها أم أسلوبها؟

إذا كان الجواب بالإيجاب فما هو نظام الرواية؟

نعتقد بادئ الأمر أن نظام الرواية هو لغتها التي كتبت بها،ولكنّ هذه اللغة يحكمها نظام لغوي معياري تواضعي قد يوحّد بين مختلف الروائيين من حيث اعتماد قواعد هذا النظام دون الخروج عنه أو محاولة الانزياح عن هذا النظام إلى نظام آخر أكثر خصوصية هو نظام الجنس الأدبي لتحديد مفهوم البنية والأسلوب،وهذا لا يتأتى إلا بعد دراسات وبحوث متخصصة في تحليل الرواية.

أثار اهتمامنا في البداية أن نقف عند مفهوم البنية، ولماذا سلطة البنية؟ ألا يجدر أن تكون مهمّة البنيوية أو هدف التحليل البنيوي الوقوف على شكل الرواية ونظامها ثم البحث في أبنيتها المختلفة؟

وإذا حاولنا أن نبرز أهم مكونات الرواية من حيث تحليلها بنيويا فإننا سنحصرها في بنية الأفعال وبنية السرد وبنية الوظائف،وهذه المكونات والأبنية ثابتة في تحليل الروايات حتى وان اختلفت في مضامينها، وهذا راجع إلى ثبات اللغة العربية (فاللغة العربية تتمتع بثبات بنية تركيبها،مذ عُرفت اللغة الفصيحة إلى يومنا هذا وستبقى اللغة العربية على هذه الحال من الثبات،لأنها تملك معيارا لغويا ثابتا في التراكيب لا يتغيّر، هو القرآن الكريم)[1] .

وللتفصيل في هذه الدراسة نقسمها إلى مجموعة من المفاهيم: وهي سلطة البنية ،بنية الأسلوب ، بلاغة الرواية ،ومفهوم الايدولوجيا، وسنفصّل في هذه المفاهيم بإيراد المفهوم وتحليله وأوّل مفاهيم الدراسة:

1 - سلطة البنية:

جدير بالذكر هنا أن أي نص أدبي له بنيته التي تحفظ له أدبيته وشكله، ولكن هذه البنية ينبغي أن تضبط بقوانين وقواعد تشكل إبداعية النصوص الأدبية،فما هي البنية وما شروطها؟

يرى زكريا إبراهيم أن(البنية ليست مجرّد تعبيرعن ذلك الكل الذي لا يمكن ردّه إلى مجموع أجزائه،بل هي – أيضا- تعبيرعن ضرورة النظرإلى الموضوع على أنه نظام أو نسق حتى يكون في الإمكان إدراكه أو التوصّل إليه)[2].

إذن النظر إلى الموضوع من حيث بنيته يعني البحث عن النسق أو النظام الذي يجعل الموضوع متمحورا في سياق اجتماعي يهدف إلى

إبراز غرض ما، فموضوع أي رواية يستند إلى الواقع الاجتماعي سواء أكانت الرواية واقعية أم خيالية ،ولكن التحليل البنيوي الذي يعتمد البنية مفهوما علميا لم يراعِ أهمية الموضوع في الدراسة الأدبية،وبات من المسلّم به أنّ البنية تضبط إبداعية النصوص الأدبية من حيث البحث في أبنيتها الداخلية،لأن من شروط البنية كما يرى جان بياجيه الشمولية (الكليّة) والتحويل لانتظام الذاتي ؛وهذه الشروط تكاد تقتصر على شكل النص،غير أن هذا لا يعني أن نقف عند البنى الداخليّة للنص الروائي دون الحديث عن موضوعه(دلالته)؛لأن مفهوم البنية يستدعي الدلالة،وهذا ما غفلت اللسانيات عنه حينما اكتفت بالبحث في الأنظمة الداخلية للنصوص مستعينة بالنظام اللغوي أو اللساني، ويرى عبد السلام المسدي أن أول المنطلقات التي تستند إليها النظرية النقدية يتمثل في(اعتبار اللغة قائمة على وظيفة دلالية هي بمثابة الرباط الحتمي الحاصل بين مجموع الألفاظ الواردة في الكلام المقصود بالذات وينتج عن هذا التقدير بطبيعة الحال أن النظرية الأدبية في النقد تحتكم رأسا إلى البعد اللغوي في النص الإنشائي)[3] .

ولا يستطيع المحلّل البنيوي أن يكشف بنية الموضوع إلا بعد أن يثبت للنص الروائي بنيته الخاصة،وهذا لا يعني أننا نبحث في حدود الجنس الأدبي بالاقتصار على الرواية فقط ؛وإنما البحث في الأبنية يشمل جميع النصوص الأدبية باختلاف أجناسها وأنواعها وإن على المحلّل أن يراعي في أي مقاربة نظرية أو تطبيقية مُستقبِل الرسالة وهو القارئ ليتمكن من نقد استجابته وهذا يعني الانتقال من أفق النص من حيث قراءته واستيعابه إلى تحديد مقاربته (وعندما ننتقل من أفق النص كبعد أساسي في تحديد أفق أي مقاربة،فإن أحد الأبعاد المركزية التي تواجهنا

بعد ذلك هو أفق القراءة الذي لا يقل إشكالا عن إشكال النص، ولعل أول منطلق قد يكون مقنعا في هذا الاتجاه هو التسليم مبدئيا بأن قراءة أي عمل أدبي(نص) يمكن أن يتم وفق مستويات عدّة،إلى جانب أنها-القراءة-محكومة بمنطقها الخاص من حيث وصف نظامه واعتماد أدوات واصفة بهدف الكشف عن معناه أو تأويله، والقراءة وفق هذا وذاك إجراء من إجراءات التعرف على بنية النص الظاهرة والخفية)[4] .

إنني أعتقد أن هناك ثلاث بُنى يمكن الوقوف عليها في تحليل الرواية وهي بنية الأفعال وبنية السرد أو الخطاب وبنية الوظائف، وقد استقيت هذه الأبنية من دراسات تودوروف ورولان بارث وجيرار جينيت وغيرهم، وينطلق أي حديث عن سلطة البنية في الرواية من الكشف عن هذه البنى الثلاث وكيفيات اشتغالها، ولنا في الدراسات النقدية العربية دليلا على هذا الاهتمام بالتحليل البنيوي ومن بينها: كتاب في الرواية السورية لسمر روحي الفيصل، وحركية الإبداع لخالدة سعيد،وكتاب موريس أبو ناضر بعنوان/ الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة،وكتاب نقد الرواية من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة لنبيلة إبراهيم سالم، ومعرفة النص ليمنى العيد،وبناء الرواية لسيزا أحمد قاسم، وكتاب القراءة والتجربة حول التجريب في الخطاب الروائي الجديد بالمغرب لسعيد يقطين، وكتاب مدخل إلى نظرية القصة لسمير المرزوقي وجميل شاكر وغيرهم[5].

وقد ارتأينا أن نقف عند مفهوم سلطة البنية من حيث البنى الثلاث وهي: الأفعال، والسرد، والوظائف من حيث الجانب النظري لبيان خصوصية المنهج البنيوي.

1 - 1. بنية الأفعال:

تتمثل هذه البنية فيما تؤدّيه الشخصيات من وظائف داخل النص السردي، فقد درس رولان بارث الشخصية انطلاقا من مفهوم العامل والعلاقة فقسم العلاقات إلى ثلاث : وهي علاقة الرغبة والتواصل والصراع؛وقد اعتمد تودوروف كذلك هذا التصنيف نفسه فأدرجه في نطاق منطق الأفعال، ولا يبتعد غريماس عن هذا التقسيم أيضا،وإن كانت دراسته سيميائية أكثر منها بنيوية وعليه(يمكن تصنيف الأسماء في البنيات العميقة للتخييل الشخوص في الأغلب، لكن ليس وحدها إلى أدوار مثل العامل ،المتقبل،المستفيد،الوسيط، الهدف، الموضع وما شابه ذلك لنعترف في الحال أن مثل هذا التحليل-أمثلة منه توجد في عمل النقاد الفرنسيين والمنظرين أمثال تودوروف وغريماس- تخطيطي جدا،حيث يختزل القصص والمشاركين فيها إلى صيغ وشفرات)[6] .

إن بنية الأفعال مرتبطة بحركة الشخصيات داخل النص السردي بوصفها عوامل تقوم بإنجاز موضوع ما،وبالتالي فالعامل هو شخصية تقوم بدور ما في إنجاز معنى الرواية أو النص السردي عموما؛لذلك يُنظر إليها على أساس قيامها بالفعل(ذلك أن مبحث الشخص والشخصية استمرار لمبحث البنية الروائية طالما انه يتناول أحد مكوناتها الكبرى والأساسية...لكونه يتناول علاقة الكلمة أو العبارة بمرجعها،ولكونه ينتقل من العام(الشكل والمضمون) المرتبط بكل الأجناس الأدبية أوثق ارتباط،إلى الخاص الشخص والشخصية المتصل بالجنس الروائي أو ما يشبهه(القصة القصيرة أو الطويلة) اتصالا وثيقا)[7] .

1 - 2. بنية السرد أو الخطاب:

إذا كنا قد ربطنا بنية الأفعال بالشخصيات وأدوارها داخل النص

الروائي؛ فإن بنية السرد تتمثل في تحديد مفهوم السرد وهو الطريقة التي يقدّم بها الراوي الأحداث،ولكن قص هذه الأحداث يندرج في إطار تتبّع تسلسلها الزمني،فمفهوم القص يعني(سرد قصصي للحوادث مرتبة تبعا لتسلسلها الزمني)[8] .

أما الإشكالية التي تواجهنا في تحليل التسلسل الزمني للأحداث فهي كيف نفرّق بين زمن السرد(الخطاب) وزمن الرواية؟

بما أنه لا يوجد مضمون بدون بنية،فإن التسلسل الزمني للأحداث يعني ارتباطها الوثيق بالراوي الذي يقوم بالتلاعب بالأزمنة، فالقصة أو الرواية لها زمنها الحقيقي الذي وقعت فيه، ولكننا لا نستطيع أن نُخضع الرواية لهذا الزمن لأننا نتعامل مع أزمنة متعدّدة ، فقد يُقدّم الراوي حدثا ويؤخّر آخر،وهكذا حتى يكتمل مضمون القصّة أو الرواية (لأنّ النص الأدبي نسيج من الأداء اللغوي،ولأنه هو الذي يتكلّم على حد تعبير بارث،فهذا الكلام تُنتجه اللغة كأداة تُحدّد تشكيله ومعماريته،وكآلية لإنتاج المعنى،من هنا كان لزاما الانطلاق من هذه الأداة بهدف الوصول إلى الدلالة،في هذا السياق تأتي اللسانيات كدراسة علمية لهذا الوعاء لاستجلاء تمظهراته الحسيّة)[9] .

يتبيّن لنا أنه لا يمكن الحديث عن بنية السرد إلا من خلال إدراج آخر بنية يستدعيها المنهج البنيوي في تحليل الرواية وهي:

1 - 3. بنية الوظائف:

يراد بالوظيفة هنا وظائف اللغة التي قدّمها رومان جاكسبون ،وإنما يراد بها الوحدات البنائية التي يتأسس منها الخطاب السردي، فكل كلمة أو جملة أو فقرة في الرواية تؤدي معنى أو وظيفة داخل البنية الكليّة للرواية ورغم أن اشتغال النص السردي بالمنظور الكلي وتطبيق مفهوم الكليّة بدل الاهتمام بالتجزيء في تحليل مكوّنات الرواية إلا أننا في بعض

الأحيان نقف عند دلالة كلمة أو جملة تؤدّي وظيفة أو دلالة مركزيّة تساهم في بلورة دلالة النص الكلية.

إن حديثنا عن سلطة البنية في نص الرواية لا يقف عند بنية محدّدة،ولكننا نبحث عن العلاقات التي تقدّمها أبنية النص وصولا إلى تحديد البنية الكليّة،رغم أن التحليل البنيوي لا يهتم بالمضمون لأنه يتوجّه إلى شكل النص(والذي يتفق فيه الشكلانيون والهيكليون اللغويون،وما أكثر ما تتماثل في كتاباتهم المواقف أنهم يقتصرون على النصوص الأدبية في التعرّف على أسرارها الأدبية وأنهم يجعلون الدراسة متأصلة في الآثار نفسها،فالأدب عندهم أولا وبالذات نص وكل ما يهمّه في درسه كائن فيه ملازم له لا يلتمس أبدا خارج حدوده)[10] .

ومن مقتضيات القول الإشارة إلى أن المنهج البنيوي لم يهمل المضمون مطلقا وإنما حاول استنباط دلالة النص من شكله،وإذا كان هذا حاله فما هي منزلة الأسلوبية في قراءتها لنص الرواية؟ وهل لها إجراءاتها الخاصة بها؟

يمكن أن نجيب عن هذه الأسئلة من خلال بنية الأسلوب في الرواية،ولتوضيح ذلك سنعتمد الإجراءات التالية: مفهوم الاختيار الأسلوبي، التركيب ، الانزياح، بلاغة الرواية، مفهوم الايدولوجيا في الرواية.

2 - بنية الأسلوب:

من المتعارف عليه أن الأسلوبية انبثقت من اللسانيات البنيوية، ولا ينكر أي عاقل هذا الانتقال من مجال البنية إلى مفهوم الأسلوب إلا أن الاختلاف بين المنهجين البنيوي والأسلوبي يتجلى في إجراءات كل منهما، وقد رأى عبد السلام المسدّي أن(الأسلوبية في نهاية مطافها تطمح إلى

تأسيس مبدإ الشعرية على أثر النص في حين يسعى المنهج البنيوي إلى تأسيسه على منطوق النص،فالأدب في نظر الأسلوبية لغة شعرية ولكنّه في نظر البنيوية شعرية لغوية، وشارح النص عند الأسلوبيين مفكّك لرسالة فنية، وعند البنيويين مركّب لبناء صوري يلتقط عناصره بين حنايا الرسالة الفنية والأسلوبي يقوم بدور الخبير يجهّز ملف التشخيص ليسلّمه إلى الناقد كي يحدّد وصفة القيمة، بينما يعالج البنيوي جسم النص معالجة مباشرة مكتفية بذاتها)[11] .

ونظرا لعلاقة بحثنا فيما يخص ارتباط سلطة البنية ببنية الأسلوب في الرواية؛ فقد بدا لنا أن نذكر أهم مميزات المنهج الأسلوبي وإجراءاته التي تساعدنا على تحليل الرواية ولعلّ أهمها:

2 - 1 مفهوم الاختيار الأسلوبي:

ينبغي على محلل الرواية أن ينظر في النسيج اللغوي الذي كتب به النص الروائي، وذلك بالإطلاع على المعجم اللغوي للرواية ليبحث عن العلاقات الدلالية في إنتاج معنى النص،ولذلك كان الاختيار الأسلوبي مرحلة مهمّة من مراحل التحليل الأسلوبي ،يقول الباحث إبراهيم خليل في حديثه عن الأسلوب (تحصيل الحاصل أن الحديث عن الأسلوب يعني الحديث عن الاختيار... فالكاتب ينتقي من المعجم، وينتقي من دلالات اللغة التي يستخدمها ثم يأتي بعد ذلك الاختيار الثانوي وهو اختيار المعاني)[12] .

بهذا يمكننا القول إنّ الأسلوب اختيار وانتقاء للكلمات على مستوى المعجم، وعلى مستوى الاستعمال اللغوي،ولكنّ هذا الاختيار ليس عشوائيا بل يضبطه إجراء آخر لا يقل أهمية عنه وهو:

2-2. مفهوم التركيب الأسلوبي:

لا يمكن الحديث عن بنية الكلمة في وضعها المعجمي فقط ، ولكن تكمن أهميتها فيما تؤدّيه من دلالات محددة في إطار التركيب، أي في تعالقها مع غيرها من الكلمات الأخرى المتجاورة معها في السياق نفسه حيث (إن اختيار الكلمات لا يكون مفيدا إلا إذا أحكم توزيع هذه الكلمات،وهي تتوزّع على مستويين حضوري وغيابي،فهي تتوزّع سياقيا على امتداد خطي،ويكون لتجاورها تأثير دلالي وصوتي وتركيبي،وهو ما يدخلها في علاقات ركنية وهي أيضا تتوزّع في شكل تداعيات للكلمات المنتمية لنفس الجدول الدلالي،فتدخل إذن في علاقات جدولية أو استبدالية فيصبح الأسلوب بذلك شبكة تقاطع العلاقات الركنية بالعلاقات الجدولية ومجموع علائق بعضها ببعض)[13] .

إذن فبنية أسلوب الرواية ترتكز على هذه الثنائية وهي الاختيار والتركيب،ولا يمكن بأي حال أن نغفل إجراءً دون آخر فتركيب المعنى في النص لا يقف عند مفهوم واحد ، وإنما البحث عن المضمون الكلّي للنص يقتضي البحث في كيفية تركيبه لأن الكلمات في الرواية هي وحدات دالة؛ تشتغل مع بعضها البعض وفق علاقات دلالية متعددة، ومن ثمَّ وجب على المحلّل الأسلوبي ألا يغفل عن بعض مكونات الرواية على حساب مكوناتها الأخرى،لأن الأحداث أو الأفعال والشخصيات والزمان والمكان هي بمثابة وحدات دالة في تركيب النص الروائي، فبغياب عنصر من هذه العناصر يختل نظام الرواية، ومن هنا اضطلعت أسلوبية الرواية بالنظر إلى علاقة النظام اللغوي بالنظام الأسلوبي للنص الروائي وهو ما يسهّل على المُحلّل كيفيّة التعرّف على بنية أسلوب الرواية، ولنا في الأعمال التي قدّمها الباحثون العرب من أمثال حميد لحمداني في كتابه أسلوبية الرواية مدخل نظري،ومحمد برادة في ترجمته لكتاب الخطاب

الروائي لميخائيل باختين ، وكتاب أسئلة الرواية أسئلة النقد لمحمد برادة، وسمر روحي الفيصل في كتابه أسلوبية الرواية العربية،كان لهذه الأعمال وغيرها أثر بارز في فهم بنية أسلوب الرواية لذلك (يحتاج التحليل النقدي لأسلوبية الرواية إلى معرفة العلاقة بين نظام الأسلوب ونظام اللغة ، سواء أكانت الرواية تضم أسلوبا واحدا مهيمنا أم كانت تضم تعددا في الأساليب ، وليست هذه المعرفة هيّنة لسبب بسيط وجوهري في الوقت نفسه، هو أن نظام اللغة نظام معياري ، يمكن تحديد الصواب من الخطإ عند مستعمله استنادا إلى سنن العربية في النحو والصرف واللغة...أما نظام الأسلوب ففردي صرف، لا علاقة له بالمعيارية، أي أنه نظام لرواية محددة وليس نظاما لكل رواية...فما يصلح لرواية من الروايات لا يصلح لرواية أخرى، تبعا لاختلاف الروايات في الحوادث والشخصيات والمواقف والرؤى)[14] .

لكن هذا الاختلاف بين النظامين اللغوي والأسلوبي لا يبرز إبداعيّة النص الروائي إلا من حيث الجانب اللغوي الذي كتبت به الرواية، فهل نستطيع أن ندرج مثلا مفهوم الانزياح في نظام اللغة أم في نظام الأسلوب ؟وهل هو إجراءٌ ضروري في كل نص سردي ؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل تجعلنا نقر أن الانزياح في واقع الأمر هو أمر نسبي، فلكل كاتب أو روائي طريقته الخاصة في الكتابة ، والذي يتحكّم في إنتاجه هو موضوع الرواية التي أبدعها من واقعه الاجتماعي أو من خياله المستند إلى تجارب ووقائع اجتماعية ، لذلك وجب الحديث عن مفهوم الانزياح،وبلاغة الرواية لنصل إلى توضيح بنية أسلوب الرواية انطلاقا من نظامها الأسلوبي.

2 - 3. مفهوم الانزياح:

يُعتبر مفهوم الانزياح أهم إجراء أسلوبي بعد الاختيار والتركيب،وقد

تعدّدت المصطلحات الدالة عليه فبعض الباحثين يستعمل مصطلح الانحراف، وبعضهم الآخر العدول،.....إلخ، ولكن الإشكالية ليست في تعدّد المصطلحات الدالة على الانزياح، ولكن في توظيف هذا المفهوم في إطار التحليل الأسلوبي للرواية، فهل له علاقة بنظام اللغة أم بنظام الأسلوب في الرواية؟

يجيبنا الباحث عبد السلام المسدّي بتقسيمه للاستخدام اللغوي إلى مستويين: المستوى العادي وهو الذي يستعمل اللغة وفق النمط المثالي المألوف المتواضع عليه، والمستوى الإبداعي وهو الذي يخترق الاستعمال المألوف للغة وينتهك صيغ الأساليب الجاهزة[15].

ومهما يكن توظيفنا لإجراء الانزياح مقتصرا في أغلب الأحيان على ما هو خارج الاستعمال المألوف للغة، فهذا يعني أن أسلوبية الرواية لها حدودها وقوانينها الخاصة، لأن الانزياح في الرواية قد يأخذ أشكالا متعدّدة سواء على مستوى الحدث أم الشخصيّة أم الزمان أم المكان؛ فهو لا يرتبط فقط بالمجاز أو البحث في الدلالة الإيحائية للتراكيب اللغوية المنزاحة عن نظام اللغة أو عن المعيار اللغوي ، وهذا يشكّل في البحث النقدي إعادة النظر في مفهوم البلاغة، وخاصة بلاغة الرواية، وهي مرتبطة ببعض الخصائص التي تميّز النص السردي عن غيره من النصوص الأخرى.

2 - 4. بلاغة الرواية:

تضمّن أي نص أدبي تراكيب لغوية مألوفة وأخرى غير مألوفة، فهو يتكوّن من أبنية تعبيرية مختلفة منها بنية التعبير المألوف الدلالة المباشرة، وبنية التعبير المجازي الدلالة الإيحائيّة ....إلخ ، ووظيفة المحلل الأسلوبي للنص الروائي لا تقف عند التمييز بين هذه الأبنية، ولكن وظيفته تكمن في تحليل لغة النص من حيث بنيته الكليّة وفي تتبّع مضمون الرواية انطلاقا من شكلها (فالشكل احتواء المضمون من حيث

الفنيّة ، والمضمون فكرٌ يرتدي الشكل كي يختفي داخله ، وفي ثناياه ، لذا فتعامل النقد مع النص يستوعب الانطلاق من تشريح هذه الثنائية التي لا تقبل العزل ، وإنما البحث في الشكل معناه البحث في كيفية التعبير، في طريقة الصياغة ، وما يتعلّق بذلك مثلا البحث عن الراوي، تداخل الأصوات ، زمن النص في امتداده وقصره ، الوصف وشعرية النص من خلال الصور الكامنة فيه ، وفاعلية الأبطال)[16] .

ثمّ إننا هنا نملك بلاغة للروا ية انطلاقا من مكوّناتها، فتحليل الأساليب في الرواية؛ والبحث عن كلمة المؤلّف ودلالة الشخصيات، وهيمنة الزمان والمكان هي ما يميّز الأسلوب في الرواية ، ومن هنا ارتأينا أن نوضّح أن كلمة بلاغة لا تقتصر على التقاليد البلاغية الموروثة من علم البلاغة المعياري ، ولكن البحث في الرواية وبلاغتها هو بحث في مكوّناتها، وعلاقة هذه المكونات مع بعضها البعض، فلا نقتصر على دراسة صوت الراوي وإبرازه بشكل خاص دون أصوات الشخصيات المساهمة في بنية الأحداث في الرواية لأن(لغة الرواية لا يجوز وصفها في مستوى لغوي واحد، إنها نظام مستويات متقاطعة، ولهذا ليس في الرواية لغة واحدة ولا أسلوب واحد، ولكن يوجد- في الوقت نفسه- مركز لغوي أو خطاب إيديولوجي للرواية.والمؤلف، بوصفه صانع الكل الروائي، يتعذّر العثور عليه في أي من مستويات اللغة إنه في المركز التنظيمي لتقاطع المستويات)[17] .

فالبحث في لغة الرواية يُحقّق مبدأ الحوارية عند الباحث ميخائيل باختين من حيث تعددية أساليب الرواية.

ويمكننا القول هنا إن بلاغة الرواية لا ترتبط فقط بمباحث البلاغة المعروفة وهي المعاني والبيان والبديع، وإنما ترتبط بجنس الرواية ومميزاته التي تُفرّق بينه وبين الأجناس الأدبية الأخرى، فعلى الرغم من أهمية التحليل البلاغي التقليدي في الكشف عن أدبية النصوص، إلا أنه بقي

حبيس معياريته التقليدية في عدم تجاوز الجملة، أو البيت الشعري، لأن البحث النقدي يقتضي الإلمام بخصوصية الجنس الأدبي الذي بين أيدينا لأننا نتعامل مع النص بوصفه وحدة كبرى ذات دلالة كليّة، فالأسلوبية واجهت(المفهوم البلاغي بكونها تنطلق من العمل نفسه، وليس من معايير مسبقة أو من رؤية جاهزة لوظيفة الأدب، فالعمل الأدبي بالنسبة إليها هو استخدام خاص للغة)[18] .

ولمّا كان لكل نص أدبي خصائص تميّزه عن غيره من النصوص الأخرى، سواء على مستوى الشكل أم على مستوى المضمون، فإن أهم سمة يضطلع بها هو تبنيّه لمفهوم ايديولوجي، يتبنّاه المؤلف ليرسله للمتلقي، حيث تقوم البنية الإيديولوجية للنص على تتبع مضمونه بوصفه بنية كليّة نابعة من أفق الكاتب

2 - 5.مفهوم الإيديولوجيا:

إن بنية الأسلوب في الرواية لا تقتصر فقط على تحليل مكونات الرواية لتحديد أسلوبها، وإنما البحث في عمومه مرتبط بمضمونها على أساس أنه يمثّل موقفا معيّنا تجاه قضية ما، وهذا ما يسمّى بالايديولوجيا، لأن أي رواية تحتوي على أساليب متعدّدة وأصوات مختلفة ، وهذا ما يساعد على فهم مضامين الروايات من خلال البعد الاجتماعي أو الإيديولوجي الذي يتبنّاه الكاتب، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن الايديولوجيا ونقدها ، ولكن الذي أثار انتباهنا في مقامنا هذا أن تحليل الرواية ينبغي أن يُوضّح الغرض الذي تؤدّيه بتحليل مستوياتها التركيبية والدلالية ؛ و يرى حميد لحمداني أن الرواية (في مجموعها هي مبنْينَة ككل فريد، وعضوي خاضع لقوانينه النوعية الخاصة، وكل العناصر الروائية الأخرى بما فيها تركيبها، أسلوبها ، هي أيضا مبنينة، ولكنّ هذا التبنين

الروائي قد تم إضافة إلى ذلك في علاقة حميمة مع التحوّلات التي تجري في مجموع الأدب)[19] .

نعتقد أن التحليل الأسلوبي للرواية ينبغي أن يربط بين نظام اللغة والبناء الفني للرواية في علاقته بالأسلوب لتحقيق مبدإ الحوارية الذي نادى به باختين، فلا نفصل المعنى الايديولوجي -الذي يُوظّف في الرواية- عن الأسلوب الذي كتبت به، لأن هذا الفصل سيؤدّي إلى النظر إلى الرواية على أساس المضمون دون الشكل أو العكس وهذا يتنافى مع التحليل الأسلوبي ويلح باختين(على ما يضفي الخصوصية على الرواية ويميز أسلوبيتها، هو موضوع الإنسان الذي يتكلم وكلامه، فهذان العنصران الأخيران تتخذ منهما الرواية موضوعا لتشخيص لفظي أدبي، و المتكلّم في الرواية هو دائما، وبدرجات مختلفة، منتج ايديولوجيا ، وكلماته هي دائما عيّنة إيديولوجية) [20] .

على أن العلاقة بين نظام اللغة ونظام الأسلوب في الرواية هي ما يحقق لنا تحليل التراكيب اللغوية في الرواية، لاستخلاص سمات الأسلوب فيها، وبالتالي استخلاص وجهة نظر الراوي وعلاقته بالشخصيات الأخرى المُشكّلَة للحدث الروائي، ويُؤكّد هذا المعنى ما ذهب إليه باختين في البحث (عما هو اجتماعي على ما يُوحّد من تعدّدية الأصوات وتعددية الإيديولوجيات، أي من خلال حوارية النص الروائي،ولذلك فهي تبقى دائما في إطار فهم العالم الدّاخلي للرواية دون أن تقتصر على تفسير هذا العالم)[21] .

إضافة إلى ذلك نجد أنّ البناء الداخلي للروايات هو ما يُحقق أسلوبها على مستوى الشّكل والمضمون، ولا نقصد بالأسلوبية هنا أو ببنية الأسلوب في الرواية مضمون الرواية دون شكلها، ولا نقصد بتوظيفنا للايديولوجيا البحث في المنهج الاجتماعي في النص السردي، ولكننا وظفنا

هذا المصطلح لأنه يُؤكّد على مبدإ الحوارية في الرواية عموما، فلا تخلو أي رواية من أصوات وأساليب متعدّدة، وهذا يُؤكّد تباين المستويات اللغوية فيها(فحتّى لو كان باختين يتحدّث عن الإيديولوجيا في الرواية فهو يعتبرها مادة أوّلية من مواد بناء الرواية، وإنها ليست مُقتبسة من الواقع، ولكنّها تجسيدٌ لواقع الإيديولوجيا نفسها:أي مظهر من مظاهرها،فالنّص إذا ليس موجودا خارج الواقع الإيديولوجي ولكنّه منغمس فيه ،ولذلك فهو ليس في حاجة إلى أن يعكس الإيديولوجيا مادام يُوجد في مجراها الطبيعي)[22] .

ولا يخفى بهذا أنّ التوجّه الذي ينتهجه الكاتب أو الروائي في نصّه ليس بالضرورة أن يرتبط بالواقع الخارجي ويُحيل عليه دائما، ولو كان هذا قصد باختين لما استطاع أن يُطبّق منهج الأسلوبية على الرواية، لأنه اعتبر الكلمات كدوال لغويّة تشتغل داخل النّص الروائي دون أن تحيل في كلّ مرّة على الواقع أو المرجع، وبالتالي فالإيديولوجيا هنا متعلّقة بالنّص الروائي من داخله، و يرى حميد لحمداني (أنّ دراسة الإيديولوجيا في النّص الروائي ليست في حاجة إلى الإحالة على ما هو خارج النص وهنا بالذات يلتقي باختين مع الدراسة التزامنيّة synchronique التي تلحُّ عليها البنيوية، في هذه الحالة تُصبح دراسة حواريةdialogisme النص الروائي باعتباره مُجسّدا لمجموعة من الإيديولوجيات المتصارعة هي المحور الأساسي لكلّ تحليل، ومن الطبيعي أن يتم التركيز في مثل هذا التحليل على الأعمال الرّوائية التي تُحقق هذه الحواريّة حين ينفلت النص ذاته باعتباره كلا من أي تحديد أو تأويل إيديولوجي لأنه-إذا صحّ التعبير-يقع فوق الإيديولوجيات)[23] .

الخلاصة

وفي خلاصة بحتنا هذا نُوضّح بعض الفوارق بين المنهجين البنيوي والأسلوبي، وإن بدا لنا قبل ذلك أن نبيّن للقارئ أنّ استعمالنا لمصطلح السلطة، والبنية، والأسلوب في التحليل هو من باب صرامة المناهج النّصّية في اعتمادها على مُصطلحات تُؤسس للمقاربة النقدية الداخليّة للنصوص، فسلطة البنية تتأسس في الرواية من منظور فكرة العلاقات التي تربط بين مكونات الرواية، فلا نستطيع أن نؤلّف رواية دون شخصيات مثلا، أو دون زمان أو مكان، ولكنّ هذه المكوّنات والخصائص التي يمتازبها النص السردي عموما هي ما يّتيح له الانفراد والتميّزعن غيره من الأجناس الأدبية الأخرى، وخاصة جنس الشعر، وإن كان في مقدورنا الآن استعمال مصطلح شعرية الرواية ونثر الشعر أو قصيدة النثر.

وما جعلنا نستعمل مصطلح سلطة البنية هو هذا القانون الذي تفرضه البنية وخصائصها في مقاربة النص انطلاقا من فكرة العلاقات؛ لتحقيق أهداف المنهج البنيوي: وهي تحقيق مفهوم الكليّة الشموليّة والربط بين العناصر من خلال مفهوم القيمة الذي يتجسّد في أصغر وحدة دالّة وهي الكلمة، فلا وجود لمعناها إلا في السياق وهذا ما يُحقق قيمتها ولقد(شجّعت اللسانيات البنيوية الخطاب النقدي على البحث عن النسق الأدبي انطلاقا من فكرة الكليّة والعلاقة التي تجمع بين عناصر النص الأدبي)[24] .

أمّا فيما يتعلّق ببنية الأسلوب فكان اعتمادنا لمفهوم البنية انطلاقا من الربط بين البنيوية والأسلوبية،لأن أصل المنهج الأسلوبي هو اللسانيات البنيوية لكنّ الاختلاف يتجلّى في اعتماد الأسلوبية على إجراءات خاصّة في التحليل، وإن كان بعض هذه الإجراءات لا يخرج عن مفاهيم اللسانيات؛ كاستعمالنا لمصطلح الاختياروالتأليف في الأسلوبية،

بما يقابله في اللسانيات ثنائية المحور الاستبدالي،و المحور التركيبي، وقد اعتمدنا تفكيك بنية أسلوب الرواية بالنظر إلى العلاقات التي تحكم عناصرها وهي الأحداث والشخصيات، والزمان، والمكان،و تفاعل هذه المكونات مع بعضها البعض لتشكيل مدلول الرواية، من هنا فرّق عبد السلام المسدّي بين الأسلوبية والبنيوية بناء على المستويات الآتية:

*1 مبدأ الشعريات / فهو يتأسس على أثر النص في الأسلوبيات وعلى منطوقه في البنوية.

*2 الأدب / إنه لغة شعرية في نظر الأسلوبيات وشعريات لغوية في نظر البنوية.

*3 شارح النص / مفكك لرسالة فنية في الأسلوبيات ،ومركّب لبناء صوري في البنوية

*4 الوظيفة يهتم الأسلوبي بتجهيز ملف التشخيص قصد تحديد القيمة من قبل الناقد،أما البنوي فيعالج جسم النص معالجة محايثة ومباشرة)[25] .

هذه بعض الفوارق التي قدّمها الباحث عبد السلام المسدي في تمييزه بين المنهجين البنيوي والأسلوبي،وإن كنا نرى أن التطبيق الفعلي للمنهجين على الرواية لا يتحقق بصفة مطلقة وكلية، فبعض الدراسات تهتم بالشخصيات في الرواية، ولا تطبق مفهوم البنية، وإنما تطبق إجراءات المنهج السيميائي لكونه أقرب إلى تحليل الشخصية بوصفها علامة لغوية، وبعض الدراسات تُطبّق الأسلوبية ولكنّها تميل إلى تحليل مضمون الرواية انطلاقا من ايديولوجية الرواية بالإحالة إلى خارج النص دون الاهتمام ببنيته الداخليّة كما أشار إلى ذلك بعض النقاد ومنهم آراء الباحث بييرزيما في النقد الاجتماعي للرواية.

ومهما حاولنا الوصول إلى الدّقة العلمية التي تتطلّبها العلوم التقنية كالرياضيات والبيولوجيا، فإننا لا نستطيع تطبيق المعرفة العلمية على الدراسات الأدبية بصرامتها وموضوعيتها، لأننا لا نتوصل إلى المعنى الواحد للنص الأدبي، فهو متعدد الدلالات، ومنفتح على كل المناهج وخاصة النصيّة منها، وهذه ميزة النصوص الأدبية فهي تتمنّع على المحلل والقارئ ،وإن بدت طيّعة سهلة المنال في تجليها الكتابي، وفي اختيار المنهج المناسب دور مهم في كل عملية تحليلية تتطلبها المعرفة العلمية للأدب لاستخلاص القواعد والقوانين من كل جنس أو نوع أدبي.

الهوامش:

1 -سمر روحي الفيصل: أسلوبية الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2011، ص 12.

2 - إبراهيم زكريا: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة، د ط، 1990، ص 08.

3 -عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار أميّة دار العهد الجديد،تونس، ط2، 1989، ص 44.

4 -بشيرقمري: شعرية النص الروائي قراءة تناصية في كتاب التجليات، البيادرللنشروالتوزيع،الرباط،المغرب،ط1 ، 1991، ص 13.

5 -ينظر محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي ،افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ،ط1994،2،ص09.

6 -روجر فاولر: اللسانيات والرواية ترجمة لحسن احمامة، دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب،ط1 ، 1997، ص 47.

7 -محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي ، ص69.

8 -إ.م.فورستر:أركان الرواية ترجمة موسى عاصي، مطبعة جروس برس،لبنان،ط1994،1، ص25.

9 -روجر فاولر: اللسانيات والرواية ، ص08.

10 -حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية منشورات عيون، مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء المغرب،ط1988،4 ، ص66.

11 -عبد السلام المسدي : في آليات النقد الأدبي، دار الجنوب للنشر، تونس، دط، 1990 ، ص72.

12 -إبراهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت لبنان،ط1997،1 ، ص74.

13 -نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب،ج1، دار هومة، الجزائر، د ط ،2010 ، ص188.

14 -سمر روحي الفيصل: أسلوبية الرواية العربية ، ص ص45 ،46.

15 -ينظر عبد السلام المسدّي: النقد والحداثة ، ص57،.

16 -صدوق نور الدين: حدود النص الأدبي،دراسة في التنظير والإبداع،دار الثقافة، الدار البيضاء،المغرب،ط1984،1، ص19.

17 -صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، دار الكتاب المصري، القاهرة، مصر، ط1 ،2004 ، ص352.

18 -جودت فخر الدين:شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثاني الهجري،دار الآداب، بيروت،لبنان،ط1994،1، ص252.

19 -حميد لحمداني: النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1990،1، ص77.

20 - ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،ط2009،1، ص33.

21 - حميد لحمداني: النقد الروائي والايديولوجيا ، ص83.

22 -حميد لحمداني: النقد الروائي والايديولوجيا ، ص07.

23 -المرجع نفسه ،ص ص07 ،08.

24 - أحمد يوسف، القراءة النسقيّة، سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف، الجزائر،ط2007،1 ، ص ص220 ،221.

25 -عبد السلام المسدّي، في آليات النقد الأدبي ، ص72.

قائمة المصادروالمراجع

-1 براهيم خليل: الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت، لبنان،ط1997،1.

-2 أحمد يوسف: القراءة النسقيّة، سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف الجزائر، ط2007،1.

-3 إ.م.فورستر: أركان الرواية ترجمة موسى عاصي،مطبعة جروس برس،لبنان،ط1994،1.

-4 بشيرقمري: شعرية النص الروائي قراءة تناصية في كتاب التجليات، البيادرللنشر والتوزيع،الرباط،المغرب،ط1 ، 1991.

-5 جودت فخر الدين: شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى القرن الثاني الهجري،دار الآداب، بيروت،لبنان،ط1994،1.

-6 حسين الواد: في مناهج الدراسات الأدبية منشورات عيون ،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء المغرب،ط1988،4.

-7 حميد لحمداني: النقد الروائي والايديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب،ط1990،1.

-8 روجر فاولر: اللسانيات والرواية ترجمة لحسن احمامة، دار الثقافة،الدار البيضاء،المغرب،ط1 ، 1997.

-9 إبراهيم زكريا: مشكلة البنية أو أضواء على البنيوية، دار مصر للطباعة، دط، 1990.

-10 سمر روحي الفيصل: أسلوبية الرواية العربية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2011.

-11 صدوق نور الدين: حدود النص الأدبي،دراسة في التنظير والإبداع،دار الثقافة، الدار البيضاء،المغرب،ط1984،1.

-12 صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص،دار الكتاب المصري، القاهرة،مصر،ط2004،1.

-13 عبد السلام المسدي : في آليات النقد الأدبي،دار الجنوب للنشر،تونس،دط،1990.

-14 عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار أميّة دار العهد الجديد،تونس، ط2، 1989.

-15 محمد سويرتي: النقد البنيوي والنص الروائي ،افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب ،ط1994،2.

-16 ميخائيل باختين: الخطاب الروائي، ترجمة محمد برادة، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،مصر،ط2009،1

-17 نور الدين السد: الأسلوبية و تحليل الخطاب،ج1،دار هومة، الجزائر، دط ،2010.

الإعراب في نحو اللغة العربية الوظيفي

ا/ عاشور بن لطرش (المدرسة العليا للاساتذة قسنطينة)

أعاد مجموعة من اللغويين العرب المحدثين، بدرجات متفاوتة، النظر في نحو اللغة العربية أو في بعض ظواهره بالاستناد نظريا ومنهجيا على مبادئ اللسانيات بمختلف اتجاهاتها. ولعل من أهم الظواهر التي أعيد النظر فيها؛ أي في وصفها وتفسيرها، ظاهرة الإعراب في اللغة العربية .

في هذه الدراسة ، وبعيدا عن أية ميول لأية نظرية، سنعرض مقاربة أحمد المتوكل لظاهرة الإعراب في اللغة العربية في إطار مشروعه المتمثل في بناء نحو وظيفي للغة العربية. وقد تدرجنا في عرض هذه المقاربة وفق المحاور الآتية :

- مفهوم النحو الوظيفي .
- أهم مبادئ النحو الوظيفي.
- بنية الجملة في النحو الوظيفي .
- الإعراب في نحو اللغة العربية الوظيفي.

1 - مفهوم النحو الوظيفي: النحو الوظيفي هو نظرية لسانية حديثة، أو هو من الأبحاث الحديثة ، ظهرت الصياغة الأولية والعامة لأسسه والمبادئ التي تحكم تنظيم مكوناته في كتاب سيمون دك Simon Dhk (النحو الوظيفي) الذي نشر سنة 1978. وقد مكنت الدراسة التي

قام بها منذ ظهور الكتاب إلى يومنا هذا، من تمحيص انطباقية النحو المقترح على لغات طبيعية مختلفة البنية وإغنائه وتطويره[1] .

ونحو اللغة العربية الوظيفي هو ذلك النموذج الذي اقترحه أحمد المتوكل في إطار التوجه اللساني الذي اصطلح على تسميته المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي[2]. وهو نحو للغة العربية يقوم على مبادئ نظرية النحو الوظيفي التي أسسها سيمون دك ، وساهم المتوكل في تطويرها وإغنائها بما أفرزته تطبيقاتها على اللغة العربية.

يتخذ النحو الوظيفي اللسان الطبيعي أو اللغات الطبيعية موضوعا له من منظور ترابط بنيتها بالوظيفة الأساسية التي تؤديها اللغة، وهي التواصل، وتبعيتها لها؛ أي أنه يسعى في وصف وتفسير خصائص اللغات الطبيعية بالاعتماد على مبدإ تبعية الخصائص البنيوية (الصرفية والتركيبية ...) للعبارات اللغوية لخصائصها الوظيفية (الدلالية والتداولية)[3]. وبتعبير آخر، النحو الوظيفي هو جهاز يصف القدرة التواصلية للمتكلم/السامع المثالي، أو هو نموذج مصورن للقدرة التواصلية، يقوم على مبدإ تبعية بنية اللغات الطبيعية لوظيفتها التواصلية[4].

يندرج النحو الوظيفي ضمن زمرة الأنحاء الوظيفية، والتي تقابلها بالنظر إلى معيار الوظيفة، أنحاء أخرى يصطلح عليها اسم الأنحاء غير الوظيفية [5]، تجمع بينهما (أي الأنحاء الوظيفية والأنحاء غير الوظيفية) بعض أوجه الائتلاف، منها سعيها إلى وصف خصائص اللغات الطبيعية، ومجموعة من أوجه الاختلاف، أهمها وقوف الأنحاء غير الوظيفية في مقاربتها للغات الطبيعية عند بنيتها دون أن تتعدى ذلك إلى ربط البنية بالوظيفة ، في حين قامت الأنحاء الوظيفية في مقاربتها لبنية اللغات الطبيعية بربط البنية بأهم وظيفة تؤديها اللغة داخل المجتمعات البشرية، وهي وظيفة التواصل[6] .

ويعود هذا الاختلاف إلى الفرضية المنطلق منها في تناول الموضوع؛ حيث قامت الأنحاء الوظيفية على فرضية أن اللغة نسق مجرد يؤدي وظائف متعددة، أهمها وظيفة التواصل، وأنه لا يمكن أن ترصد خصائص بنيتها رصدا دقيقا إلا إذا ربطت بوظيفتها، من منطلق أن الوظيفة تحدد إلى حد كبير البنية، وأما الأنحاء غير الوظيفية فقامت على فرضية أن اللغة نسق مجرد يؤدي وظيفة التعبير عن الفكر، وتقارب اللغة في هذه الأنحاء على أساس أنها بنية مجردة يمكن، بل يجب، أن تدرس خصائصها بمعزل عن وظيفتها [7]. ومن أهم النظريات التي تمثل هذا المنحى نظرية النحو التوليدي، فهي تقوم كما يقول مؤسسها تشومسكي Nôm Chomsky – على مبدإ استقلال بنية اللغة عن وظيفتها، كاستقلال بنية القلب مثلا عن وظيفة ضخ الدم، وأن دراستها وصفا وتفسيرا يتم خارج ارتباطها بأي شيء آخر [8]. ومن هنا يتضح تفسير استقلال المكون التركيبي عن عناصر بنية مكونات النحو الأخرى، وهما في النماذج التوليدية الأولى المكون الدلالي والمكون الصوتي [9].

2 - **مبادئ النحو الوظيفي:** في الحقيقة يقوم النحو الوظيفي على مجموعة من المبادئ، أهمها مما يمكن الحديث عنها هنا مبثوثة في محاور أربعة، هي: وظيفة اللغة، والبنية والوظيفة، وموضوع الوصف اللغوي، وضوابط الوصف اللغوي[10].

2 - **1/ وظيفة اللغة:** الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التواصل، يقول أحمد المتوكل: " نستخدم اللغات لتأدية وظائف متعددة مختلفة إلا أن هذه الوظائف فروع لوظيفة أصل هي وظيفة التواصل"[11]. وتظهر أهمية هذا المبدأ وموقعه بالنظر إلى ما قيل في وظيفة اللغات الطبيعية، فقد ذهب بعض اللغويين إلى أنها تؤدي مجموعة من الوظائف لا وظيفة واحدة، ونقصد هنا اللغويين الوظيفيين، وخاصة ياكبسون

وهاليدي، بينما ذهب البعض الآخر، ونعني اللغويين غير الوظيفيين، إلى نفي هذا الدور عن اللغة، فتشومسكي مثلا يرى بأنه إذا كانت للغة وظيفة فهي وظيفة التعبيرعن الفكر [12].

2-2:الوظيفة والبنية : يعتبر النحو الوظيفي اللغة نسقا مجردا يؤدي مجموعة من الوظائف، أهمها وظيفة التواصل، وأن بنيتها لا يمكن أن ترصد خصائصها إلا إذا ربطت بوظيفتها؛ وذلك لأن الوظيفة هي التي تحدد البنية؛ أي أن خصائص البنية الصرفية التركيبية للعبارة اللغوية مرتبطة ارتباط تبعية بالغرض التواصلي المراد منها.

ويستمد هذا الافتراض قوته ووروده من كونه لا ينطبق على اللغات فحسب بل كذلك على كل ما يستعمل وسيلة لتحقيق غرض معين، ومن ذلك أن بنية أعضاء الجسم البشري مثلا تحددها وظيفتها، لا العكس، فكل عضو من هذه الأعضاء بني على شكل محدد بحسب الوظيفة التي يؤديها[13].

2 - 3: موضوع الوصف اللغوي: موضوع الدرس اللساني هو وصف أو استكشاف القدرة التواصلية للمتكلم/السامع.وهذه القدرة لا تنحصر في معرفة القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية وإنما تتعداها إلى معرفة القواعد التداولية التي تمكن مستعمل اللغة من إنتاج وفهم عبارات لغوية سليمة في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض محددة، إنها قدرة شاملة واحدة لا تتجزأ[14]. وبما أن هذه القدرة تتألف من عدة ملكات صيغ نموذج مستعمل اللغة الطبيعية في النموذج المعيارعلى أساس أنه جهاز يتضمن مجموعة من القوالب: قالب نحوي (وهو القالب المركزي) ، وقالب شعري ، وقالب اجتماعي ، وقالب معرفي، وقالب إدراكي، وقالب منطقي. يفي كل قالب منها بوصف ملكة من هذه الملكات [15].

ويستدعي هذا المبدأ، بالإضافة إلى ما ذكر، أن نشير إلى أمرين:

الأول : أن القدرة التواصلية تمثلها قدرتان : قدرة لغوية وقدرة تداولية.فأما القدرة اللغوية فتتمثل في معرفة القواعد الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية، وهي - بهذا - التحديد موضوع النظريات غير الوظيفية، كالنظريات البنيوية والنظريات التوليدية، فهذه النظريات تحصر موضوع بحثها في اللسان /القدرة، ولا تهتم بدراسة الكلام أو الإنجاز في المقام التواصلي؛ لأن هذا المجال في نظرها خارج اختصاص اللسانيات [16]. وأما القدرة التداولية فتتمثل في معرفة القواعد التداولية. والقدرتان معا (القدرة اللغوية والقدرة التداولية) تشكلان القدرة التواصلية، وهي موضوع نظرية النحو الوظيفي.

والآخر: أن القدرة التي يكتسبها مستعمل اللغة الطبيعية هي قدرة تواصلية، تمثلها مجموعة من المبادئ العامة (كليات لغوية) يفطر عليها الطفل، تمكنه بمعونة محيطه من اكتساب لغة العشيرة اللغوية التي ينمو فيها. وبالتالي، فهو يكتسب من محيط اجتماعي معين نسقين مترابطين، نسق اللغة (قدرة لغوية محضة) ونسق استعمالها (قدرة على التواصل مع محيطه الاجتماعي)[17].

2 - 4: ضوابط الوصف اللغوي: تتلخص مطامح النحو الوظيفي في تحقق الكفاية التفسيرية، والكفاية التفسيرية، في هذه النظرية – يقول المتوكل – ثلاث كفايات مترابطة ومتكاملة : الكفاية التداولية، والكفاية النفسية، والكفاية النمطية:[18]

أولا – الكفاية التداولية: يقترح النحو الوظيفي في إطار السعي إلى تحقيق الكفاية التداولية بنية للنحو تفرد ثلاثة مستويات تمثيلية مستقلة لرصد الوظائف التي تجسد مختلف العلاقات التي تربط بين مكونات العبارة اللغوية. وهذه المستويات هي:[19]

- مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية (المنفذ والمتقبل والمستقبل والمستفيد....)،

- مستوى لتمثيل الوظائف التداولية أو الوجهية (الفاعل والمفعول)،

- ومستوى لتمثيل الوظائف التداولية (المبتدأ والمحور والبؤرة ...).

حيث تحدد الوظائف الدلالية الأدوار التي تقوم بها موضوعات المحمول بالنسبة للواقعة التي يدل عليها، وتحدد الوظائف التركيبية الوجهة المنطلق منها في وصف الواقعة الدال عليها محمول الحمل، وفي الأخير، تحدد الوظائف التداولية العلاقات القائمة بين مكونات الجملة بالنظر إلى الوضع التخابري بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقامية معينة.

ونشير هنا إلى أن قيام النحو الوظيفي على مبدإ تبعية البنية للوظيفة هو ما يفسر:

- كون المستوى التداولي والمستوى الدلالي يحتلان داخل النموذج موقعا مركزيا؛ حيث يحددان الخصائص الممثل لها في المستوى الصرفي- التركيبي، في حين، في النظريات غير الوظيفية لا يقوم المستوى التداولي إذا وجد إلى جانب المستوى الدلالي إلا بدور تأويلي بالنظر إلى المستوى الصرفي- التركيبي [20].

- اعتبار هذه الوظائف، في النحو الوظيفي، مفاهيم أولى؛ لكونها تشتق من البنية التحتية. والبنية التحتية – كما سيتضح فيما بعد- تنقل إلى بنية مكونية. ووفقا لهذا، يتم بناء البنية المكونية انطلاقا من المعلومات المتواجدة في البنية التحتية لا العكس، بينما في النظرية التوليدية مثلا، تعتبر الوظائف النحوية مفاهيم مشتقة من بنيات مركبية، وبعبارة أوضح، تعتبر هذه الوظائف علاقات مشتقة من البنية الشجرية الممثل

فيها للجملة، فالفاعل هو المركب الاسمي الذي تعلوه مباشرة مقولة الجملة والمفعول هوالمركب الاسمي الذي تعلوه مباشرة مقولة المركب الفعلي [21].

ثانيا- الكفاية النفسية: في إطار السعي إلى تحقيق الكفاية النفسية حاول النحو الوظيفي، من خلال نماذجه المقترحة، أن يكون قدر الإمكان مطابقا للنماذج النفسية سواء نماذج الإنتاج أم نماذج الفهم، وتحقيقا لهذا:

لم يعتمد على القواعد التي شكك في واقعيتها النفسية كالقواعد التحويلية التي اعتبرت في النماذج اللغوية المقترحة في إطار النظرية التوليدية مكونا من مكوناته [22].

صيغت نماذجه على أساس أن التواصل، أيا كان نمطه، يقوم من حيث بنيته على أربعة أركان أساسية: [23]

- انتقاء النمط التواصلي وإطاره العام (المركز الإشاري، الأسلوب، ...)؛
- تحديد القصد التواصلي (إخبار، سؤال، وعد، وعيد، أمر، .....)؛
- انتقاء الفحوى الدلالي المراد تمريره والذي يلائم القصد التداولي؛
- صياغة القصد والفحوى في بنية صورية مناسبة.

ومفاد هذا أن إنتاج العبارة اللغوية ينطلق من القصد إلى النطق عبر الصياغة، وفقا للترسيمة التالية: قصد- صياغة- نطق.

ومن حيث المراحل، يمكن افتراض أن التواصل يتم انطلاقا من البنية التحتية (الدلالية والتداولية) وانتهاء بالبنية المكونية(الصرفية– التركيبية والفونولوجية) في حالة الإنتاج، على أن يتخذ الاتجاه العكسي في حالة التأويل [24].

ثالثا- الكفاية النمطية: وتتحقق – يقول المتوكل- في جانبين: "جانب تمحيص انطباقية النظرية على أكبر عدد ممكن من اللغات المتباينة الخصائص، وجانب تنميط اللغات ووضع أنحاء لكل نمط مع رصد تطورها بالانتقال داخل النمط الواحد أو من نمط إلى نمط"[25]. وقد تسنى للبحث الوظيفي العربي أن يغني الكفاية النمطية في كلا جانبيها:

الأول: ببناء نحو اللغة العربية الوظيفي في مراحل أربع مسايرة لتطور النظرية الوظيفية، بدءا من النموذج النواة وانتهاء بنموذج نحو الخطاب الوظيفي، مقارنا إياها باللغات التي تنامطها واللغات المنتمية إلى أنماط مغايرة[26].

الآخر: باقتراح الإطار النظري العام الذي يكفل تنميط اللغات ويتيح رصد تطورها؛ حيث تم تصنيفها إلى نمطين: لغات موجهة تداوليا كالعربية، ولغات موجهة دلاليا كالفرنسية والانجليزية. والمعيار المعتمد في هذا التنميط هو السمات التداولية والدلالية على الخصوص؛ أي سمات المستويين العلاقي والتمثيلي، فاللغات الموجهة تداوليا هي اللغات التي تغلب المستوى العلاقي واللغات الموجهة دلاليا هي التي تغلب المستوى التمثيلي [27].

وللإشارة، لا يفهم هنا أن سعي نظرية النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاية النمطية جعلها بعيدة عن تحقيق الكفاية الكلية؛ وذلك لأن تحقيق الأولى رهين بتحقيق الثانية، يقول المتوكل موضحا الفكرة:" إن المطلوب من نظرية النحو الوظيفي هو بناء أنحاء نمطية لفصائل اللغات المنتمية إلى النمط الواحد وأنحاء خاصة للغات معينة، والذي يشكل منطلقا لبناء الأنحاء النمطية والأنحاء الخاصة هو النحو الكلي، من منطلق أن الأنماط اللغوية واللغات الخاصة هي نتيجة للتحقيقات المختلفة لما يتضمنه النحو الكلي من مبادئ وإواليات"[28].

لذلك، إذن، تعد الكفاية الكلية من الأهداف الأساسية التي تعمل على تحقيقها نظرية النحو الوظيفي، بل كل النظريات اللسانية الوظيفية منها وغير الوظيفية، وإن اختلفت في طبيعة الكليات اللغوية، فهي في نظرية النحو الوظيفي كليات وظيفية (دلالية وتداولية) تربط بين البنية والوظيفة، من منطلق ترابط بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية وتبعية بنيتها لوظيفته، بينما هي في النظريات غيرالوظيفية كليات صورية، هي ثوابت صورية أو مبادئ عامة يتم تثبيتها عن طريق وسائط معينة[29]، يقول تشومسكي في هذا السياق: إن الطفل مزود بملكة لغوية فطرية يحددها استعداده الأحيائي لا التجربة تسمى بالحالة الذهنية الأولى، وتتكون من مجموعة من المبادئ العامة التي تحكم جميع اللغات الطبيعية، تنقل هذه الحالة عن طريق التجربة اللغوية إلى حالة أخرى تجسد الاختلاف اللغوي من خلال مجموعة محدودة من الوسائط العامة ذات قيم غير موسومة، تقوم اللغات بوسم سمة من سماتها وتثبيتها وفقا لمعطياتها اللغوية الخاصة بها[30] .

من هنا يظهر أن الجمع بين النزعتين (الكلية والنمطية) هو ما تسعى إلى تحقيقه نظرية النحو الوظيفي، فتكون بالتالي، في وضع وسط بين النمطية الاستقرائية الصرف والكلية الاستنباطية [31]. وهي حاليا في هذا الموقع بالنظر إلى أنها استكشفت خصائص أكبر عدد ممكن من أنماط اللغات، ورصدت ما يميز بينها، دون أن تغفل ما يجمع بينها باعتبارها تجليات لنسق تواصلي واحد، هو نسق اللسان الطبيعي.

هذه هي مبادئ النحو الوظيفي، ليس كلها وإنما أهمها فقط، مما يوضح موضوع هذه النظرية ومنهجها وغاياتها. وبهذا يمكن أن ننتقل إلى الحديث، ولو بإيجاز، عن بنية الجملة، ومن ثم مراحل اشتقاقها في النحو الوظيفي. وهذا المبحث لابد منه لكي يتسنى لنا فهم واستيعاب مقاربة ظاهرة الإعراب في نحو اللغة العربية الوظيفي، من خلال تحديد المرحلة التي يمثل لها بصفة مجردة والمرحلة التي يتم فيها تحققها الصرفي.

3 - **بنية الجملة في النحو الوظيفي:** يتم اشتقاق الجملة في نظرية النحو الوظيفي عبر بناء ثلاث بنيات: بنية حملية، وبنية وظيفية، وبنية مكونية. ويتم بناء هذه البنيات عن طريق تطبيق ثلاثة أنساق من القواعد: قواعد الأساس وقواعد إسناد الوظائف وقواعد التعبير؛ حيث يضطلع الأساس بإعطاء إطار حملي يشكل دخلا لقواعد بناء البنية الحملية التامة التحديد، تنقل هذه البنية إلى بنية وظيفية عن طريق قواعد إسناد الوظائف، وبتطبيق هذه القواعد نحصل على بنية وظيفية تامة التحديد تشكل دخلا لقواعد التعبير التي تضطلع ببناء بنية مكونية على أساس المعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية، وباكتمال البنية المكونية تكون الجملة جاهزة للتحقق الصوتي. ويمكن تفصيل ما أجملناه هنا كما يأتي:

3 - 1: **البنية الحملية:** ينقسم الأساس إلى عنصرين: المعجم وقواعد تكوين المحمولات والحدود. يمثل المعجم قائمة من المفردات الأصول (المحمولات والحدود)، بينما تمثل قواعد التكوين مجموع القواعد المسئولة عن تكوين المفردات المشتقة عن طريق قواعد الاشتقاق (قواعد تكوين المحمولات وقواعد تكوين الحدود)[32].

ويعود افتراض انقسام المعجم إلى هذين العنصرين إلى الخصائص المعجمية للغات الطبيعية، ونعني هنا خاصية انقسام المفردات – حسب نظرية النحو الوظيفي – إلى قسمين: مفردات أصول ومفردات مشتقة. فأما المفردات الأصول فهي المفردات التي يجب تعلمها كما هي قبل استعمالها وتأويلها الاستعمال والتأويل الصحيحين، بعبارة أخرى، تعد مفردات أصولا المفردات التي يتحتم على المتكلم السامع تعلمها ليتسنى له استعمالها وفهمها، وأما المفردات المشتقة فهي المفردات التي يمكن للمتكلم السامع أن يصوغها ويستعملها ويفهمها الاستعمال والفهم الصحيحين سواءأسبق له أن استعملها أم سمعها من قبل أم لا[33].

وبناء على هذا التمييز، ذهب أحمد المتوكل– بالاعتماد على معيار البساطة (بساطة المفردة معنى ومبنى)- إلى أن المفردات الأصول في اللغة العربية هي المفردات الفعلية المصوغة على الأوزان "فعَل"و"فعِل"و" فعُل"و"فعلل"وأسماء الذوات، وأن ما عداها من الأسماء والأفعال هي مفردات مشتقة[34].

ومهما يكن أمر هذا الاستنتاج، المهم هنا أن المعجم يضطلع بالتمثيل للمفردات الأصول في شكل مداخل معجمية، في حين تتكفل قواعد تكوين المحمولات برصد المفردات التي تشكل فروعا للمفردات الأصول.

وتشكل المفردات الموجودة على شكل قوائم في المعجم أو الناتجة عن تطبيق قواعد التكوين بنية تشتمل على محمول دال على واقعة وعدد معين من الحدود تمثل المشاركين في هذه الواقعة، ويمثل لهذه البنية في النحو الوظيفي بوساطة إطار حملي تتحدد فيه:

أ- صورة المحمول.

ب - مقولة المحمول التركيبية (فعل، اسم، صفة، ظرف).

ج- عدد محلات موضوعاته.

د- الوظائف الدلالية التي تحملها هذه المحلات.

ه- قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول على محلات حدوده[35].

ولتوضيح مقولة المحمول ومحلاته وقيود الانتقاء التي يفرضها على محلات الحدود نأخذ الإطار المحمولي للفعل (كتب) في المثال الآتي: كتب خالد رسالة.

فالفعل (كتب) يأخذ الإطار الحملي المجرد التالي :[ك ت ب ف (س1:إنسان)منف(س2:مكتوب) متق].

حيث : تشير الأحرف (كتب)إلى المادة الأصل للمحمول أو صورته التي تأتي على وزن "فَعَل"، ويشير الرمز (ف) إلى المقولة الصرفية للمحمول؛

أي أن (كتب)محمول فعلي يأخذ موضوعين اثنين، نعبر عنهما بالمتغيرين (س1 و س2)، يفرض عليهما قيودا خاصة (س1: المتغير الأول يرتبط بسمة إنسان) وهو الذات المشاركة في عملية الكتابة المرموز لها ب (منف)؛ أي أن المنفذ، والمتغير الثاني (س2: يرتبط بسمة لا إنسان/شيء مكتوب) الذي يحمل الوظيفة الدلالية المرموز لها ب (متق)؛ أي المتقبل لعملية الكتابة.

قلنا : يتشكل الإطار الحملي من محمول يدل على واقعة وعدد من الحدود تدل على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها المحمول. تصنف الوقائع، في نظرية النحو الوظيفي، إلى أعمال أو أحداث أو أوضاع أو حالات، وتصنف الحدود، من حيث أهميتها بالنسبة للواقعة المدلول عليها، إلى صنفين: الحدود الموضوعات والحدود اللواحق. تعد الأولى أساسية لأنها تدخل في تعريف الواقعة أي يقتضيها المحمول على وجه الإجبار، كالحد المنفذ والمتقبل والمستقبل وتعد الأخرى (الحدود اللواحق) ثانوية لأنها لا تسهم في تعريف الواقعة، إذ يقتصر دورها على تخصيص الظروف أو الملابسات المحيطة بالواقعة، كأن تدل على زمانها أو مكانها أوعلتها،... ويرمز للحدود الموضوعات بالمتغيرات(س1، س2، ...س ن) وللحدود اللواحق بالمتغيرات(ص1، ص2، ...ص ن)، وبإضافتها تكون بنية الحمل التامة:

الحمل = محمول + حدود موضوعات (س1، (س2، (س ن) + حدود لواحق(ص1)، (ص2) ،(ص ن).

وللإشارة، لا يتضمن الإطار الحملي مصدر اشتقاق الجملة إلا الحدود الموضوعات، وبإضافة محل حد لاحق أو محلات حدود لواحق ينقل الإطار الحملي الذي اصطلح عليها اسم الإطار الحملي النووي إلى إطار حملي موسع. ويشكل هذا الإطار سواء أكان نوويا أم موسعا دخلا لقواعد إدماج الحدود التي يتم بوساطتها إدماج أو ملء محلات الحدود بالمفردات

الملائمة طبقا لقيود التوارد، كأن ننتقي من المعجم المفردات: (خالد، رسالة) للمحمول (كتب)، وبهذا الشكل نحصل على بنية حملية جزئية. ويحصل على بنية حملية تامة التحديد بتطبيق مجموعتين من القواعد: قواعد تحديد مخصص المحمول وقواد تحديد مخصصات الحدود[36].

يقصد بمخصص المحمول المقولات الثلاث: مقولة الصيغة ومقولة الجهة ومقولة الزمن.

- المقولات الصيغية تمثلها في اللغة العربية صيغتان: صيغة التدليل (تد) التي تواكب المحمول في الجملة البسيطة المستقلة، مثل: يدرس الطلبة النحو الوظيفي، وصيغة التذييت (تذ) التي تواكب المحمول في الجمل المدمجة، من قبيل: يخاف الأستاذ أن يرسب الطلبة.

- المقولات الجهية: هي مقولات تحدد البنية الداخلية للواقعة الدال عليها المحمول؛ حيث تكون هذه الواقعة إما تامة أو غير تامة، مستمرة أو غير مستمرة، مشروعا فيها أو مقاربة،...

- المقولات الزمنية: وهي، بالنظر إلى زمن المتكلم، الماضي والحاضر والمستقبل، تتفرع إلى مقولات زمنية ثانوية أو فرعية كالماضي المطلق والماضي النسبي، ...الخ.

ويقصد بمخصصات الحدود المقولات الآتية: التعريف والعدد والجنس والإشارة والتسوير. يؤشر لها في بنية الحد، كما يظهر من التمثيل الحملي لمفردة الرسالة.

(ع1 ث س1: رسالة (س1))

حيث: ع= معرف، 1= مفرد، ث= مؤنث.

وبتطبيق قواعد تحديد مخصص المحمول ومخصصات حدوده نحصل على بنية حملية تامة التحديد كالبنية الحملية لقولنا: شرب خالد الشاي في المقهى.

(تد) تا(مض شرب ف (ع1م س1: خالد (س1) منف

(ع1 م س2: شاي (س2) متق

(ع 1 ث ص 1: في المقهى) مك)

حيث تد: تدليل، وتا: تام، ومض: ماض، ومنف:منفذ، ومتق: متقبل، ومك: مكان.

3 - 2 : البنية الوظيفية: تنقل البنية الحملية التامة التحديد إلى بنية وظيفية بواسطة تطبيق قواعد إسناد الوظائف وقواعد تحديد مخصص الحمل التي تتخذ دخلا لها البنية الحملية كما حدد بناؤها سابقا.

أ - قواعد إسناد الوظائف: بواسطة هذه القواعد تسند الوظائف التركيبية ثم الوظائف التداولية، وأما الوظائف الدلالية فيؤشر لها، كما مر بنا، بدءا في المدخل المعجمي ذاته.

1 - إسناد الوظائف التركيبية: [37] يتشكل حمل الجملة من محمول دال على واقعة وعدد من الحدود الدالة على المشاركين في الواقعة الدال عليها المحمول. تقدم الواقعة التي يدل عليها محمول الحمل حسب وجهة معينة؛ أي حسب وجهة حدود الحمل. والوجهة، في نظرية النحو الوظيفي، يمثلها حدان اثنان: الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة التي تقدم انطلاقا منها الواقعة الدال عليها محمول الحمل؛ والحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة. وبالتوالي، تسند الوظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة، وتسند الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة، ففي قولنا: كتب الطالب رسالة البارحة. يظهر أن الوجهة المقدمة انطلاقا من الواقعة (الكتابة) تنقسم إلى منظورين: المنظور الرئيسي لهذا المنطلق منها في تقديم الواقعة، وهو الفاعل (الطالب)، والمنظور الثانوي في تقديم الواقعة، وهو المفعول به (رسالة). والسلمية التي تضبط إسناد وظيفتي الفاعل والمفعول وفقا لسلمية الوظائف الدلالية .

منف> متق> مستق> مستف> أد> مك> زم...

فا + + + + + + +

مف - + + + + + +

ويفاد من هذه السلمية:

- إن الوظيفة التركيبية (الفاعل) تسند إلى الحد الذي يحمل الوظيفة الدلالية المنفذ وما يحاقله(القوة، المتموضع، الحائل)، ثم الوظيفة المتقبل في المستقبل، فالمستفيد، وهكذا دواليك مع الأداة والمكان والزمان.

- أن الوظيفة التركيبية (المفعول) تستأثر بها الوظيفة الدلالية (المتقبل)، ثم (المستقل)، وهكذا دواليك.

- أن الوظيفة التركيبية (المفعول) لا تسند إلى الوظيفة الدلالية (المنفذ) وما يحاقله.

- أن الوظائف غير الأساسية كالأداة والمكان والزمان لا تقوم بينها سلمية، إذ يمكن إسناد وظيفتي الفاعل والمفعول إليها حين لا يوجد في الحمل حد آخر من الحدود ذات الأسبقية.

2 - **إسناد الوظائف التداولية:** [38] تنتقل البنية الوظيفية الجزئية إلى بنية وظيفية تامة عن طريق إسناد الوظائف التداولية، وهي مجموعة من الوظائف تسند إلى حدود المحمول على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقال؛ أي حسب طبيعة المعلومات الإخبارية التي تحملها، وطبقا للطبقات المقامية التي يمكن أن تنجز فيها الجملة.

وتشمل الوظائف التداولية في نظرية النحو الوظيفي خمس وظائف، تصنف، بالنظر إلى موقعها بالنسبة إلى الحمل، إلى صنفين: وظائف خارجية ووظائف داخلية. تسند الوظائف الخارجية (المنادى والمبتدأ والذيل) إلى المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل، وتسند الوظيفتان الداخليتان (المحور

والبؤرة) إلى حدود الحمل سواء أكانت من الموضوعات أم من اللواحق.

ومما تشترك فيه الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية والوظائف التداولية أن إسنادها يحكمه قيد يسمى قيد أحادية إسناد الوظائف، ومفاده أن موضوعات البنية الحملية تسند إليها وظائف دلالية ووظائف تركيبية ووظائف تداولية على أساس أن:

- كل موضوع لا تسند له أكثر من وظيفة واحدة من كل نوع من الوظائف الثلاث في نفس الحمل.

- لا وظيفة تسند إلى أكثر من موضوع واحد داخل نفس الحمل.

ويصدق هذا القيد بشقيه على الوظائف الدلالية والوظائف التركيبية في حين لا يصدق على الوظائف التداولية إلا بالنسبة للشق الأول، فبالنسبة لوظيفة بؤرة الجديد يمكن أن تسند إلى أكثر من مكون واحد في الجمل الاستفهامية والخبرية، كما يظهر من الجمل:**من** قابل **من**؟ قابل **زيد خالدا**.من أخبر **من بماذا**؟ أخبر **زيد خالدا بنجاحه**. وكذلك بالنسبة لوظيفة المحور، يمكن أن تسند إلى مكونين، كما يظهر من قولنا: أعطى **خالد الكتاب** زيدا[39].

وأما ما تتمايز فيه، فمنه:

- اختلاف مراحل إسنادها ؛ حيث يؤشر للوظائف الدلالية، وبالتالي تسند في البنية الحملية، وأما الوظائف التركيبية والوظائف التداولية فتسند في البنية الوظيفية. والسبب في وجود هذا الاختلاف يعود إلى طبيعة سماتها، فسمات الوظائف الدلالية لازمة، وبالتالي، يؤشر لها في المداخل المعجمية، بينما سمات الوظائف التركيبية والوظائف التداولية ليست لازمة، هي سمات يحددها السياق (سياق الخطاب) لذلك تسند في مرحلة لاحقة من مراحل اشتقاق الجملة؛ أي بعد إدماج الحدود في محلاتها [40].

اختلاف طبيعتها من حيث الكلية والنمطية، والمقصود هنا أن الوظائف الدلالية والوظائف التداولية عدت من المفاهيم الكلية لثبوت ورودها في وصف جميع اللغات الطبيعية، بخلاف الوظائف التركيبية، فهي من المفاهيم الخاصة لثبوت ورودها في وصف بعض اللغات كاللغة العربية، وعدم ورودها في وصف البعض الآخر كاللغة الهنغارية[41].

ب - تحديد مخصص الحمل: [42] والمراد بمخصص الحمل ما يعرف بالقوة الإنجازية، كالإخبار والسؤال والأمر والدعاء،...وهي، بالنظر إلى مقامات انجازها، قوتان: قوة انجازية حرفية وقوة انجازية مستلزمة، القوة الإنجازية الحرفية هي القوة الإنجازية المعبر عنها في الجملة بالتنغيم أو بالأداة أو بصيغة الفعل أو بفعل من زمرة الأفعال الإنجازية، كالأفعال: سأل، قال، وعد، وأما القوة الإنجازية المستلزمة فهي القوة الإنجازية التي تستلزمها الجملة في طبقات مقامية معينة، كما في قولنا :هل تفتح لي الباب؟ فهذه الجملة تحمل، بالإضافة إلى قوتها الإنجازية الحرفية الاستفهام، قوة إنجازية مستلزمة مقاميا هي الالتماس.

ويؤشر للقوة الإنجازية عن طريق مخصص الحمل؛ حيث يؤشر للقوة الإنجازية الواحدة بمخصص حمل بسيط وللقوة الإنجازية المزدوجة (حرفية ومستلزمة) بمخصص حمل مركب، كما توضحه البنية الوظيفية للجملة: أو خسر الفريق؟

[سه [نك [تد[تا[مض خسر ف

(ع1م س1: فريق (س1) فامح]] بؤمقا]]

حيث: سه استفهام، ونك إنكار، ومح محور، و بؤمقا: بؤرة مقابلة.

وبإسناد الوظائف التركيبية والتداولية وتحديد مخصص المحمول نحصل على بنية وظيفية تامة التحديد، تشكل دخلا لقواعد التعبير التي تضطلع ببناء البنية المكونية على أساس المعلومات المتوفرة في البنية الوظيفية.

3 3- البنية المكونية: يقصد بالبنية المكونية البنية الصرفية – التركيبية. ويتم بناؤها عن طريق تطبيق نسق تطبيق قواعد التعبير. وهذه القواعد هي في الأصل مجموعة من القواعد الصرفية والتركيبية والصوتية، تصنف، بالنظرعلى مجال تطبيقها، كالآتي :

قواعد صيانة المحمول: ويتمثل دورها في نقل المحمول من صورته المجردة إلى صورته المحققة المصاغة صياغة صرفية تامة، وذلك انطلاقا من المعلومات المجردة المتوفرة في البنية الحملية العامة التي تشمل – كما سبق التمثيل لها – صورة المحمول المجردة التي تتكون من الجذر الذي يتكون منه المحمول، ووزنه، ومقولته التركيبية (فعل، اسم، صف) ومخصصاته الصيغية والجهية والزمنية[43].

قواعد صياغة الحدود: تتكفل هذه القواعد بنقل الحدود من صورتها المجردة في البنية الحملية إلى صورتها المحققة المصاغة صياغة صرفية تركيبية تامة، ويتم هذا من خلال العمليات الآتية:

- انتقاء رأس المركب من المقيدات المتواجدة في الحد وأخذ المقيدات الأخرى وضع الفضلة، كما يظهر من الجملة : نجح الطالب المجتهد المواظب؛ حيث انتقينا رأسا للمركب (الطالب) وبقيت المقيدات الأخرى (المجتهد والمواظب) فضلات.

- تحقيق مخصصات الحد في شكل محددات؛ أي في شكل معددات، وأسوار،(كل، جميع، بعض)، وأداتا التعريف والتنكير، ومشيرات(أسماء إشارة).

- تحقيق العاطف في شكل أداة عطف حين يتعلق الأمر بالحدود المعطوفة.

- ترتيب عناصر المركب (رأس فضلة) .

- إسناد الحالات الإعرابية إلى عناصر المركب أو إلى المركب باعتباره كلا

44 .

قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية والمعلقات: من المعروف أن المكونات التي تتصدر الحمل أنماط ثلاثة: المكونات الحدود، وتنتمي إلى هذا النمط أسماء الاستفهام، وبما أنها من الحدود فإن ادمجاها يتم في المراحل الأولى من اشتقاق الجملة. ومؤشرات القوة الإنجازية (الهمزة وهل وأو الدالة على الاستفهام الإنكاري والأداة إن). والأدوات المعلقة، وهي الأدوات التي تقوم بدور التعليق بين مكونين أوبين حملين، كالأداة أن والضمائر الموصولة، ... وهذان النمطان يتم إدماجهما في مرحلة متأخرة من الاشتقاق عن طريق إجراء إحدى مجموعات القواعد التي تشكل نسق قواعد التعبير، وهي قواعد إدماج مؤشر القوة الإنجازية والمعلقات [45].

قواعد الموقعة: يتم ترتيب العناصر اللغوية أو المكونات التي تشكل البنية الحملية في مرحلة لاحقة من الاشتقاق بواسطة نسق قواعد الموقعة. والملاحظ في نظرية النحو الوظيفي أن رتبة هذه المكونات تتحد بتفاعل أربعة وسائط وفق السلمية الآتية:[46]

التعقيد المقولي> الوظائف التداولية> الوظائف التركيبية> الوظائف الدلالية.

ويفاد من هذه السلمية :

- أن وسيط التعقيد المقولي يستأثر بالغلبة في تحديد الرتبة، حيث تتقدم المكونات البسيطة على المكونات المعقدة والأكثر تعقيدا، كما يظهر من المقارنة بين الجمل الآتية:

- علم زيد أن خالدا لم يعد يهتم بالسفر إلى الخارج.

؟؟؟ علم أن خالدا لم يعد يهتم بالسفر زيد.

- ؟؟؟ أن خالدا لم يعد يهتم بالسفر علم زيد.

إذ يتبين أن المكون المعقد مقوليا، وهو الجملة : أن خالدا لم يعد يهتم بالسفر إلى الخارج، يحتل الموقع الأخير أيا كانت وظيفته التركيبية والتداولية.

- وأن الوظائف التداولية تحجب دور الوظائف التركيبية في ترتيب المكونات، وتحجب الوظائف التركيبية دور الوظائف الدلالية. ويمكن أن نمثل لأولوية الوظائف التداولية بالجملة: شايا شرب خالد. فالملاحظ أن المكون (شاي) يحتل صدر الجملة بمقتضى وظيفته التداولية بؤرة مقابلة، وكان من المفروض أن يحتل بحكم وظيفته التركيبية المفعول الموقع الموالي لموقع الفاعل، نحو قولنا: شرب خالد شايا.

وانطلاقا من تفاعل هذه الوسائط الأربعة وما يتصل بها من مبادئ، اقترحت بنية موقعية عامة، تعكس ترتيب المكونات في جمل اللغات الطبيعية، صيغت كالآتي : م4 ، م2 ، م1 ف فا مف، م3 [47].

وقد صنفت المواقع في هذه البنية إلى صنفين: مواقع داخلية (م1، ف، فا، مف)، تحتلها على التوالي المكونات (الأحرف أو الأدوات أو الأسماء) التي لها حق الصدارة يليها موقع الفعل (ف) ثم الفاعل (فا) فالمفعول (مف) ، مثلما تبينه الجملة: متى يقيم زيد الحفلة؟ بترتيبات مختلفة بالنسبة للفعل والفاعل والمفعول، فقد تكون (فا، ف، مف)، أو(مف، فا، ف)، حسب طبيعة أنماط اللغات؛ حيث تكيف هذه الأخيرة البنية الموقعية العامة طبقا لنمطها وخصائصها البنيوية والتداولية. ومواقع خارجية (م4، م2، م3)، تحتلها على التوالي المكونات المنادى: يا طالب العلم ،اجتهد. والمبتدأ: زيد أبوه مريض. والبدل / قرأت الكتاب نصفه.

- **قواعد إسناد النبروالتنغيم:** تشكل الجملة بعد ترتيب عناصرها دخلا للمجموعة الأخيرة من قواعد التعبير، يتم بوساطتها استكمال بناء البنية المكونية بتحديد التمثيل الصوتي للجملة بحيث تطابق الخصائص الصوتية والفونولوجية المناسبة لها؛ وذلك عن طريق إسناد

النبر والتنغيم، وهي آخر مرحلة من مراحل بناء الجملة قبل التمثيل الصوتي لها.

يسند النبر المركزي في الجملة إلى المكون الحامل للوظيفة التداولية البؤرة، بؤرة الجديد، كما في قولنا شرب خالد شايا (بنبر على" شاي) أو بؤرة المقابلة، كما في قولنا : شايا شرب خالد(بنبر على"شاي")؛ حيث تعد الجملة الأولى إجابة عن: ماذا شرب خالد؟ والثانية إجابة عن:أشايا شرب خالد أم قهوة ؟.

ويسند التنغيم وفقا لمخصص الحمل؛ أي لمؤشر قوته الإنجازية، فمثلا في قولنا: هل عاد زيد من السفر؟ تسند إلى القوة الإنجازية الاستفهام نغمة صاعدة[48].

وبإجراء قاعدتي إسناد النبروالتنغيم نحصل على بنية مكونية تامة التحديد، تشكل دخلا لقواعد التأويل الصوتي؛ أي تكون البنية قابلة للتأويل الصوتي.

3 - 4 / أهم التطورات التي مست نموذج مستعمل اللغة من النموذج النواة إلى نموذج نحو الخطاب الوظيفي: يمكن إجمال أهم التطورات (التعديلات والإغناءات) التي مست نموذج مستعمل اللغة من النموذج النواة إلى نموذج نحو الخطاب الوظيفي فيما يلي:

1 - أدمجت البنية الحملية والبنية الوظيفية في بنية واحدة اصطلح عليها اسم البنية التحتية تمتاز بالسمات التالية:[49]

- تمثل للمعلومات المتعلقة بالخصائص الدلالية والخصائص التداولية والخصائص النحوية (الصرفية -التركيبية)، وتنقل عن طريق تطبيق قواعد التعبير إلى بنية مكونية يتم فيها تحقق كل هذه الخصائص.

- العناصر المتوفرة في هذه البنيات فئات ثلاث: وحدات معجمية ومخصصات ووظائف.

- تنتمي هذه العناصر إلى طبقات أربع (الحمل النووي والحمل الموسع والقضية والجملة أو الطبقة الإنجازية) تحكمها سلمية معينة.

2 - بعد ثبوت أطروحة التماثل البنيوي بين الجملة والنص، [50] صيغت البنيتان التحتية والمكونية وبالتالي بنية مختلف الأنماط الخطابية مهما تباينت مجالا أو آلية، على أساس احتوائهما أربعة مستويات : مستوى علاقي ومستوى تمثيلي ومستوى صرفي تركيبي ومستوى فونولوجي، يتضمن كل منها طبقات يعلو ويحكم بعضها بعضا[51].

من هذا العرض الموجز لبنية الجملة في النحو الوظيفي تبين لنا كيف يتم تطبيق قواعد التعبير على أساس المعلومات المتوفرة في البنية التحتية. وبما أن قواعد إسناد الحالات الإعرابية تندرج ضمن قواعد صياغة الحدود، وبالتالي ضمن قواعد التعبير، سنفرد لها هذا المبحث لنبين، بشيء من التفصيل، كيف يتم تطبيقها على أساس المعلومات المتوفرة في البنية التحتية لتحقيق أهم مبادئ نظرية النحو الوظيفي، وهو تبعية البنية للوظيفية. ويشمل هذا المبحث العناصر الآتية: مفهوم الإعراب، وأنماطه، وأنواع الحالات الإعرابية وقواعد إسناد الحالات الإعرابية، وأخيرا إعراب المركب والمحمول.

4 - الإعراب في نحو اللغة العربية الوظيفي:

4-1/ مفهوم الإعراب: يقصد بالإعراب في النحو الوظيفي الاختلافات الصرفية التي تلحق حدود المحمول وفقا للوظائف التي تسند إليها، وبتعبير آخر، يعد الإعراب في النحو الوظيفي مفهوما صرفيا يرتبط بصورة أو بنية الحدود الصرفية وما يطرأ عليها من أحوال ناتجة عن اللواصق الصرفية التي تلحق بها بمقتضى الوظائف المسندة إليها[52].

ويستدعي هذا التعريف الإشارة إلى:

- يعد الإعراب في النحو الوظيفي سمة صرفية مجردة غالبا ما تتحقق

في صورة صرفية بارزة تلحق بأواخر المكونات الحدود وفقا للوظائف المسندة إليها.

- محددات الإعراب في هذه النظرية هي الوظائف لا العلاقات التركيبية كما في النظرية التوليدية، يقول **المتوكل** موضحا هذا الفرق:" يرتبط الإعراب في النحو الوظيفي بالوظائف (الدلالية، التوجيهية، التداولية) المسندة إلى حدود الجملة لا بالعلاقات التركيبية (الشجرية) القائمة بينها. فالمركب يأخذ إعرابه بالنظر إلى وظيفته لا بالنظر إلى موقعه، لذلك نجده يحمل نفس الإعراب أيا كان موقعه في الجملة"[53].

- يعتبر الإعراب، بهذا التحديد، مقولة تخص نمطا معينا من اللغات، وهي التي يدل فيها عن الوظائف بمجموعة من اللواصق الصرفية كاللغة العربية الفصحى، وأما اللغات التي يدل فيها على الوظائف بوسائل أخرى(الموقع وصورة المحمول مثلا) فلا يمكن أن ينطبق عليها هذا التحديد، إلا إذا وسع مفهوم الإعراب بحيث يشمل جميع الوسائل التي تسخرها اللغات للدلالة على الوظائف[54].

يتضح من هذا التعريف أن الإعراب باعتباره سمة صرفية يخص اللغات التي يدل فيها عن الوظائف المسندة إلى المكونات الحدود بلواصق صرفية. وبناء عليه، عدت هذه الوظائف محددات الإعراب أي هي العامل في الإعراب؛ على حد قول النحاة العرب القدامى.

4 - 2 : أنماط الإعراب : تبين معطيات اللغة العربية أن الإعراب نمطان اثنان، هما:

الإعراب الوظيفي: وهو الإعراب المعلل وظيفيا، وبتعبير آخر، هو الإعراب الذي يرتبط بالوظائف المسندة إلى حدود المحمول، أو هو الإعراب الممثل له بمختلف الحالات الإعرابية التي تلحق حدود المحمول بمقتضى الوظائف المسندة إليها.

الإعراب البنيوي: وهذا النمط من الإعراب، بخلاف النمط الأول، غير معلل وظيفيا؛ بمعنى أنه لا يرتبط بالوظائف المسندة إلى حدود المحمول، فهو ناتج ببنية تركيبية خاصة. ولهذا الأعراب سمتان اثنتان:[55]

أولاهما: أنه ناتج تركيب معين كالتركيب الإضافي في قولنا: سرني منح خالد بكرا المال اليوم. أو ناتج عمل إحدى الصرفات المسندة للإعراب، إذ من خصائص بعض الصرفات في اللغة العربية إسنادها إلى المكون الذي تعمل فيه إعرابا بنيويا يكون نصبا أو جرا، ومن الصرفات الناصبة الأفعال المساعدة التي من قبيل (كان)، نحو: كان خالد مريضا. ومن الأدوات الوجهية التي من أسرة (إن وليت ولعل)، نحو: إن خالدا مريض. ومن الصرفات الجارة حروف الجر، نحو: عاد خالد في الليل.

ثانيهما: أنه إذا تواردت على المكون الواحد حالة إعرابية وظيفية وحالة إعرابية بنيوية فإن الحالة الإعرابية التي يأخذها هي الحالة الإعرابية البنيوية، كما يظهر من الجملتين:

-هل زارني أحد حين كنت مريضا؟

-هل زارني من أحد حين كنت مريضا؟

حيث حجب حرف الجر (من) في الجملة الثانية الحالة الإعرابية الرفع التي تقتضيها الوظيفة التركيبية الفاعل المسندة إلى المكون (أحد).

4 - 3: أنواع الحالات الإعرابية: يميز في النحو الوظيفي بين نوعين من الإعراب:إعراب مجرد (عميق) يسند في مستوى البنية الوظيفية، وإعراب محقق (سطحي) يسند في مستوى البنية المكونية. وضع للدلالة على الإعراب المجرد مصطلح الحالة الإعرابية (رفع نصب جر)، وللدلالة على الإعراب المحقق مصطلح العلامة الإعرابية (ضم فتح كسر). ويمكن تبرير التمييز بين هذين النوعين من الإعراب كالآتي:[56]

- يمكن أن تتحقق الحالات الإعرابية المجردة سطحا كما يمكن أن لا تتحقق، ومن ذلك حالات ما أسماه النحاة العرب القدماء الإعراب المقدر، كالإعراب المقدر في الأسماء المقصورة.

- قد تتحقق الحالات الإعرابية المجردة سطحا بواسطة علامة إعرابية غير العلامة الإعرابية المتوقعة، ومن ذلك العلامة الإعرابية التي تلحق المنادى المبني على ما يرفع به.

وتنقسم هذه الحالات، بالنظر إلى أنماط الإعراب، إلى ثلاثة أقسام: حالات إعرابية لازمة، وحالات إعرابية بنيوية، وحالات إعرابية وظيفية[57].

- الحالة الإعرابية اللازمة: وهي الحالة الإعرابية التي تلازم المكون في مختلف السياقات البنيوية والوظيفية التي يرد فيها، وتمثل هذه الحالة المكونات التي اصطلح عليها النحاة العرب القدامى اسم المبنيات.

- الحالة الإعرابية الوظيفية: وهي الحالات الإعرابية (الرفع والنصب) التي تسند إلى المكونات الحدود بمقتضى وظائفها الدلالية أو وظائفها التركيبية أو وظائفها التداولية.

- الحالة الإعرابية البنيوية: وهي الحالات الإعرابية (النصب والجر) التي تسند إلى المكونات حسب السياق البنيوي الذي ترد فيه.

ويتم التمثيل للمكونات ذات الحالات الإعرابية اللازمة في المعجم، وأما المكونات التي تأخذ حالاتها الإعرابية بمقتضى الوظائف المسندة إليها أو بحسب السياق البنيوي الذي وردت فيه فإن إسناد حالتها يتم عن طريق قواعد إسناد الحالات الإعرابية.

4 - 4 قواعد إسناد الحالات الإعرابية: ونقصد هنا قواعد إسناد الحالات الإعرابية الوظيفية؛ حيث تسند هذه الحالات طبقا للوظيفة المسندة إلى الحد في مستوى البنية الوظيفية. وبما أن الحد الواحد يمكن أن يحمل وظيفة واحدة (وظيفة دلالية) أو وظيفتين اثنتين (وظيفة

دلالية ووظيفة تركيبية) أو ثلاث وظائف (وظيفة دلالية ووظيفة تركيبية ووظيفة تداولية)، اقترحت سلمية تضبط تفاعل هذه الوظائف الثلاث في تحديد الحالات الإعرابية، وهي على الشكل الآتي :[58]

الوظائف التركيبية > الوظائف الدلالية > الوظائف التداولية.

ومفاد هذه السلمية أنه:

- إذا كان المكون حاملا لوظيفة تركيبية بالإضافة إلى وظيفته الدلالية تسند إليه الحالة الإعرابية بمقتضى وظيفته التركيبية أي يأخذ الحالة الإعرابية الرفع إذا كان فاعلا كما يظهر من الجمل:

- عاد زيد.

- انتقد الكتاب.

- زيد مطمئن.

أو الحالة الإعرابية النصب إذا كان مفعولا، كما في قولنا:

- قابلت هندا.

وذلك لأن الحالة الإعرابية التي تقتضيها الوظيفة التركيبية تحجب الحالة الإعرابية التي تستوجبها الوظيفة الدلالية.

- وإذا كان المكون حاملا لوظيفة دلالية فقط (حدود غير وجهية) تسند إليه الحالة الإعرابية النصب أو الحالة الإعرابية الجر إذا كان مسبوقا بحرف جر بمقتضى وظيفته الدلالية نفسها، كما في قولنا :

- قابلت هندا البارحة في الجامعة.

فالمكون (البارحة) يأخذ الحالة الإعرابية النصب بمقتضى وظيفته الدلالية الزمان، ويأخذ المكون (الجامعة) الحالة الإعرابية البنيوية الجر بمقتضى وظيفته الدلالية المكان.

.

- وإذا كان المكون حاملا لوظيفة تداولية فإنه لا يخلو من أن يكون إما مكونا داخليا أو مكونا خارجيا. يأخذ المكون الداخلي الحامل لوظيفة تداولية (البؤرة أو المحور) حالته الإعرابية إما بمقتضى وظيفته التركيبية وإما بمقتضى وظيفته الدلالية إذا لم تسند له وظيفة تركيبية، كما يظهر من الجمل الآتية:

- رجع زيد من السفر.

- البارحة قابلت هندا.

حيث يأخذ المكون المحور (زيد) الحالة الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبة الفاعل، ويأخذ المكون البؤرة (البارحة) الحالة الإعرابية النصب بمقتضى وظيفته الدلالية المكان.

ويأخذ المكون الخارجي حالته الإعرابية بمقتضى وظيفته التداولية نفسها[59]. فالمبتدأ يأخذ الحالة الإعرابية الرفع بحكم وظيفته التداولية، كما يظهر من الجمل:

- **زيد** أبوه مريض.

- **أما خالد** فلم يهتم بقدومه أحد.

والمنادى يأخذ الحالة الإعرابية النصب، وتتحقق هذه الحالة بالعلامة الإعرابية الفتح أو بالعلامة الإعرابية الضم، كما يتضح من الجمل الآتية:

- **يا طالعا** جبلا احذر.

- **أيها النائم** استيقظ.

وأما الذيل فيأخذ حالته الإعرابية بمقتضى الوظيفة الدلالية أو الوظائف التركيبية التي يرثها عن المكون المعدل أو المصحح بوصفه يعوض هذا الأخير كما في قولنا:

-زارني خالد **بل عمرو**.

حيث يأخذ المكون الذيل (عمرو) الحالة الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التركيبية الفاعل التي يرثها عن المكون المقصود تصحيحه، وهو (خالد). ويأخذ كذلك الحالة الإعرابية الرفع بمقتضى وظيفته التداولية، كما يظهر في الجملة:

رأيته البارحة **زيد**.

إذ لا تسند إلى المكون (زيد) إلا الوظيفية التداولية الذيل.

4 - 5: إعراب المركب: [60] والمقصود بإعراب المركب إعراب الحدود التي تشكل مركبا. والمركب يكون إما مركبا اسميا، رأسه اسم، أو مركبا صفيا، رأسه صفة، أو مركبا ظرفيا رأسه ظرف ،أو مركبا جمليا، وهو المركب المنقول عن حد مقيده الوحيد جملة.

ويتحقق إعراب المركب ككل في الرأس بمقتضى الوظائف التي تسند إليه وفقا للسلمية السابقة وينصب بالتبعية على الفضلة كما في قولنا :

- قرأت مقالا قيما.

وعلى المركب العطفي، نحو:

- قدم زيد وخالد.

وأما حين يكون المركب إضافيا فإن الإعراب يتحقق في الرأس وتأخذ الفضلة المضاف إليه الإعراب البنيوي الجر، كما يظهر من الجملة:

- سرني منح خالد بكرا المال اليوم.

4 - 6:إعراب المحمول: حاولت الأنحاء الحديثة بمختلف اتجاهاتها تفسير ظاهرة إعراب المكونات الحدود ؛ لأن الأصل- إن صح استعمال هذا المصطلح في هذا السياق- في الإعراب أن يدخل هذه المكونات ليدل على الوظائف المسندة إليها. والملاحظ أن نظرية النحو الوظيفي حاولت، بالإضافة إلى هذا، إيجاد تخريج لظاهرة إعراب المحمولات (المحمولات

الفعلية والمحمولات غير الفعلية). وقد اقترح في إعرابها أن يكون تحتيا عميقا أو سطحيا.

إعراب المحمول غير الفعلي[61]- يعد إعراب المحمول غير الفعلي وفق الافتراض الأول إعرابا تحتيا تحدده المخصصات التحتية، وبالتحديد المخصصات الزمنية والجهية والوجهية؛ حيث يأخذ المحمول الاسمي والصفي الحالة الإعرابية الرفع إذا ورد في حيز مخصص الإثبات ومخصص الزمن الحاضر، كما تبينه الجمل الآتية:

- عمرو **معلم**.
- هند **مجتهدة**.

ويأخذ الحالة الإعرابية النصب إذا ورد في حيز مخصص الإثبات مع مخصص الماضي أو مخصص الإثبات مع مخصص المستقبل أو مخصص الإثبات مع مخصص الزمن الصفر أو مخصص الزمن الحاضر، كما في الجمل الآتية:

- كان/ سيكون خالد **معلما**.
- مازال/ لا يزال بكر **معلما**.
- ظل بكر **معلما**.
- يكون الجو **حارا** في فصل الصيف.
- تظل السماء **زرقاء** طوال النهار.

ويعد وفق الافتراض الثاني إعرابا سطحيا؛ حيث يسند إليه إما الرابط أو أداة النفي (ليس أو ما) حالة النصب، وفي غيابها يأخذ المحمول حالة الرفع؛ أي أنه يأخذ الحالة الإعرابية النصب عند اقترانه بصرفات تسند إليه هذه الحالة، ويأخذ الحالة الإعرابية الرفع في غياب هذه الصرفات، كما يتبين من الجمل الآتية:

- ما خالد **معلما** .

- ليست هند **كاتبة** .

- خالد **أستاذ** .

- **إعراب المحمول الفعلي**:[62]

والمقصود هنا ليس كل الأفعال وإنما الفعل الوارد على صيغة المضارع فقط. ويمكن إرجاع إعرابه، وفق الافتراض الأول،إلى مخصص وجهي؛ حيث يكون الجزم صرفة لاحقة تحقق الوجه الحملي غير متحقق، والرفع لاحقة تحقق الوجه الحملي متحقق أو متوقع التحقق، والنصب لاحقة تحقق الوجه القضوي محتمل التحقق أو مراد التحقق، كما يتضح من الجمل الآتية:

- لم **يراجع** الطالب دروسه.

- **يراجع** الطالب دروسه.

- **سيراجع** الطالب دروسه.

- لن **يراجع** الطالب دروسه.

وأما وفق الافتراض الثاني، يصبح تعليل إعرابه إما بدخول أداة جازمة أو ناصبة عليه أو عدم دخولها.

والملاحظ هنا أن المحمولات (الفعلية وغير الفعلية) بما أنها تدل على واقعة معينة فإنه لا يمكن اعتبار الوظائف من محددات إعرابها مثلما هو مع الحدود، وبالتالي، افترض عنها أنها إما هي المخصصات التحتية المرتبطة بمقولات الزمن أو الجهة أو الوجهة، إذا عد إعرابها تحتيا، وإما اقترانها أو عدم اقترانها بصرفات خاصة، وهذا في حالة كون إعرابها إعرابا سطحيا.

هذه هي مقاربة **أحمد المتوكل** لظاهرة الإعراب في نحو اللغة العربية الوظيفي. وقد ظهر مما سبق أنها تجسد بوضوح أهم مبدإ قام عليه

النحو الوظيفي، وهو تبعية البنية للوظيفة؛ أي تبعية البنية المكونية للبنية التحتية، وبالتحديد تبعية الحالات الإعرابية التي تسند في مستوى البنية المكونية لطبيعة الوظائف المسندة إلى حدود المحمول في مستوى البنية التحتية.

ومن باب تحديد موقع هذه المقاربة، ارتأينا أن نعرض بعض المقاربات الأخرى للظاهرة في إطار النحو البنيوي والنحو التوليدي والنحو النمطي والنحو العربي القديم أو التراثي أو التقليدي كما يسميه بعض الباحثين.

فيما يتعلق بالنحو البنيوي يبدو أنه لا يوجد مشروع كامل لإعادة وصف نحو اللغة العربية في إطار هذا المنهج، إذ يظهر من أعمال بعض الدارسين العرب كإبراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب أنها جزئية، ولم تخرج عن نقد النحو العربي الذي وضعه النحاة القدامى رغم قيامها على ضرورة وضع نحو جديد. ومن بين هذه الأعمال سنعرض محاولة عبد الرحمن أيوب ممثلة في كتابه "دراسات نقدية في النحو العربي".

مهد الباحث لدراسته بعرض بعض عيوب النحو العربي، اعتبرها مقدمات كافية لتسويغ مقترحه في وضع نحو جديد، وبعدها شرع يفصل في موضوع بحثه. وقد تبين من محتويات الكتاب أن هذا النحو الجديد ما هو إلا إعادة النظر في أقسام الكلمة والجملة وترتيب أبوابها ودراستها وفق منهج مدرسة التحليل الشكلي [63].

ضمن هذه المحتويات، أشار عبد الرحمن أيوب فيما يخص ظاهرة الإعراب إلى ضرورة التفريق بين أفكار أربعة، هي:الإعراب، والموقع الإعرابي، والحالة الإعرابية، والعلامة الإعرابية [64].

فأما الإعراب فهو، في نظره، تغير أواخر الكلمات بتغير التراكيب. ويناقضه البناء، وهو عدم تغير أواخرالكلمات بتغير التراكيب. وهما(أي الإعراب والبناء) صفة ذاتية للفظ بصرف النظرعن وظيفته في الجملة،

مثلهما في هذا مثل الطول أو القصر الذي يوصف به شخص ما باعتباره الذاتي لا باعتباره مدرسا في الكلية أو كاتبا أو طبيبا ...

وأما الموقع الإعرابي فهو الحيز الذي ترد فيه الكلمات ضمن تركيب معين، كموقع الفعل والفاعل (أو الفاعلية) والمفعول (أو المفعولية) والمبتدأ والخبر والمجرور بالحرف والمعطوف... والفرق بين الموقع الإعرابي والإعراب هو أن الموقع الإعرابي أمر متغير يعرض للكلمة، وأما الإعراب فهو أمر ذاتي فيها لا يختلف عنها، فكلمة (زيد) في قولنا: كتب زيد مقالا. توصف بالإعراب بصرف النظر عن موقعها الذي يتغير من تركيب إلى تركيب آخر.

وأما الحالة الإعرابية فهي اسم اصطلح على الحكم الإعرابي الذي يستلزمه الموقع الإعرابي. وهي أربع حالات (الرفع والنصب والجر والجزم)، وميزتها أنها قد تظهر في اللفظ بالعلامات الإعرابية (الضمة والفتحة والكسرة والسكون) وقد لا تظهر؛ وذلك لأنها أمر اعتباري ذهني، في حين أن العلامات الإعرابية هي أمر لفظي؛ ولهذا يقال عن الحالة الإعرابية إنها ظاهرة أو غير ظاهرة، وأما العلامة الإعرابية فهي موجودة أو غير موجودة، ومثال ذلك أن الحالة الإعرابية في الفعل كتب (كتب) غير ظاهرة لأنه مبني، بينما هي في الكلمات (زيد ومقال) ظاهرة.

ويظهر من هذه التحديدات:

- أن الإعراب سمة صرفية ذاتية للفظ. وهذه السمة ملازمة له، لا ترتبط لا بوظيفته ولا بموقعه في الجملة.

- وأن الحالات الإعرابية؛ ومن ثم العلامات الإعرابية ،هي سمات طارئة على اللفظ ترتبط بالمواقع الإعرابية التي يرد فيها من تركيب إلى تركيب آخر.

وقبل أن ننتقل إلى الاتجاهات الأخرى، نشير إلى أن عبد الرحمن أيوب استعمل مصطلح تحليل الجمل في مقابل مصطلح الإعراب بمفهومه الشامل عند النحاة العرب القدامى، في قوله : "ونحن نقول بأن عملية تحليل الجمل . أو الإعراب . ليست سوى تعيين المواقع الإعرابية فيها. وهي بهذا الاعتبار لا ترتبط بالمعنى القاموسي للألفاظ، بل بوظيفتها في الجملة"[65].

وبخلاف النحو البنيوي، يبدوأن تطبيقات النحو التوليدي أو الأنحاء التوليدية على نحو اللغة العربية كثيرة، بعضها كانت جزئية وبعضها الآخر كانت كلية ومتكاملة. وبما أنه لا يمكن في هذا المقام أن نحيط بكل المقاربات لظاهرة الإعراب في إطار الأنحاء التوليدية، ارتأينا أن نقف فقط على مفهومه ومحدداته أو عوامله فهذا يفي بالغرض .

يعد الإعراب في النظرية التوليدية سمة صرفية مجردة تملكها جميع اللغات الطبيعية سواء أكانت أنسقتها الصرفية تحققها السمة في صورة صرفية بارزة تلحق بآخر الكلمة أم لا تحققها[66].

وينقسم في اللغة العربية إلى عدة أنواع، تختلف من باحث إلى آخر باختلاف النظريات أو النماذج التوليدية التي طبقها على نحو اللغة العربية، فمثلا يميز عبد القادر الفاسي الفهري بين ثلاثة أنواع من الإعراب، يقول: " يمكن تمييز ثلاثة أنواع من الإعراب في اللغة العربية (وفي لغات أخرى). هناك إعراب نحوي، إعراب الحدود، وهو إعراب يسند إلى الفاعل أو المفعول أو مفعول الحرف بموجب عمل الصرفة (أي التطابق)، أو الفعل أو الحرف، بالتوالي. وهناك إعراب دلالي، ويسند إلى الملحقات (AdJuncts) كالظرف والتمييز والحال ... الخ، لدلالتها على هذه المعاني، كما يسند إلى الموضوعات غير الحدود أو المنزوعة. وأخيرا هناك إعراب التجرد(التجرد من العامل)، وهو إعراب يسند إلى الوظائف التي ليست موضوعات ولا ملحقات (كالمبتدإ والخبر...)" [67] .

وواضح هنا أن معيار التمييز بين هذه الأنواع هو طبيعتها من حيث إسنادها، ومحدداتها أو عواملها، فالإعراب النحوي مثلا يسند إلى المركبات الحدود بواسطة مقولة تعمل فيها كالفعل والصرفة والحرف؛ حيث يعمل الفعل في المفعول، وتعمل الصرفة (التطابق أو الزمن) في الفاعل، ويعمل الحرف في مفعوله. والمقولة العاملة في هذا الإعراب هي مفهوم بنيوي، يرتبط، بالرغم من تعدد صيغه، بمفهوم التحكم المكوني، والتحكم المكوني مفهوم شجري[68].

إذن فالإعراب في النظرية التوليدية سمة صرفية تمثلها في اللغة العربية الصورة الصرفية التي تلحق بآخر الكلمة. وهو ظاهرة كلية، بمعنى توصف بها كل اللغات الطبيعية رغم اختلاف تحققها من نسق لغوي إلى آخر. وأما عوامله فتختلف باختلاف نوع الإعراب، هي في الإعراب النحوي التحكم المكوني، وفي الإعراب الدلالي هي الوظائف، وفي إعراب التجرد هي التجرد من العامل.

ومن بين النظريات اللسانية التي ظهرت بعد اللسانيات البنيوية واللسانيات التوليدية واللسانيات النسبية، وقد اصطلح عليها هذا الاسم بالنظر إلى أن الفرضيات التي تنطلق منها والمبادئ التي تقوم عليها مخالفة لتلك التي عرفت في اللسانيات التوليدية أو اللسانيات الكلية كما يسميها البعض.

ومهما يكن أمر هذه النظرية، ما يعنينا فيها هو إقرارها بأن الإعراب في اللغة العربية هو مكون من مكونات التركيب، يقول محمد الأوراغي صاحب هذه المقاربة: يتفرع التركيب في العربية من اللغات التوليفية إلى إعراب وتأليف وترتيب. وقد انتهى النظار في العلاقة الرتبية بين هذه الوسائط إلى أن التأليف يكون قبل الإعراب والإعراب قبل الترتيب؛ وذلك لأن التأليف يرتبط بالبنية الوظيفية ؛حيث إن مداخل معجمية معينة تتألف بواسطة علاقات دلالية (كالسببية والعلية) فتسند إليها

وظائف نحوية (كالفاعل والمفعول) مشكلة بنية وظيفية من غير أن يكون لبعضها موقع معين بالنسبة إلى البعض الآخر كما يحصل لها ذلك وهي في بنية تركيبية. وتحول البنية الوظيفية إلى البنية التركيبية يكون بواسطة وسائط لغوية؛ حيث إن اللغات التركيبية توسل وسيط الرتبة المحفوظة للإعراب عن الأحوال التركيبية المترجمة عن الوظائف النحوية، وبالتالي يتكون تركيب هذا النمط من اللغات من التأليف يليه مباشرة الترتيب، وفي مقابل النمط التركيبي نجد النمط التوليفي لغاته توسل وسيط العلامة المحمولة، حيث أسندت مهام الإعراب عن الأحوال التركيبية المترجمة عن الوظائف النحوية إلى لواصق صوتية تلحق القابل الذي تطرأ عليه تلك العوارض[69].

وتفصيل ذلك فيما يأتي:[70]

حالة الرفع التركيبية عاملها علاقة الإسناد التركيبية، وعلامتها في اللغات التوليفية هي العلامة المحمولة سواء ظهرت على الروي أم لم تظهر، كالضمة (أ) أم بما ينوب عنها المعربة في العربية عن حالة الرفع، والمطابقة للإعراب عن علاقة الإسناد التركيبية.

حالة النصب التركيبية عاملها علاقة الأفضال التركيبية، وعلامتها في العربية من اللغات التوليفية هي الفتحة (أ) أو ما ينوب عنها.

حالة الإضافة أو الجر التركيبية وعاملها علاقة الأفضال التركيبية التي تختص بميزة إسنادها إلى اسم متمم لاسم آخر، يكونان بهذه العلاقة الجامعة بينهما مركبا واحدا، وعلامتها في العربية من اللغات التوليفية هي اطراد وقوع المتم بعد المضاف فضلا عن لحاق كسرة (أ) برويه.

ويتضح من هذا أن العامل أربعة أنواع:[71]

- عامل تركيبي يؤثر حالة تركيبية، وهو ثلاثة أضرب: إسناد يعمل حالة الرفع، وإفضال يعمل حالة النصب، وإضافة تعمل حالة الجر.

- عامل دلالي يؤثر وظيفة نحوية، وهو أربعة أصناف: علاقة السببية تؤثر وظيفة الفاعل، وعلاقة العلية تؤثر وظيفة المفعول، وعلاقة السلبية تؤثر وظيفة الفاعل به، وعلاقة اللزوم تؤثر بالشرط المعين الوظيفة النحوية المعينة كالوظائف: التوقيت والتمكين والتكميم والغائية.

- عامل تداولي يؤثر ترتيبا، وأثاره، وحذفا أو إظهارا. وقد يظهر أثره في لغة توليفيه كالعربية في علامات تلحق مكونات الجملة للإعراب عن وظيفة الجملة التداولية.

عامل وضعي (الوسائط اللغوية) يؤثر بالاختيار الضمة والفتحة والكسرة.

ويمكن تلخيص هذه المقاربة في قولنا: يختص الإعراب، باعتباره مكونا من مكونات القالب التركيبي، بنمط معين من اللغات وهي اللغات التوليفية كاللغة العربية. وتقتصروظيفته في الإبانة عن الأحوال التركيبية المترجمة عن الوظائف النحوية عن طريق لواصق صوتية تلحق القابل الذي تطرأ عليه تلك العوارض.

وإذا عدنا إلى تراثنا النحوي، .وليس هذا من باب التوفيق بينه وبين النظريات اللسانية الحديثة وإنما من باب رصد أهم ما قيل في وصف وتفسير هذه الظاهرة في اللسانيات العربية والتراث النحوي، ويبقى التوفيق بين هذه الأقوال أو المقارنة بينها لمن أراد ذلك. سنجد أن النحاة العرب قد تحدثوا عن الإعراب بمفهومه العام، ومن ذلك قول ابن جني (ت 392هـ) في تعريفه: الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ[72]. وقول الاستراباذي (ت 688 هـ) إنما سمي المعرب معربا لأن الإعراب إبانة المعنى والكشف عنه[73]. وبمفهومه الخاص، أي باعتباره سمة صرفية تلحق آخر المكون للدلالة على معناه، ويظهرهذا من قولهم: الإعراب ما اختلف آخره به ليدل على المعاني المعتورة عليه،[74] ذلك أن "الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة، ومفعولة، ومضافة، ومضافا إليها، ولم تكن

في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة، جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني"[75].

وقد نسب النحاة، ضمن مستويات تفسيرهم للظاهرة، العامل في هذه المعاني إلى اللفظ، يقول الإستراباذي: " ثم اعلم أن محدث هذه المعاني في كل اسم هو المتكلم، وكذا محدث علاماتها لكن نسب إحداث هذه العلامات إلى اللفظ الذي بواسطته قامت هذه المعاني بالاسم، فسمي عاملا، لكونه كالسبب للعلامة، أنه كالسبب للمعنى المعلم، فقيل: العامل في الفاعل هو الفعل، لأنه به صار أحد جزأي الكلام " [76].

ويعني هذا أن العامل الحقيقي في الإعراب هو المعنى، والدليل هو ربط بعض النحاة المعاني الوظيفية، كالفاعلية والمفعولية ... بأنواع الإعراب (الرفع والنصب والجر) لكونها علامات عليها، فالرفع علم الفاعلية والنصب علم المفعولية والجر علم الإضافة[77]. وقد نسب العمل للألفاظ لأن هذه المعاني لا تتحقق إلا بتركيب لفظ مع آخر، كتركيب الفعل مع الفاعل مثلا، وبالتالي، يكون العامل في الفاعل هو الفعل.

هذا ما يمكن أن نقف عليه في رصدنا لأهم ما قيل في وصف وتفسير ظاهرة الإعراب في اللغة العربية قديما وحديثا، في إطار النحو العربي الذي وضعه النحاة العرب القدامى، وفي إطار لسانيات اللغة العربية بمختلف اتجاهاتها.

وإن جاز لنا أن نعلق على هذا، لا بد أن نشير إلى أن اختيار نموذج لساني معين لا يتطلب بالضرورة تبريرا قبليا، وأن الزعم راهنا بأن هذا النموذج اللساني أو ذلك هو الأفضل بالنسبة للغة العربية من الأمور الصعبة.

وفيما يتعلق بمقاربة **أحمد المتوكل**، نقول : بناء على الشروط التي يجب أن تخضع لها كل مقاربة لوصف المعطيات اللغوية، وأهمها شرط الملائمة الخارجية وشرط الملاءمة الذاتية أو الداخلية، يبدو لنا أن هذه

المقاربة مقنعة لاستيفائها هذه الشروط فبالنسبة للملاءمة الخارجية نلاحظ أنها تتفق مع المادة اللغوية التي تحللها، وأما بالنسبة للملاءمة الداخلية يظهر أن القواعد التي تصف هذه الظاهرة تتفق مع أهم المعايير المنهجية كمعيار البساطة ومعيار التعميم ومعيار الشمولية ومعيار سهولة التطبيق، وبالإضافة إلى هذا، تنسجم هذه المقاربة مع أهم مبادئ النحو الوظيفي، وهو تبعية البنية للوظيفة، بل تجسده تجسيدا دقيقا، ومعلوم أن الانسجام بين النتائج ومبادئ النظرية ومنطلقاتها هو أهم معيار أو وسيلة في اختبار النظريات من الداخل.

الإحالات

1 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري: دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 2، 2010، ص 137.

2 - يقول المتوكل: للتوجه اللساني الذي اصطلحنا على تسميته المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي ثلاثة أهداف متوازية متزامنة: الوصف والتفسير اللغويان والتأصيل والإجراء.

استشرافا لإحراز الهدف الأول قام ببناء نحو وظيفي للغة العربية يرصد ظواهرها في التزامن وفي التطور من منظور تبعية البنية للوظيفة مقارنا إياها باللغات التي تنامطها واللغات المنتمية إلى أنماط مغايرة. وسعيا في تحقيق الهدف الثاني، وضعت منهجية علمية لربط البحث اللساني الوظيفي العربي بالتراث اللغوي العربي بلاغته ونحوه وأصول فقهه باعتباره مرجعا للاحتجاج ومصدرا للاقتراض والاغتناء.

وأما ثالث هذه الأهداف فهو العمل على إدماج البحث اللساني الوظيفي في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بتسخير آلياته واستثمار نتائجه في المجالات الحيوية كالتواصل بمختلف أنماطه وتعليم اللغات والاضطرابات النفسية اللغوية. أحمد المتوكل: الخطاب المتوسط: مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ودار الأمان الرباط، ط1، 2011، ص 9.

3 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995، ص14. والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص 19.

4 - انطلقنا في صياغة هذا التعريف من قول أحمد المتوكل في مفهوم النحو : " احدث استعمالات مصطلح النحو وأكثرها انتشارا الآن

في الأدبيات اللسانية إطلاقه على الجهاز الواصف نفسه. يتوسع في ذلك فيطلق هذا المصطلح باعتباره اسما علما على نظرية لسانية بعينها. من أمثلة هذا التوسع " النحو التوليدي التحويلي" و" النحو المعجمي الوظيفي " و" نحو الأحوال " و" النحو المركبي المعمم" و" النحو الوظيفي". أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2006، ص 39.

5 - من أهم النظريات التي تمثل هذا المنحى النظرية التوليدية، فعلى مستوى الموضوع انتقل الاهتمام، في إطار هذه النظرية، من دراسة اللغة كمعطى واقعي (اللغة المجسدة) إلى دراسة اللغة المبنية داخليا، أي المعرفة اللغوية الممثل لها في ذهن المتكلم والموجودة ماديا في دماغه، وهذه المعرفة هي مجموعة من المبادئ العامة التي تحكم جميع اللغات الطبيعية. ومنهجها، أدى التحول في طبيعة الموضوع المدروس إلى إعادة النظر في طبيعة الأدلة المستعملة في البرهنة على هذا الموضوع، حيث رفض تشومسكي وأتباعه أن تكون الأدلة من المعطيات اللغوية المباشرة (المتن أو المدونة) وإنما يجب أن تكون من حدس المتكلم، وذلك لأن هذه المعطيات مهما كانت كميتها لا تعكس بصورة تامة ومتكاملة الكفاية اللغوية كما يعكسها الحدس اللغوي باعتباره جزءا من كفاية الإنسان اللغوية، أي هو جزء من معرفتها الضمنية بقواعد اللغة. لمزيد من التفصيل، ينظر: مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ص 298.297. ونعوم تشومسكي: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، ترجمة وتقديم: محمد الرحالي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2013، ص13.10، ومرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية دارالشروق للنشر والتوزيع عمان، ط1، 2002، ص 31.30. وميشال زكريا:الألسنية التوليدية والتحويلية

وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية)، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1986،ص38.33.

6 - ينظر ، لمزيد من التفصيل: أحمد المتوكل : اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري، ص 16.14.

7 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص15.

8 - أحمد المتوكل: التركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات، دار الأمان، الرباط، ط1،2005، ص 29.

9 - عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر، الدارالبيضاء، ط1،1985، ص71. ومرتضى جواد باقر: مقدمة في نظرية القواعد التوليدية، ص25.24. وميشال زكريا: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية)، ص 116و157.

10 - ينظر، لمزيد من التفصيل حول مبادئ النحو الوظيفي: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي: الأصول والامتداد، ص35.19.

11 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية المقارنة: دراسة في التنميط والتطور، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ودار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2012، ص 25.

12 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص51، وما بعدها.

13 - أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2003، ص60.

14 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، 1995، ص16. واللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص15.

15 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص22. ومن أهم التطورات التي طرأت على النموذج: أفرد للتداول والدلالية قالبان: القالب التداولي والقالب الدلالي، تشتغل مع القالب النحوي (الصرفي . التركيبي) على النحو التالي: قالب تداولي . قالب دلالي . قالب نحوي. وفي نموذج نحو الخطاب الوظيفي أدمجت في قالب أو مكون واحد هو المكون النحوي.

- أصبح نموذج مستعمل اللغة، في آخر تعديلاته، يتشكل من أربعة مكونات، مكون مركزي وهو المكون النحوي، ومكونات مساعدة هي المكون المفهومي (أو المعرفي) والمكون السياقي والمكون الإصاتي، حيث تم اختزال فحوى القالبين المعرفي والمنطقي في مكون واحد هو المكون المفهومي، ثم أضيف إلى هذه المكونات المكون الأصاتي، مهمته نقل المستوى الفونولوجي المجرد إلى تحقق فعلي قد يكون صوتا أوخطا كما يمكن أن يكون إشارة. لمزيد من التفصيل ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص39.38. والتركيبات الوظيفية، ص 65.64. الخطاب الموسط، ص87.77.

16 - مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص 48.

-17 أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص 36. واللسانيات الوظيفية: مدخل نظري ص16.15.

-18 أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: البنية التحية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص 19. والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص63. واللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، ص 27. وقد حققت نظرية النحو الوظيفي، بالإضافة إلى الكفاية التفسيرية، مجموعة من الكفايات، كالكفاية الديناميكية والمراسية والتطورية والتعليمية والترجمية والسيميائية والحاسوبية. لمزيد من التفصيل ينظر: يحي بعيطيش: نحو

نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتوراه دولة، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 98.75.

-19 أحمد المتوكل : الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص 146-145. وقد أضيف في نموذج نحو الخطاب الوظيفي مستوى لتمثيل الوظائف البلاغية ك(التعليل، الدعوى، الحجة....) تسند إلى أفعال خطابية كاملة. لمزيد من التفصيل، ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ودار الأمان، الرباط، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط،1 2010، ص35-32. والخطاب الموسط: مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، ص75-71.

-20 أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص16. الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية(النظرية الألسنية)، ص161-157. ومصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيارإلى البرنامج الأدنوي: مفاهيم وأمثلة، ص -95 123. وعبد القادر الفهري اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، ص-64 .76

21. أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ص27 وهامشها.

22. ميشال زكريا: الألسنية والتوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ص152. ومصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي : مفاهيم وأمثلة، ص89و119. وفي إطارتقليص المبادئ والقواعد، قلصت القواعد التحويلية في النماذج التوليدية الأخيرة إلى قاعدة واحدة هي: أنقل أ. وقد علق عليها تشومسكي قائلا: لقد نظر إلى هذه القاعدة لمدة طويلة

وخصوصا من قبلي، بوصفها نقيصة داخل اللغة ينبغي تفسيرها بشكل من الأشكال، لكنها في الواقع ضرورة تصورية افتراضية. نعوم تشومسكي: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، ص112.

23. أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص53.

24. أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية ص73.

25. أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص149.

26 -أحمد المتوكل:الخطاب الموسط: مقاربة وظيفية موحدة لتحليل النصوص والترجمة وتعليم اللغات، ص9.

27 -أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص186 - 214. والتركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص183 وما بعدها.

28 - أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص68.

29 - أحمد المتوكل: الوظيفية والنمطية ، ص59 - 66.

30 - نعوم تشومسكي: اللسانيات التوليدية من التفسير إلى ما وراء التفسير، ص15.

31 -أحمد المتوكل: الوظيفية بين الكلية والنمطية، ص70,

32 -أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، 140 - 143.

33 -أحمد المتوكل: قضايا معجمية: المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية، اتحاد الناشرين المغاربة، الرباط، 1988، ص11 - 12.

34 -أحمد المتوكل: قضايا معجمية: المحمولات الفعلية المشتقة في اللغة العربية، ص13 - 35.

35 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص141. يمثل في النحو الوظيفي للعالم موضوع الحديث في شكل حمل يتألف من

محمول وعدد معين من الحدود، تتمثل وظيفة المحمول في الدلالة على واقعة ما، وأما الحدود فوظيفتها أن تحيل على الذوات المشاركة في هذه الواقعة .

ينتمي المحمول إلى إحدى المقولات المعجمية الكبرى: الفعل والصفة والاسم والظرف، كما يظهر من الجمل: ألف خالد كتابا، حطمت الأمواج السفينة، وقف خالد أمام باب الحجرة، فرح المدرب بفوز فريقه. أو من الجمل الاسمية: خالد منطلق، الريح مزمجرة، زيد طبيب، خالد في ورطة.

هذا عن المحمولات، وأما الحدود (بأنماطها المختلفة) فوظيفتها الإحالة على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها المحمول، وتتحدد وظائفها طبقا لنوع مشاركتها في الواقعة، كالمنفذ أو المتقبل أو المستقبل... بالنسبة للحدود الموضوعات، كما يظهر من قولنا: أعطى خالد (منف) عليا (مستق) كتابا (متق). أو الزمان أو المكان أو الأداة أو الحال أو العلة بالنسبة للحدود اللواحق، كما تبينه الجمل: قابلني خالد مبتسما (حال)، رأيت خالدا البارحة (زمان) في الملعب (مكان). يقطع الطباخ اللحم بالسكين (أداة)، أخرج التلميذ من القاعة عقابا له (علة). وينظر، لمزيد من التفصيل: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، وقضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، والوظيفة والبنية : مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية .

36 -أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، 148-145. ونشير فيما يتعلق بمقولة الزمن إلى أن الجمل في نحو اللغة العربية الوظيفي تصنف إلى ثلاثة أنماط: جمل فعلية وجمل اسمية وجمل رابطية. يحدد مقولة الجهة والزمن الفعل في الجمل الفعلية والرابط (كان ، أصبح، ظل، ومازال وأخواتهم) في الجمل غير الفعلية، حيث يدمج

الفعل الرابط عن طريق إجراء قواعد صياغة المحمول في مرحلة متأخرة من مراحل اشتقاق الجملة. لمزيد من التفصيل، ينظر: أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية.

37 - أحمد المتوكل: من البنية الجملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط 1987،1، ص24-19.

38 - ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية. وقد انتهت الدراسات في إطار إعادة النظر في البنيات المبأرة إلى وضع تنميط جديد للوظائف التداولية، حيث قسمت إلى نمطين: وظائف أحادية (المحور والبؤرة والمقابلة) ووظائف مزدوجة (محور المقابلة وبؤرة المقابلة). ينظر: أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفية والبنية والنمط، ص131-125.

39 - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 41و73.

40 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص 200,

41 - أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، ص17.

42 - أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص-105 107. وحصر عدد القوى الإنجازية في اثنتي عشرة قوة: الخبر، الاستفهام، الأمر، النهي، التمني، الدعاء، التحضيض، التحذير، النصح، الالتزام، الالتماس، الاستغراب. ينظر أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، ص 58-57.

43 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، ص44 وما بعدها.

44 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، ص 207 وما بعدها، والوظيفة والبنية: مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية، ص52.

45 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص-169 174.

46 - أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية، ص117 - 118.

47 - ينظر، لمزيد من التفصيل حول البنيات الموقعية في اللغة العربية: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات: الوظيفية: بنية المكونات أو التمثل الصرفي- التركيبي، ص212 - 253.

48 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري، ص180.

49 - أحمد المتوكل : قضايا اللغة العربية في اللسانيات: البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي، ص33.

50 - ينظر، لمزيد من التفصيل حول هذه الأطروحة وتطوراتها: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، الرباط، 2001، وتركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، والمنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، والخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط.

51 - أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص32 - 44، والخطاب الموسط، ص69 - 78، واللسانيات الوظيفية المقارنة، ص18 - 20.

52 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص212.

53 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي – التركيبي، ص212.

54 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية : بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص212، والتركيبيات الوظيفية: قضايا ومقاربات، ص41.

55 - أحمد المتوكل: التركيبيات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص36 - 37.

56 -أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، ص19.

57 - أجمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية: الوظيفة المفعول في اللغة العربية، ص32 - 35.

58 - أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية: مدخل نظري ص163.

59 - أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص157.

60 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص207. والوظيفة والبنية، ص62 - 63.

61 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثل الصرفي – التركيبي، ص112 - 113.

62 - أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصرفي- التركيبي، ص114 - 115.

63. عبد الرحمان أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو-المصرية، ط1، 1958، ص د وما بعدها.

64 - عبد الرحمان أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي،ص 45 - 55.

65 - عبد الرحمان أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، ص 162.

66 - محمد الرحالي: تركيب اللغة العربية: مقاربة نظرية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2003، ص 24.

67 - عبد القادر الفاسي الفهري: المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال، الدار البيضاء، ط2، 1990، ص49.

68 - عبد القادر الفاسي الفهري: البناء الموازي: نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة، دار توبقال ، الدار البيضاء، ط1، 1990، ص 26 - 28.

69 - محمد الأوراغي: الوسائط اللغة: اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ص 668 - 671.

70 - محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية: اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، ص782 - 787.

71 - محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية: أفول اللسانيات الكلية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2001، ص200. ويرى الأوراغي أن العامل التداولي قد يظهر أثره في اللغة العربية في علامات تلحق مكونات الجملة للإعراب عن وظيفة الجملة التدالولية، ومن ذلك ما تكشفه المقارنة بين الصور الإعرابية للجمل: ما أحسن العامل، ما أحسن العامل، ما أحسن العامل، حيث يكشف إعراب الجملة الأولى عن وظيفة الإخبار التداولية، ويكشف إعراب الجملة الثانية عن وظيفة الطلب التداولية، ويكشف إعراب الجملة الثالثة عن وظيفة الإخبار الإنشائي التداولية. ينظر: محمد الأوراغي: الوسائط اللغوية: اللسانيات النسبية والأنحاء النمطية، ص497 وما بعدها.

72.- ابن جني : الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة ، 1952، ج1، ص35.

73. شرح الرضى على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي ط2، 1996، ج1، ص70.

74 - شرح الرضى على الكافية، ج1، ص56 - 57.

75 - أبو القاسم الزجاجي: الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت ط3، ص69.

76 - شرح الرضى على الكافية، ج1، ص 63.

77 - شرح الرضى على الكافية، ج1، ص 69.

اللغة الوظيفية في الكتاب المدرسي

(قراءة نقدية لكتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط)

أ.آسيا قرين (ج. الجزائر)

الملخص:

يُعد الكتاب المدرسي أهم العناصر الأساسية في العملية التَعْلِميَة/ التَعَلُمِيَة ، و هو الوعاء الذي يتوفر على المعلومات و المهارات و الخبرات المناسبة للمتعلم في مرحلة عمرية ما ,وهو في الوقت نفسه مرجع للتلميذ و المعلم معاً ، و قوته تكمن في إحداث نقلة لُغَوية فصيحة لدى المُتَعَلِم من خلال ممارسة اللغة العربية المنطوقة و المكتوبة معاً ،الأمر الذي يكشف عن المجال الوظيفي و البرغماتي للكتاب وفاعليته تظهر من خلال اكتساب التلميذ للغة و ممارستها في حياته اليومية و توظيفها حسب الحاجات و الغايات و الأهداف المنشودة و المسطرة في العملية التَعْلِميَة/ التَعَلُمِيَة.

Résumé

Le manuel scolaire dans l'opération de l'enseignement / apprentissage, n'est plus un élément de second plan qu'on puisse mettre en veilleuse, dans le déroulement du cours pour quelque raison que ce soit les objectifs de ladite opération ne peuvent être menés au bon port en le laissant inopérant ou en l'excluant totalement ou même partiellement du centre d'intérêt

de l'enseignant. Il est d'une importance incontestable aussi bien pour celui-ci que pour l'apprenant. S'agissant du manuel de la langue arabe , ce dernier est un point d'appui indéniable pour l'élève , que ce soit dans l'acquisition de connaissances linguistiques, rhétoriques , orthographiques ou autres que véhiculent ses textes qui servent de support pour les différents cours de langue relevant du programme, ou pour une maitrise indéfectible de la langue comme moyen de communication et outil d'apprentissage d'autres matières. D'où la nécessité d'accorder une importance particulière à son élaboration et son adaptation aux besoins linguistiques , culturels et civilisationels de l'apprenant, dans le but de répondre à ses attentes et à la réalisation des objectifs pédagogiques qui lui sont assignés.

مقدمة:

" اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[1].

من هذا المنطلق نرى بأن اللغة وضع و استعمال و نضع خطا تحت "استعمال" و المراد منه التطبيق اللغوي أي" أن يسلك الطالب سلوكاً لغوياً سليماً مستخدماً اللغة وفق ما يقتضيه المقام و الحال"[2].

إن الاهتمام باللغة يؤدي إلى ممارسة حياتية لها ، فرأس الهرم اللغوي هو ممارسة الفعل اللغوي فعلياً و الابتعاد عن المتاهات الغامضة والفلسفية العقيمة أو اللجوء إلى الحجج العقلية الفارغة من أي محتوىً تواصلي .لذلك تعالت الصيحات لتيسير النحو و تسهيله على التلاميذ و الطلبة لغاية واحدة وهي "توظيفه في الكلام وفي الكتابة " وهذا هو هدف النحو الوظيفي فهو يهتم بوظيفة اللغة الأساسية التي هي التواصل بالنسبة إلى المتكلم و السامع . و قد سعت جهود سيمون ديك و أحمد المتوكل لبلوغ هذا المبتغى في مؤلفه" Grammaire fonctionnel التركيب و الدلالة" ، و تأتي المدرسة في المركز الأول لتطبيق هذا المبدأ باعتبارها مجتمعاً مصغراً يُنمي فيه الطفل الجانبين النفسي والمعرفي في شخصيته.

و عليه فإن الوظيفة الأساسية للمدرسة ليست سوى تعليم الفرد طريقة العيش و إثبات الوجود في هذا العالم ، لذلك اهتم الباحثون بدراسة النشاط اللغوي و مواقفه و نذكر منهم دراسة جونسون" 1926" في و.م.أ حيث قام بدراسة مسحية للمناشط اللغوية التي يستخدمها الطلبة في حياتهم اليومية و كذلك المناشط التي يحبون استخدامها وممارستها إن امتلكوا مهاراتها .

وكانت نتيجة الدراسة 72 منشطاً صنفها جونسون في تسعة مناشط تحت عنوان "المراكز في الحياة " (المحادثة ،المناقشة الرسمية،المناقشة الجماعية ، القصص، توجيه التعليمات و الإرشادات ، تفسيرات كتابة الرسائل ،كتابة المذكرات ،كتابة التقارير[3] .

و هدف هذه الدراسة هو استخدام اللغة في سياقات مختلفة، لا يواجه المتعلم فيها صعوبة إذا تغير المقام و الحال، و قد توحدت جهود جميع العلماء على اختلاف أطيافهم للحفاظ على اللغة كي تبقي نابضة، حية سهلة على التلاميذ و الطلبة، لذلك نلمس التكامل بين اللغة والعلوم الأخرى عند اختيار المادة اللغوية المراد تدريسها.

و من هدا المنطلق النظري نطرح السؤال التالي الذي يعتبر محور هذه الدراسة هل يمكن وصف اللغة العربية بأنها كفاءة عرضية ؟ و هل يمكن للرصيد اللغوي العربي أن يستعمل في جميع المجالات ؟ و هل اللغة العربية لغة علم؟.

هذه الإشكالية تتعلق بتحديات اللغة العربية ضمن منظور القواعد الجديدة التي تفرضها اللغات الغربية الأخرى حسب رأي صالح بلعيد (4)، وفي ظل عصر المعرفة و التكنولوجيا كان على المنظومة التربوية في كل مرة إعادة النظر و التقويم المستمر للكتاب المدرسي في الأطوار الثلاثة حتى نستطيع أن نواكب الحضارة لأن شعارنا هو الارتقاء باللغة العربية تعليماً و مصطلحاً ، ويكون ذلك عن طريق التدريس الصحيح لهذه المادة لأبنائنا الذين هم في طور التلقي .

إن الكتاب المدرسي هو أداة رئيسية في عملية تدريس اللغة العربية لأنه يعكس الوجه التطبيقي للمنهاج التربوي و يرى أستاذنا عبد الرحمن الحاج صالح أنه عند الحديث عن اللغة العربية يجب طرح سؤالين هما: ماذا يجب أن نعلم من اللغة ؟ وكيف يجب أن نعلمه ؟.

فأما السؤال الأول :فالمقصود منه المادة اللغوية التي يُبنَى عليها الدرس اللغوي أما السؤال الثاني: فهو راجع إلى علم تدريس اللغات الخاص بظواهر اكتساب الملكة اللغوية و هو البحث في منهجية اللغات و طرائق التدريس (5) . و المادة اللغوية هي المحتوى الدراسي و الطريقة هي "مجموع

الأنشطة والإجراءات التي يقوم بها المدرس والتي يَبدو أثرها على ما يتعلمه التلاميذ [6].

و قد تعددت الطرائق حسب النشاط و المحتوي المراد تدريسه (القياسية، الحوارية، القصة...) ولكل طريقة محاسنها وسلبياتها، وعليه نرى أن ميدان اللغة واسع لكن على المختصين توظيف ما يحتاجه التلميذ لفهم اللغة العربية و كذا توظيفها لفهم و استيعاب المواد الأخرى (الرياضيات،الفيزياء،العلوم الطبيعية، الاجتماعيات، الفنون التشكيلية) ، و الأهم هو استعمالها في الحياة اليومية فالتباعد بين العامية والفصحى في الجزائر خلق للتلاميذ صعوبة في تعلم و اكتساب اللغة العربية رغم أنها لغة المنشأ على رأي العلامة عبد الحميد ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب

بالإضافة إلى عبء التراكمات التاريخية للفترة الاستعمارية الفرنسية و انعكاساتها على الشخصية الوطنية ليجد التلميذ نفسه مشتتا بين تيارات وثقافات مختلفة الأمر الذي هيأ لاتساع دائرة الغربة بين التلاميذ واللغة العربية .

و لو أخذنا الكتاب المدرسي أنموذجاً (كتاب اللغة العربية للسنة الأول متوسط) فإننا نجد هذه الانعكاسات قد خلفت عدة انزلا قات و تناقضات وصعوبات في السلاح الذي يمتلكه التلميذ "الكتاب المدرسي"، إذا يتوجب على من يكتب للأطفال معرفة بخصائص المراحل العمرية للطفل ، فلكل مرحلة من مراحل النمو خصائص معينة تميز الأطفال من النواحي النفسية والعقلية والوجدانية .

أولا- خصائص وحاجات الطفل حسب مراحل نموه:

1 -التناسب العقلي: تلميذ السنة الأولى متوسط يمثل مرحلة الطفولة

المتأخرة (9 - 12) يحب الطفل في هذه المرحلة المغامرات و يزيد إدراكه للأمور الواقعية فيميل إلى قصص الأبطال و المخاطرة.

2 -التناسب التربوي: في هذا السن يريد الطفل كسب الصداقات فينمي الجانب الاجتماعي لديه فيقتدي بالعبر و الحكم و المواعظ من خلال ما يراه أو يقرؤه أو يسمعه من مضامين تربوية هادفة .

3 -التناسب الفني: يقصد به القواعد الأساسية في فن الكتابة لا سيما في الإنتاج (قصة،مسرحية، شعر) فيستغل فيها المتخصص كل الوسائل كالصورة اللون الصوت لتحقيق الغاية الفنية و هي تنمية الحس الجمالي و التذوق الفني للطفل [7]، فهل هذه الاعتبارات أخذ بها عند بناء هذا الكتاب المدرسي؟ للإجابة عن هذا السؤال نحدد وحدات المخطط السنوي لمقرر اللغة العربية.

ثانيا- الدراسة النقدية لكتاب اللغة العربية للسنة الأول متوسط:

- يحتوي المقرر السنوي على 24 وحدة (و هذا يظهر طول البرنامج).
- تكرار محتوى الوحدات.

الوحدة	موضوع الوحدة	ملاحظة
1	طلب العلم	
2	الأقمار الصناعية	تشابه المضمون
3	أثر العلم في الحياة	
4	الأمومة	
5	العلاقات بين الأسر	تشابه المضمون
6	واجبات الأبناء نحو الآباء	
7	المواطنة	
8	التضحية	تشابه المضمون
9	التضامن	
10	من عظماء وطني	
11	من عظماء الإسلام	تشابه المضمون
12	من عظماء العالم	

13	العفو و التسـامح	نفس الخـصال
14	الإيثار	
15	النظام	
16	الأعياد الدينية	تشابه المضمون
17	الأعياد الوطنية	
18	الأعياد العالمية	
20	الغابة	تكرار موضوع البيئة
21	الحياة في الريف	
22	نظافة المحيـط	
23	جسم الإنسان و التغذية	تكرار موضوع الصحة
24	ممارسـة الرياضة	

-تحليل الجدول:

من خلال هذا الجدول نلاحظ تواترًا من 03 إلى 04 وحدات تتضمن نفس المعلومات وحتى نفس الألفاظ و المفاهيم في حين نستطيع التنويع و توجيه التلميذ نحو مجالات أخرى عوض حصره في عدد محدود من هذه الاختصاصات (العلم ،المجتمع،الحيوان،أبطال العالم، الصحة) هذه المواضيع موزعة و مكررة في 286 صفحة و هذا يخلق الملل و اختفاء عنصر التشويق و قلة المعلومات لدى التلميذ و النتيجة ابتعاد التلميذ عن اللغة العربية بصفة خاصة والرغبة عن استعمال الكتاب المدرسي بصفة عامة هذا من جهة و من جهة أخرى لو ضممنا الوحدات المتشابهة لتحصلنا على 07 وحدات فقط و بذلك يقتصد التلميذ جهده الجسمي و الفكري.

-طريقة عرض النصوص: النصوص في الكتاب المدرسي مبنية علي النظرية البنيوية التقليدية و ليست الحديثة ويظهر ذلك من خلال:

- عدم ربط النص بالسياق الخارجي .
- التمسك بالعناصر الداخلية للنص .

• جعل النص دراسة داخلية مغلقة، فأحياناً لا يستطيع التلميذ تفسيرو فهم الصور البيانية خاصة الاستعارة

• انقطاع بين البنية النحوية و النص الأدبي(كثيراً ما تكون الأمثلة لا تخدم موضوع الدرس النحوي).

بالإضافة إلى ذلك نجد كل نص يتبعه مباشرة معجم و دلالة تشرح فيه كلمات إما بسيطة جداً مثـل (**أصرت** =**ألحت** نص العودة صفحة 11 **لازم** = **واجب** نص التكافؤ الاجتماعي صفحة 88) أو كلمات صعبة غير مستعملة في الحياة (مثلاً الجوزاء = برج من الأبراج السماء نص مركبة الفضاء صفحة 24 أو مصطلحات علمية محضة لا يستعملها التلميذ حتى في مجال العلوم الطبيعية (مثل مادة اللايزوزيم في نص فيلمج ص 140 هذا النص المليء بالكلمات و المصطلحات الصعبة على التلميذ) .

زيادة على خلو الكتاب من الكلمات التي يستخدمها التلميذ في التعبير الكتابي أو الشفهي و هي الأنشطة التي تبرز مستوى اللغة المنطوقة و المكتوبة لدى التلميذ، و في كل مرة تجده يسأل الأستاذ عن كيفية تسمية المسميات المستعملة في البيت، الشوارع، المعامل، المأكولات وأسماء الملابس، الأدوات... حتى يدرجها في تعبيره و هو ما يوقعه أحيانا في استخدام العامية و هذا ليس خطأً منه "فالكارثة التي أصابتنا هو في انزواء العربية و ابتعادها عن الميادين النابضة بالحياة ألا و هي التخاطب اليومي لأنه تشترك فيه الخاصة و العامة " (8) ، فالمتعلم لا يحتاج إلى كم هائل من الألفاظ المترادفة و الغريبة و العقيمة التي لا يستعملها لا في التعبير و لا في الأبنية اللغوية و إنما يحتاج إلى ألفاظ تناسب العصر الذي يعيش فيه .

"إن اللغة إذا صارت تُكتسب الملكة فيها بالتلقين و إذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير و جماله فقط و استهان بما يتطلبه الخطاب

اليومي من خفة و اقتصاد في التعبير و ابتذال واسع للألفاظ تقلصت رقعة استعمالها ، وصارت لغة أدبية محضة وعجزت حينئذ أن تعبر عمّا تعبّر عنه لغة التخاطب الحقيقية سواء أكانت عامية أم لغة أجنبية [9].

و على هذا الأساس فهل الكتاب المدرسي اعتمد الاعتبارات السالفة الذكر ؟

1 -**التناسب العقلي:** من الجميل أن نجد المشرف على الكتاب المدرسي قد أعطى أهمية للمرحلة العمرية التي يعيشها الطفل يَظهر ذلك من خلال إدراكه "أي الطفل" للواقع وحبه للمغامرات في هذه المرحلة. (السائح الفضائي ص:21، الكتاب الإلكتروني ص29، شجاعة فدائي ص: 102...) لكن نجد في بعض النصوص تلاعباً بالمفاهيم و كأن الطفل لا يدرك ما يحيط به في هذا العالم و أحسن مثال نقدمه في نص" كريم و أكرم منه ص 161" إذ أن النص تدور أحداثه في فصل الربيع "شمس الربيع المشرقة..." لكن الشخصية الرئيسية كما ورد في النص "تقشر برتقالة رغم أنها فاكهة شتوية".

2 -**التناسب التربوي:** نصوص الكتاب المدرسي " السنة الأولى متوسط" مستوحاة في الغالب من الانترنت أو من مجلة العربي الصغير أو هي مقتطفات لنصوص أدبية لأدباء مشارقة على رأسهم معروف الرصافي لكنه يخلو من حضور لافت للنظر لأدباء جزائريين مثل: مفدي زكريا (حضوره في قصيدة واحدة) ، محمد العيد آل الخليفة الذي برع في جميع أغراض الشعر ، محمد ديب ،عبد الحميد بن هدوقة ،رضا حوحو...هؤلاء الأدباء برعوا في كتابة نصوص أدبية لغتها سهلة و بسيطة و موحية يفهمها التلميذ بسهولة .

3 -**التناسب الديني:** خلو الكتاب من القصص الدينية التي يقتدي بها التلميذ في حياته الاجتماعية مثلاً : عدم وجود **سلسلة قصص الأنبياء** لحسن رمضان فحلة و هي من أجمل القصص الدينية خاصة استخدام

القاص لأسلوب الحوار بين شخصيتين رئيسيتين و هي قصص تعلم الدين و المبادئ الإنسانية و العلاقة بين العبد وربه و بين العبد و أسرته و مجتمعه هدفها تعليمي و ديني. كما يفتقر الكتاب المدرسي للجانب الفكاهي فالأطفال يقرؤون القصص ليتعلموا و ليحلموا و ليضحكوا ، وهذا النوع من القصص فوائده كثيرة على الجانب النفسي ، الاجتماعي، المعرفي و نذكر في ذلك نوادر جحا لكامل الكيلاني و من التراث الجزائري سلسلة تأمل و **اضحك مع حديدوان** لمحمد المبارك .

كما نقف وقفة حزينة على:

-**غياب المسرح** كليا عن الكتاب المدرسي فلا نجد ولا مسرحية رغم الإمكانات التي تسخرها المسرحية لتعليم اللغة المنطوقة وتثقيف وترفيه التلميذ .

-**غياب الأناشيد المدرسية** : فقد نشأ شعر الطفولة بين أحضان محمد العابد الجيلالي (1890 - 1967) في مقدمة مجموعته الشعرية (الأناشيد المدرسية لأبناء و بنات المدارس الجزائرية) كما برزت الأنشودة الجزائرية عند مجموعة من الشعراء كمحمد الأخضر السائحي و مصطفى الغماري، الشافعي ،السنوسي و غيرهم من الشعراء الذين اهتموا بموضوعات متصلة بعالم الطفل و غرضهم توجيهه في شتى مناحي الحياة على رأي الشاعر السوري سليمان العيسى " أنا اعتقد أن الشجرة العظيمة بنت الغرسة العظيمة و أن الصغير الذي يحمل في طفولته فكرة كبيرة هو الذي يخلق الوطن الكبير و الحياة الخصبة و المبدعة"[(10)] إذن لماذا هذا التغييب لهؤلاء الأدباء الذين يعتمدون على اللغة العربية المتداولة وعلى توجيه هذا النشء لخدمة وطنه ودينه؟.

4 -التناسب الفني :

- الكتابة : مقياس الحرف (13) مما يؤدي إلى صعوبة رؤية التلميذ للخط المكتوب بوضوح خاصة العلامة الإعرابية للكلمة .

- التقسيم غير الصحيح للفقرات .

- الألوان: وتلعب الإمكانات التلوينية دورا كبيرًا في مجال تعليم الصرف والنحو، لا سيما فيما يتعلق بالاشتقاق من الأصول اللغوية وبيان الآثار النحوية، كالإعراب بالعلامات الفرعية والأصلية، وذلك بأن يظهر الأصل اللغوي بلون واحد في جميع المشتقات منه، وبأن يظهر حرف الجر . مثلا . وأثره الإعرابي: الكسرة أو الياء والنون في الجمع السالم والمثنى . بلون واحد دون سائر الكلام، وبذلك يتم الربط في ذهن المتلقي بين الحرف والأثر الذي أحدثه عن طريق الألوان. فرغم قيمتها العظيمة لا نجد لها مكانا في الكتاب .

- يرفق النص بصورة مصغرة لا تعبر عن فحوى النص و أحياناً تخالفه و هذا ما وجدناه في قصيدة احمد شوقي الثعلب المخدوع صفحة 225 ، نجد صورة كلب أو ذئب(غير واضحة) عوض صورة ثعلب كما نجد في نص مقهى القرية ص 241 صورة تمثل مقهى فخما في فندق راق و تبين أيضاً رجلاً في كامل أناقته يقرأ الجريدة رغم أن النص يتحدث عن مقهى بسيط في قرية نائية يلجأ إليه المحتاجون و الفقراء .

- إهمال الصورة في الكتاب المدرسي (السنة الأولى متوسط) رغم دور الإدراك البصري لدى الطفل في هذا السن (الاعتماد على المحسوس) فالصورة المعبرة المفعمة بالألوان و الحياة و التي تعبر عن الفكرة العامة للنص هي واجهة و مفتاح فهم محتوى النص المراد دراسته.

-طريقة عرض الدرس النحوي في كتاب السنة الأولى متوسط:

بادئ ذي بدء, يجب أن نذكر أن الدرس النحوي يرمي الى تمكين المتعلمين غير السليقيين من اكتساب القواعد والأحكام التي تؤهلهم لاستخدام اللغة العربية استخداماً صحيحا بانتحاء سمت العرب في كلامهم .حسب هذا المفهوم فإن الدرس النحوي ذو غاية تعليمية صرف.و يعتمد في تحقيق الأهداف التعليمية المرسومة على القواعد والأحكام المستخلصة من كلام العرب المحتج بفصاحتهم ,أي على الأحكام المستخرجة من النصوص المسماة في الممارسة النحوية "السماع,الرو اية,النقل,الاستقراء" وهو مستند قطعي يتلوه القياس وهو ضرب من التفسير العقلي على تلك الأحكام ,فالدرس النحوي يسهر على تعليم هذه القواعد و الأحكام للمتعلمين لتأهيلهم لاستخدام العربية استخداما صحيحا "إعرابا و بناءً ,وتقديما و تأخيرا٬و حذفا و إظهارا, وتحويلا للكلمة من شكل صحيح إلى آخر"[11] .

وقبل الحديث عن الدرس النحوي في الكتاب المدرسي, نعرض فيما يلي المواضيع النحوية والصرفية المقرر تدريسها في الطور الأول من التعليم المتوسط, وفق نظام الوحدة التعليمية.

03	المجرد والمزيد
الوحدة	موضوع الدرس النحوي الفعل الصحيح و أنواعه
01	الفعل والميزان الصرفي
02	أزمنة الفعل
04	الفعل الصحيح و أنواعه
05	الفعل المعتل و أقسامه
06	تصريف الفعل الصحيح بأقسامه
07	اللازم والمتعدي
08	الفاعل

09	المفعول به
10	الفعل المبني للمعلوم و المجهول
11	تصريف الفعل المعتل بأقسامه
12	المضارع المرفوع
13	المضارع المنصوب
14	المضارع المجزوم
15	إدماج
16	اسم الفاعل
17	اسم المفعول
18	نسخ الجملة الاسمية ب كان وأخواتها
19	دماج
20	نسخ الجملة الاسمية ب إن وأخواتها
21	المفرد المثنى الجمع
22	النكرة و المعرفة
23	الصفة و الموصوف
24	إدماج

يعد الترتيب من المفاهيم العامة و الأساسية لتعليم اللغات فكل نظام لغوي يقوم على ترتيب و تنظيم عناصره و التدرج فيه ،و الهدف من ذلك أن لا نجعل المتعلم يحس بالغربة بين درس و آخر , فكل درس يكون مكملا للدرس السابق ومتفرعا عن الدرس الذي قبله .

وقد تبين من خلال النظر في طريقة عرض الدروس النحوية و الصرفية جميعها أنها خاضعة للتصور التقليدي للنحاة المتأخرين و الخلط الواضح بين الأصول و الفروع.

يجب الانطلاق من **اللفظة الاسمية** قبل الفعلية فنحن نجد سبع وحدات الأولى تدور حول اللفظة الفعلية ثم يأتي في الوحدة (08_09)

الفاعل,المفعول به لأن أصل الفعل اسم والصحيح وجوب الانطلاق من درس **النكرة والمعرفة** الذي بُرمج في آخر البرنامج في الوحدة(22) وهذا غلط كبير, كما يجب أن لا نجمع في درس أزمنة الفعل كل الأزمنة ونقدمها دفعة واحدة للتلميذ. والأنسب أن نبدأ **بالماضي** (الأصل) : حدث منقطع. ثم المضارع (الفرع) :حدث غير منقطع،ثم الأمر (الفرع) :حدث لم يقع بعد.

أما على مستوى التراكيب:عدم وجود **الجملة الاسمية** (المبتدأ والخبر) في البرنامج رغم أنها الأصل ,فوجب أن تتصدر المرتبة الأولى في التركيب ثم الانتقال إلى الفروع الناتجة عن عملية التحويل بزيادة العوامل اللفظية "إن و أخواتها"و "كان و أخواتها" لننتقل بعد ذلك إلى التركيب الفعلي (فعل,فاعل,مفعول به) ثم التركيب الذي تتفرع منه بإضافة المخصصات.

فلو رسخنا في ذهن المتعلم أن تحديد الكلام وفهمه من خلال **"الانطلاق من أقل ما ينطق به مما ينفصل و يبتدأ(ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية و كل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته, ولهذا سمى النحاة الأولون هذه النواة بالاسم المفرد و أطلق عليه ابن يعيش والرضي اسم "اللفظة" وترجمها أستاذنا الحاج صالح** [12] "lexie".

عندما يعي التلميذ موقع اللفظة " النواة" ويحدد فروعها و الزوائد التي حولتها سواءً كانت كلمة فيفهم معناها ويحولها بسهولة (إضافة ألف التثنية, واو الجماعة,نون النسوة,قد والسين اللتين تسبقان الفعل,نون التوكيد...) أو تركيبا ،فالإضافات على اليمين يلاحظ أنها تغير اللفظ والمعنى و تتحكم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم حسب المثال التحويلي الآتي: [(13)] .

Ø	زيدٌ	قائمٌ
إنّ	زيداً	قائمٌ
كان	زيدٌ	قائماً
حسبت	زيداً	قائماً
أعلمت خالدا	زيداً	قائماً
1	2	3

فيتوصل التلميذ إلى الحروف و الأفعال الناسخة المؤثرة على بقية الجملة ولا يمكن تقديم المعمول الأول (م 1)على عامله أما المعمول الثاني (م 2) فقد يتقدم على كل العناصر إلا في حالة جمود العامل مثل(إن) ويمكن اختزال كل هذا الكلام من خلال معادلة رياضية.ونرى ضرورة تخصيص درس نحوي في البرنامج عن نظرية العامل (باختصار ولغة بسيطة) قبل التعمق في التراكيب و إرفاق هذا الدرس بالمعادلة الرياضية التي وضعها الدكتور الحاج صالح بهذه الصيغة: [(ع م1)+ م2] + خ [14].

فاستخدام الرموز الرياضية يسهل على التلميذ عملية الفهم و الاستيعاب مع العلم أن التفكير النحوي عند القدامى قائم على تفكير رياضي محض و هذا ما نلمسه عند الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع علم العروض والذي لا نجد أثرا لحياته في كتاب اللغة العربية في الأطوار الأربعة .

كما يمكن تبسيط المصطلحات النحوية باستخدام لغة الرموز :مثلا جملة اسمية,فعلية (ج.إ)(ج.ف) الفاعل(فا) المفعول به (مفعو)...حتى نختصر الكلام ونبسط المفاهيم على التلميذ مع العلم أن الدراسات العلمية أثبتت أن العقل البشري يفهم بسرعة لغة الرموز .

-لغة التمارين:

التمارين المعروضة بعد البناء اللغوي نجدها تعتمد على اللغة الأدبية مثلا **درس الفعل الصحيح وأقسامه**, تمرين(01) **قصيدة طويلة لنزار قباني** ص:46 و معنى هذا أن يبذل التلميذ مجهوداً لفهمها , أضف إلى ذلك النصوص الطويلة الخاصة بالرسم الإملائي وكثرتها مقارنة بتمارين النحو والبلاغة ,ونقترح أن تكون لغة التمارين:

دقيقة و علمية، مع التنويع بين أنواع التمارين (إعادة الترتيب،ربط بين الجمل،ملء الفراغ ,الربط بالأسهم...) و الاعتماد على النص الملائم والمثال المناسب للدرس النحوي المخطط له وعدم الخضوع الآلي للمقاربة النصية التي لا تخدم أحيانا موضوع الدرس النحوي مما يؤدي بالتلميذ إلى الملل وبذل جهد عقلي و جسمي إضافي خاصة إذا قارنا مقدار هذا الجهد بالحجم الساعي المكثف للتوقيت المدرسي الذي يكابده تلميذ السنة الأولى متوسط و عمره لا يتجاوز 11سنة وهي" مرحلة الطفولة المتأخرة" .

خلاصة لما قدمناه ، نقول بيقين راسخ: تفطن العرب إلى أهمية الوظيفة في استعمال اللغة كما يشهد بذلك ماضيهم اللغوي،وهذا الماضي كان يرتكز على عبقرية اللغة العربية في لسانها و تطبيقاتها التي استوعبت أدق العلوم التقنية ,و الدليل ما وصلنا من أعمال ابن الهيثم ,ابن سينا,الرازي...وغيرهم من علماء العرب الذين برعوا في مجال الطبيعيات و الرياضيات وحتى إذا تمركزنا في المجال اللغوي ووقفنا عند البلاغة العربية القديمة فإننا نجد علماء اللغة .حددوا (الخبر والإنشاء) قبل سورل وأوستن(أفعال الكلام) وتتفق المعاجم العربية على أن الفعل هو :الانجاز و الأداء كما ورد في مقاييس اللغة أيضا أن :"الفاء و العين واللام أصل الصحيح يدل على إحداث شيء من عمل و غيره" [14] فاللغة تصف الواقع و تؤثر فيه وتؤدي ست وظائف كما حددها رومان جاكبسون, فلا

نكتفي بالوظيفة الجمالية للغة بل يجب الوصول إلى وظيفتها البراغماتية و النفعية التي تفيد المتكلم والسامع .فما حال اللغة العربية في المدرسة الجزائرية اليوم؟ رغم سياسة الإصلاحات التي تبنتها المنظومة التربوية لرفع مستوى تعليم اللغة العربية إلا أن تشخيص تعليم اللغة العربية يعكس واقعا يدمي القلب كما تبينه الملاحظات و النقائص التي سجلناها على كتاب اللغة العربية للسنة الأولى متوسط و هي نقائص ستؤثر سلباً على أداء وظيفته و هي تمكين المتعلمين من اكتساب اللغة الوظيفية المنشودة. لكننا نأمل في غد أجمل من يومنا بفضل جهود الباحثين والأسرة التربوية، حتى نرقى باللغة العربية من جهة ونيسر تعليمها وتعلمها للتلاميذ من جهة أخرى.حتى تصبح ملكة لديهم يحسنون استعمالها كتابة و مشافهة في المواقف الحياتية المختلفة.

الهوامش و الإحالات:

* كتاب اللغة العربية السنة الأولى من التعليم المتوسط تنسيق و إشراف شريف مريبعي ،الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية الجزائر 2012 /2013.

-1 ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي طبعة 1،بيروت ،1952 ،ج1 ، ص 32 .

-2 اللغة الوظيفية و الاتصال زكريا شعبان شعبان ،علم الكتب الحديث 2010 ،ص 3 .

3 - المرجع نفسه ، المقدمة.

4 - صالح بلعيد ، اللغة العربية العلمية دارهومة الجزائر ،2010 ص10.

5 - عبد الرحمن الحاج صالح "علم تدريس اللغات و البحث العلمي في منهجية الدرس اللغوي،مقال غير منشور.

6 - عبد اللطيف الغربي ، عبد العزيز الغرضاف ، معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجية و الديداكتيك ، ج1 ص109.

7 - دروس السنة الرابعة مادة أدب أطفال للأستاذة شريفة جوادي المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية

8 - عبد الرحمن الحاج صالح ،بحوث و دراسات في لسانيات العربية،منشورات المجمع الجزائري للغة العربية ج1 ،الجزائر 2007 ص161 .

9 - المرجع نفسه ص 68.

10 - الوجه الضائع عبد العزيز المقالع ، دار الميسرة بيروت،1985 ص 94.

11 - حسن خميس الملخ,الحجاج في الدرس النحوي، مجلة عالم الفكر، ع2المجلد 40 أكتوبر- ديسمبر2011، ص: 119.

12 -عبد الرحمن الحاج صالح,النظرية الخليلية الحديثة,مفاهيمها الأساسية,ع4, 2007,ص:32.

13 - المرجع نفسه,ص:80

14 - المرجع نفسه,ص:82

15 - ابن فارس:معجم مقاييس اللغة ج4ص:511

جهود الأفراد والجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربية

أ/ مسعودة بن النوي (ج . الجزائر-بوزريعة-)

الملخص:

نحاول في هذا المبحث عرض الموسوعات والمعاجم المتخصصة في مجال الحاسوبيات في اللّغة العربية، ووصفها باختصار، والتي نظن أنها المعاجم الموجودة في هذا المجال، المؤلفة على الورق، والموجهة إلى المتّخصصين في مجال الحاسوبيات ومستعملي مصطلحاته في المدة الزمنية ما بين سنة 1990م 2011م، بغض النّظر عن تلك المعاجم المصورة التي يمكن العثور عليها في شبكة الإنترنت. وقد رتبنا هذه المعاجم بحسب سنة نشرها، وبحسب مؤلفيها إن كانت صادرة عن مركز أو مجمع علمي نصنفها ضمن جهود الجماعات، وإن ألفّها مؤلّف واحد ندرجها ضمن الجهود الفردية، والغرض من هذا العمل محاولة الاطلاع على جهود الأفراد والجماعات في وضع معاجم مصطلحات الحاسوبيات في اللغة العربية، لأهمية هذا الموضوع ليس للمتخصصين في هذا المجال فقط، بل حتى التلاميذ في المدرسة وعامة المثقفين الذين هم بحاجة لهذه المصطلحات طالما صار الحاسوب ولوازمه من الوسائل الضرورية والمستعملة يوميا لدى هذه الطبقات من المجتمع.

جهود الأفراد:

1.1) معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية 1994م:

عام أربعة وتسعين تسع مائة وألف (1994م)، ألّف إ. و. حدّاد مؤلّفين الأوّل عنونه بـ: معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية (انجليزي – فرنسي – عربي)، والثّاني قاموس مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتية (فرنسي - انجليزي – عربي)، وكلا العملين صدرا عن مكتبة لبنان.

وقد ألّف هذا المعجم استجابة لأهمية تكنولوجيا الكمبيوتر والمعلوماتية في العصر الحديث، إذ يرصد مصطلحات هذين العلمين، حتّى يسهم في تعميم المعرفة العلمية في العالم العربي.

ورتّب ترتيبا ألف بائيا بمراعاة اللّغة الانجليزية، فعلى يسار الصفحة رتبت المصطلحات باللّغة الإنجليزية ويقابلها في وسط الصفحة نظائر مفاهيمها باللّغة الفرنسية ليقابلهما من جهة اليمين المصطلح المقابل باللّغة العربية. وقد جاءت مصطلحات هذا المعجم على هذا الشّكل في حوالي ثمان وثلاثين صفحة بعد الثلاث مائة، من دون إيراد لشروحات مفاهيمها باللّغة العربية.

2.1) معجم مصطلحات الحاسب الآلي 1999م:

معجم من الحجم الصغير، ثنائي اللّغة (انجليزي – عربي)، وضعه فاروق سيد حسين، وهذا المعجم من منشورات دار راتب الجامعية، بيروت – لبنان، صدر سنة 1999م، جاء مؤلّفا في مائتين واثنين و ستين (262) صفحة، مُلْحَقًا بأهم المراجع، التي اعتمد فيها على أربعة منها باللّغة الانجليزية، ومرجع واحد باللّغة العربية هو قاموس مصطلحات الحاسبة الالكترونية لفراس حسون علي. واستهل معجم مصطلحات الحاسب الآلي بمقدّمة من توقيع واضعه يقول فيها: « بعد زيادة التعامل

مع الحاسب الآلي وأعقب ذلك نمو استعمال شبكة الانترنيت في جميع أنحاء الوطن العربي، فقد ظهرت تعبيرات إنجليزية في هذا المجال قد تختلف عن معانيها المتعارف عليها لدينا وليست موجودة في القواميس المعتادة. وقد جعل هذا الأستاذ راتب مدير عام دار راتب الجامعية أن يكلفني بوضع هذا الكتاب عن مصطلحات الحاسب حتّى يمكن سد هذا النقص اللّغوي لدى بعض المستعملين للحاسب.»[1] وقد رتبت مصطلحات هذا المعجم من اليمين إلى الشمال ترتيبا ألفبائيا، حيث أخذ فاروق سيد حسين بعين الاعتبار في ترتيبه هذه المصطلحات اللّغة الانجليزية، إذ يورد من الشّمال بخط سميك وبلون أسود داكن المصطلح باللّغة الانجليزية ويقابله من اليمين المصطلح المقابل باللّغة العربية، بخط سميك وبلون أسود داكن أيضا، ثم يشرح مفهوم المصطلح باللّغة العربية في بضعة أسطر، وهكذا يرتب بقية المصطلحات الأجنبية، وإن لم يجد مقابلاتها باللّغة العربية يعمد إلى شرح مفهومها من دون إيراد المقابل العربي.

3.1) معجم مصطلحات الكمبيوتر (عربي - فرنسي – انجليزي): 1999م

هذا المعجم من إصدارات سلسلة المعاجم العلمية في عددها التاسع، أعدّه خليل أحمد خليل، وهو مؤلّفٌ من منشورات دار الفكر العربي، بيروت – لبنان، صدر في طبعته الأولى سنة 1999م. معجم من الحجم الصّغير، ثلاثي اللّغة (عربي – فرنسي – انجليزي)، بلغ عدد صفحاته مائتين وواحد وثلاثين صفحة (231)، رتّبه الباحث ترتيبا ألفبائيًا من الألف حتى الياء باللّغة العربية حيث أورد المصطلح باللّغة العربية من اليمين بلون أسود داكن، وقابله المصطلح الأجنبي باللّغة الانجليزية بلون أسود داكن أيضا في وسط الصّفحة، ثمّ في أقصى الشمال يورد المصطلح المقابل باللّغة الفرنسية باللّون نفسه الذي وضعت به المصطلحات

المقابلة بالانجليزية والعربية، ثمّ يسرد المصطلحات المشتّقة من الكلمة نفسها مرتّبة ترتيبا ألف بائيا باللّغة العربية وما يقابلها باللّغتين الانجليزية والفرنسية، ويورد شرحها باللّغة العربية باختصار. وقد استعمل فيه شرح بعض مفاهيم المصطلحات الواردة فيه بالتّوضيح برسومات[2].

4.1) معجم شبكات الحاسب (عربي - انجليزي):

ألّف هذا المعجم وائل إبراهيم الغنيمي، وهو مؤلَّف من منشورات دار راتب الجامعية، بيروت – لبنان، ولم ترد سنة نشر المعجم في معلومات نشره. وهو معجم من الحجم المتوسط، سميك، جاء في حوالي أربعين صفحة بعد الست مائة (640)، مما يدّل على كثافة المادة المصطلحية فيه، وقد كتب على ظهر الغلاف، ما يلي:

- أكبر مرجع في شبكات الحاسب باللّغة العربية.
- شرح وافي لأحدث التّقنيات الشّبكية.
- عدد كبير من الأشكال التوضيحية والجداول الإرشادية.

وقد اعتمد في ترتيب مصطلحاته باللّغة الانجليزية على التّرتيب الألف بائي. واستهل هذا المعجم بتقديم يتحدّث فيه مؤلّفه عن الصّعوبات التي يتلقّاها القارئ في فهم المصطلحات المستغلقة في هذا المجال يقول: «سعيا منا لإيجاد حلّ لتلك الصّعوبات فقد حاولنا جمع أكبر عدد من المصطلحات الخاصة بشبكات الكمبيوتر في معجم شامل يشرح ويبسط معاني هذه المصطلحات بلغة عربية بسيطة، وقد استعنا في سبيل ذلك بكمّ هائل من المراجع الإنجليزية من كتب وموسوعات وكذلك العديد من منشورات الشّركات الكبرى المتخصصة في مجال شبكات الكمبيوتر»[3].

وقد ابتدأ المؤلَّف من الشّمال إلى اليمين بفهرس للموضوعات باللّغة الإنجليزية، مرتبا ترتيبا ألف بائيا باللّغة الأجنبية أيضا.

أمّا عن متن هذا المعجم الضخم فقد اعتمد مؤلّفه على إيراد المصطلح الأجنبي على شمال الصفحة مكتوبا بخط سميك أسود داكن، ثمّ قام بشرح المصطلح مباشرة باللّغة العربية مستعينا بالمصطلحات الأجنبية الشّائعة لدى المستعمل، كما لجأ إلى التّوضيح ببعض الرّسوم في بعض الأحيان [4] .

5.1) موسوعة مصطلحات الكمبيوتروالإنترنت1999م:

موسوعة ألّفها عبد الفتّاح مراد، مستشارورئيس محكمة الاستئناف بمصر، متحصّل على دكتوراه في القانون المقارن مع مرتبة الشّرف الأولى، أستاذ ومحاضر بالجامعات، وقد ورد في الصّفحات الأولى من المُؤَلّف التّعريف بالباحث ومؤهلاته العلمية وخبرته العملية[5]. حصلت موسوعته على جائزة مؤسسة الأهرام المصرية لأفضل مؤلف علمي موسوعي عام 1999م[6].

هذه الموسوعة هي مجلّد واحد ضخم، يبلغ عدد صفحاته ألفين ومائتين وستة وخمسين صفحة، طبع طبعتين هذه التي نحن بصدد وصفها الطّبعة الورقية، والطبعة نفسها أدخلت إلى الحاسوب فصارت طبعة مصوّرة.

أمّا عن منهج ترتيبه لمصطلحات الحاسوبيات، فقد رتبت «حسب التّرتيب الألفبائي الانجليزي لمجمل حروف المدخل سواء أكان مؤلّفا من كلمة واحدة أم من عدّة كلمات أم مختصرا»[7]. كان يأتي بالمصطلح باللّغة الإنجليزية مرتبا ترتيبا ألفبائيا يورده في أقصى الشّمال ويقابله باللّغة العربية في أقصى اليمين مقابله العربي، وكلا المدخلين - المصطلح الأجنبي والعربي - كتبا بلون أسود، ثمّ يمد سطرا تحت المصطلحين الانجليزي والعربي وتحت السّطر من الشّمال يورد المؤلّف المصطلحات المرادفة للمدخل الرئيس بالانجليزية أو الاختصارات، « وبجوار المصطلح العربي

وردت المترادفات العربية المتداولة في مصر وأقطار العالم العربي»[8]، ثمّ يشرح باختصار وبدقة ووضوح، مفهوم تلك المصطلحات، ويستعمل في بعض شرحه التّوضيح بالرّسوم[9]، وقد سهلّ المؤلّف على الباحث في هذه الموسوعة البحث عن أي مصطلح بإيراده فهرسا للمداخل المرجعية باللّغتين العربية والانجليزية، في نهاية الموسوعة « فيختار من رؤوس المواضيع التي في ذلك الفهرس العنوان الذي يمكن أن يدخله إلى الموضوع الذي يريده أو إلى أقرب المواضيع له»[10]. رغم ضخامة هذا المؤلّف وأهميّته البالغة إلاّ أنّنا لم نعتمد عليه في بحثنا لسبب أنّنا حاولنا العمل على معجم موّحد بين أقطار الوطن العربي، فكان اختيارنا للمعجم الموحد في مصطلحات المعلوماتية، حتى نحاول بعدها الوصول إلى مدى توحيد الاستعمال الكتابي للمصطلحات المستعملة في المؤلفات في هذا المجال. وكانت سنة صدور المعجم الموحّد بعد سنة تكريم هذه الموسوعة بعام والمدّة التي حددناها انصب فيها عملنا على ما ألّف بعد سنة نشر المعجم الموحد بعامين فكانت هذه الموسوعة خارجة عن مدونتنا. وقد حاولنا في هذا المبحث ذكر الجهود الفردية والجماعية لتوفير معاجم التّخصص في مجال المعلوماتية.

6.1) معجم المبرق (فرنسي – عربي):2004م

ألف هذا المعجم محمود إبراقن، وهو عضو في هيئة التدريس بجامعة الجزائر (بكلية العلوم السياسيّة والإعلام)، وهذا المؤلّف من منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، صدر سنة 2004م، ونال جائزة اللّغة العربية لسنة 2001م على إثر المسابقة التي نظّمها المجلس.

فهذا المعجم متخصص في مجال علوم الإعلام والاتصال، موّجه بالدّرجة الأولى للباحثين في علوم المجتمع والاتصال، والعاملين في قطاع الإعلام والاتّصال والثقافة بمختلف مضامينها ووسائطها.

وقد خاض المؤلّف في حقل مترامي الأطراف، ومتشعب المسالك، وهو حقل التنظير والتطبيق في علوم المجتمع، وعدد من فروعها الأكثر تطوّرا وحيوية، ألا وهي علوم الإعلام والاتّصال التي عرفت في العقد الأخير تطوّرا مذهلا، وأصبحت مرادفة للعولمة التي تغطي كوكب الأرض، وتدفق وسائطها بطوفان من المعلومات المتهاطلة، عن طريق الصوت والصّورة، وشبكات المعلوماتية والبريد الإلكتروني....

وأصبحت مع الذكاء الاصطناعي والهندسة الجينية من أعظم الإنجازات المعرفية، وقاطرة الحداثة والتفوّق في مستهلّ القرن الواحد والعشرين.

ونظرًا لأهمية هذا المؤلّف الجزائري، فقد حرص المجلس مع الناشر محمّد الطاهر قرفي على إخراجه في أفضل صورة ممكنة، وتمكين المعنيين من اقتنائه عبر كلّ أرجاء الوطن وعلى المستوى المغاربي والعربي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ هذا المعجم ليس متخصصا في مصطلحات الحاسوبيات، بل يشملها ضمن حقل أوسع هو علوم الإعلام والاتصال، لذا فقد أدرجناه هنا للتنويه بأهميته باعتباره معجما يضم مصطلحات الحاسوبيات.

2) جهود الجماعات:

1.2) معجم مصطلحات الحاسبات الالكترونية: 1987م

معجم الحاسبات الالكترونية (إنجليزي عربي/ عربي إنجليزي)، هو مؤلّف صدر عن مركز الأهرام للترجمة بالقاهرة - مصر، في طبعته الأولى سنة 1987م، خاص بمصطلحات الحاسبات الالكترونية (الحاسوب) باللّغتين الانجليزية والعربية، ويتميّز بقدر من الإحاطة يفوق أيّ محاولة سابقة، تحدوه إلى ذلك اعتبارات كثيرة أهمّها:

1 – إيمان المركز بأهمية علم الحاسبات وضرورة استخدام الحاسبات في جميع فروع الحياة الإنتاجية والعلمية والعملية.

2 – الخبرة الطويلة التي دانت للمركز على امتداد ما يزيد عن عشر سنوات من العمل في حقل التّرجمة والتّعريب، ترجم خلالها مئات من كتب وأبحاث العلوم والتّكنولوجيا، منها العديد في مجال علوم الحاسب الآلي وحدها.

وقد حرص المركز على أن يلحق بكل كتاب منها مسردًا صغيرا بكل ما ورد فيه من مصطلحات عربية مقابلة لنظيرتها الأجنبيّة، كذلك فقد تولى المركز مهمّة ترجمة مصطلحات الحاسب الآلي لبعض كبرى شركات الحاسبات الآليّة.

شرع المركز في الاضطلاع بهذا العمل، وحشد له نخبة من أساتذة الجامعات المتخصصين في مجال الحاسبات وخبراء مركز الأهرام للترجمة والنّشر، وتمّ حصر أكبر قدر من المصطلحات الأجنبيّة في مجال الحاسبات، وتطبيقاتها والتحكّم الأوتوماتيكي، والاتصالات ومعالجة البيانات، واجتهدوا في وضع أدق المصطلحات العربية التي تعبّر عنها.

ضمّ هذا المعجم ما يزيد عن ثلاثة وعشرين ألف مصطلح، وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: انجليزي – عربي.

القسم الثاني: عربي – انجليزي.

القسم الثالث: خصصت فيه ست عشرة صفحة تمثّل ملحقا لترتيب المصطلحات المختصرة، وقد رتبت ترتيبا ألفبائيا آخذين بعين الاعتبار ترتيب المصطلحات باللّغة الانجليزية.

2.2) معجم مصطلحات الحاسوب 1995م:

هو معجم ثنائي اللّغة (عربي – انجليزي، انجليزي – عربي)، من إعداد

مركز التّعريب والبرمجة، نشرته الدار العربية للعلوم، في طبعته الأولى سنة 1995م، كتاب متوسط الحجم، مرتّب من اليمين إلى اليسار ترتيبا ألفبائيا من الألف إلى الياء آخذا بعين الاعتبار المصطلحات باللغة العربية مرتبة ترتيبا ألفبائيا، وما يقابلها باللغة الانجليزيّة.

وخصصت إحدى وستون صفحة للمختصرات من المصطلحات باللّغة الانجليزية مرتّبة ترتيبا من (A-Z) .

وخصصت ثمان وثمانون صفحة رتبت فيها المصطلحات باللّغة الانجليزية ترتيبا ألفبائيا أيضا وما يقابلها باللّغة العربية.

معجم الحاسوب الموحّد 1998م:

هذا المؤلّف من إنتاج الهيئة العليا للتّعريب، وإصدار سلسلة المعاجم العلمية، في طبعته الأولى سنة 1998م، عن دار الأصالة للصحافة والنّشر بالخرطوم، بالسودان. قام بمراجعته والتّدقيق فيه الأساتذة الدكاترة: دفع الله عبد اللّه التّرابي، وزكريا الحاج علي، وهاشم الأمين مصطفى.

وقد صدرتْ عن هذه السلسلة معاجم متخصصة في مجالات علمية مختلفة، منها: معجم الكيمياء الموحّد، معجم الفيزياء الموحّد، المعجم الهندسي الموحّد، معجم الرياضيات الموحّد، المعجم الموحّد لمصطلحات علوم الأرض.

أمّا عن هذا المعجم فقد جاء في خمس وتسعين صفحة بعد المائة(195)، وملحق بقائمة المراجع المعتمدة فيه. أمّا من حيث الشّكلُ الخارجي فهو من الحجم الكبير والسّمك الصّغير جدّا. كما جاء المعجم مقسما إلى العناصر التالية: التّصدير، مقدّمة المعجم، التّمهيد، (أ) معايير اختيار المصطلح الصادرة عن اتحاد مجامع اللّغة العربية، (ب) معايير اختيار المصطلح الصادرة عن مكتب تنسيق التّعريب. (ج) منهجية وضع المعجم.

اللّجنة الدّائمة لتعريب مصطلحات الحاسوب، مسرد المصطلحات، ثمّ المختصرات، وأخيرا الملاحق.

ويتضمن المعجم مسردا للمصطلحات ابتداء من الصفحة التاسعة عشرة حتى الصفحة الثالثة والسبعين بعد المائة، حيث رتّبت هذه المصطلحات ترتيبا ألف بائيا باعتبار اللّغة الإنجليزيّة، وفي مقابل المصطلح الإنجليزي يوضع المقابل باللّغة العربية ثمّ في الصفحة الخامسة والسبعين بعد المائة خصص جزء من المعجم للمختصرات مرتب أيضا باللّغة الإنجليزية وفي الجهة المقابلة للمصطلح باللغة الإنجليزية توضع المقابلات باللّغة العربية، وجاء جزء المختصرات هذا في خمس صفحات (من ص:177 إلى ص: 181.)، ليتبع بملاحق جاءت فيها مواضيع مرتبة حسب عناوينها كما يلي:

1 – خصائص الحواسيب حسب الأجيال.

2 - بعض اللّغات المشهورة للبرمجة.

3 – رموز مخططات الانسياب.

4 – الدّارات المنطقية.

5 – جدول الأنظمة العددية.

6 – أنظمة تمثيل الأحرف والرّموز:

أ – النظام العشري المشفر بالثّنائي.

ب - النظام العشري المشفر بالثّنائي الممتد لتبادل المعلومات.

ج – الشفرة القياسيّة الأمريكيّة لتبادل المعلومات.

د – الشفرة العربيّة الموحدة لتبادل المعلومات.

وفي آخر هذا المعجم فهرس للمراجع المستعملة جاء في ثلاث صفحات (ص: 197 – 199).

4.2) المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية:2000م:

المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية معجم ثلاثي اللّغة (انجليزي – فرنسي – عربي)، من منشورات المنظمة العربية للتّربية والثّقافة والعلوم، سلسلة المعاجم الموحدة، في رقمها السّابع والعشرين، من إصدارات مكتب تنسيق التّعريب، بالدّار البيضاء، المغرب، في طبعته الأولى سنة 2000م، وهي الطّبعة الوحيدة من تلك السّنة إلى يومنا هذا، رغم إشارة أعضاء المكتب إلى إصدار طبعات أخرى لهذا المعجم، في التّقديم الذي عرض في أول صفحة منه.

أمّا عن شكل المعجم فهوكتاب من الحجم المتوسط يشبه في شكله بقية معاجم سلسلة المعاجم الموحدة، التي أصدرها مكتب تنسيق التّعريب، مثل المعجم الموحّد لمصطلحات اللّسانيات... وغيرها من معاجم السلسلة. بلغ عدد صفحاته سبعا وأربعين ومائتين، بالإضافة إلى اثنتين وثمانين صفحة من اليمين إلى الشّمال استهل فيها المعجم بتقديم، ثمّ بتنبيه فكّت فيه الرّموز التي وضعت للدّلالة على أمور قد تستغلق على مستعملي هذا المعجم، ووضع بعده فهرس عربي رتبت فيه المصطلحات باللّغة العربية ترتيبا ألف بائيا مرفقة بأرقام المصطلحات باللّغة الإنجليزية التي تشكّل قائمة مصطلحات المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية، وقد رتبت من الشّمال إلى اليمين ترتيبا ألف بائيا باللّغة الإنجليزية حتى مائتين وعشرة مصطلحات بعد الثّلاثة آلاف مصطلح (3210 مصطلحات)، حيث بلغت سبعا وثمانين ومائة صفحة (187)، يورد فيها المصطلح باللّغة الانجليزية مرقما وبخط أسود سميك ويقابله المصطلح المقابل باللّغة العربية بخط أسود سميك أيضا، وأسفل المصطلح باللّغة الانجليزية يورد المصطلح باللّغة الفرنسية بخط أسود رفيع، وأردف هذا بفهرس للمصطلحات باللّغة الفرنسية مرتّبة ترتيبا ألف بائيا من الصّفحة الثّامنة والثّمانين بعد المائة حتى الصّفحة السابعة والأربعين بعد المائتين.

وقد اتبع مكتب تنسيق التّعريب لإعداد هذا المعجم منهجا محدّدًا يقوم على خطوات أربع هي[11]:

1 – مراسلة جميع الدّول العربية من خلال مؤسساتها العلمية والتّعليمية المتخصّصة ومراكزها الحاسوبية لموافاة المكتب بما لديه من مصطلحات بالإنجليزية والفرنسية وما تداوله من مقابلات عربية.

2 – تعيين فريق عمل من أساتذة متخصصين وتكليفهم بتحضير مسودة عن مشروع المعجم، وقام بتشكيل هذا الفريق المدرسة المحمّديّة للمهندسين بالرباط (جامعة محمّد الخامس) تحت إشراف يحي هلال مدير مختبر المعلومات والعلاج الآلي للعربيّة بالمدرسة نفسها.

3 – تمّ عرض المشروع بعد إنجازه على بعض الهيئات المتخصّصة في الوطن العربي لدراسته وإبداء الملاحظات عليه.

4 – ثمّ عقدت بعد ذلك ندوة خبراء لدراسة المشروع وتنقيحه، وذلك بالتعاون مع المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون (بيت الحكمة).

هذه لمحة مختصرة عن مواصفات المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية.

5.2) قاموس لمصطلحات المعلوميات (فرنسي – انجليزي – عربي)2011م:

هذا المؤلّف من منشورات المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، تمّ إصداره سنة 2011م، وهو عبارة عن دليل وظيفي في عدده السادس، حيث يختص هذا العدد بمصطلحات مجال الحاسوبيات.

أمّا عن شكله فهو مؤلّف من الحجم الكبير، قليل السمك فقد جاء في ست عشرة صفحةبعد الثلاث مائة(316) متبوعة بفهرس موضوعات. صمّم هذا الدّليل وأخرج من قبل مؤسّسة كليك للنّشر لخدمات الحاسوب، وقدّ تمّ نشره على ورق فاخر من النّوع الجيّد الأملس، والوزن الثّقيل.

أمّا عن محتواه فقد تناول هذا الدّليل عدّة جوانب مهمّة في مجال الحاسوبيات، وفي دعم استعمال المصطلحات باللّغة العربية في هذا المجال، وذلك بالتّوضيح بالصّور إضافة إلى اللّغة، حتّى يسهل على المستعملين التعرّف على بعض مفاهيم مصطلحات الحاسوبيات الشّائعة في الاستعمال باللّغات الأجنبية، وتعليم بعض تقنيات العمل على أنظمة الحاسوب، وتعلّم بعض تقنيات البحث في الشّبكة العنكبوتية عن المعلومات، وهذا كلّه بالتّوضيح بالصّور.

استهلّ هذا الدّليل بكلمة أولى من توقيع وزير البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتّصال، التّي أثنى فيها على هذا الجهد المبذول، وشكر للمجلس وللخبراء هذا الإنجاز، الذي قال فيه: «إنّنا نرى في هذا الدّليل مساهمة قيّمة لسد الفراغ الملاحظ في مجال مصطلحية المعلوماتية باللّغة العربية، وإثراء المكتبات الوطنية وكذا لغة سيبويه في بلادنا»[12]، وثمّن فيها هذا البحث في قطاع البريد وتكنولوجيات الإعلام والاتصال راجيًا أن يكون هذا العمل خطوة من شأنها تعزيز مسار تحقيق الجزائر الالكترونية، وأن يتبع هذا العمل بأعمال أخرى تسهل مسار تحديث الإدارة الإلكترونية بما يخدم المواطنين بوجه عام، والشّباب من خريجي المدرسة الجزائرية الذين يتعلّمون باللّغة العربية بوجه خاص.

ثمّ أتبع هذا بكلمة لرئيس المجلس الأعلى للغة العربية، التّي يعرّف فيها بهذا الدّليل بكونه الدّليل «السادس في سلسلة الأدلّة الوظيفية المخصّصة لخدمة المعرفة والتّقانات وتسهيل العمل بلغتنا الجامعة في الحياة العامّة للمواطنين من ناحية الاستعمال والتّداول والتّكوين والصّيانة، لدى مستخدمي التكنولوجيات الحديثة»[13]، والهدف من هذا الدّليل – على حدّ تعبير رئيس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر- هو التّرغيب والتّشجيع على استعمال اللّغة العربية في الإدارة وفي مختلف مستويات التّكوين الفنّي والتّقني. وكذا تقديم الدّعم والتّسهيلات الضّرورية لأعوان

الإدارة في علاقاتهم بالمواطنين للحدّ من الأخطاء التّي قد تنجم نتيجة الاستعمال السيئ للمصطلح، وتيسير استخراج الوثائق بالعربية في أسرع وقت وبأقلّ كلفة. ثمّ ينوّه بأهمية هذا الدّليل في إمكانية تسهيله العمل «على توحيد المصطلح باللّغة العربية في مجال الحاسوبيات، وذلك بعد استعمال هذه المصطلحات والتّرويج لها لتصبح متداولة»[14]، ومن ثمّة قد يسهم هذا الدّليل – على حدّ رأيه – في تحديث مضامين اللّغة العربية وترقية استعمالها على شبكة الإنترنت. ويختم رئيس المجلس كلمته بشكر كلّ من أسهم في إنجاز هذا العمل من أساتذة جامعيين مختّصين في المعجمية وفي ترجمة المصطلح وفي تكنولوجيا الحاسوبيات، ومن مسيرين متمرسين من وزارة البريد وتكنولوجيا الإعلام والاتّصال....

وبعدها وضع خبراء المجلس مقدّمة لهذا الدّليل موضحين فيها أهمية هذا الدّليل والهدف منه، وملخصا عن محتواه، راجين أن يلقى هذا العمل استحسان المستفيدين من خدماته، وأن يسهم في تذليل بعض الصعوبات التي تواجه خاصّة المبتدئين في مجال الحاسوبيات، وألحقت هذه المقدمة بنسختين عنها مترجمتين إحداهما باللّغة الإنجليزيّة والأخرى بالفرنسيّة.

وإذا حاولنا إلقاء نظرة خاطفة على محتوى هذا الدّليل، نجده مقسّما إلى أربعة أجزاء هي:

1 – قاموس (فرنسي – انجليزي – عربي).

2 – مسرد عربي.

3 – مصطلحات مرئية.

4 – لوحات وظيفية.

حيث يحتوي القاموس الثّلاثي اللّغة على خمسين مصطلحا بعد التسع مائة والألفين (2950)، في مجال الحاسوبيات ورتّبت هذه المصطلحات ترتيبا ألف بائيًا باللّغة الفرنسية فمن الشِّمال ترتّب المصطلحات باللّغة الفرنسية تقابلها في وسط الصّفحة المصطلحات المقابلة لمفاهيمها باللّغة الإنجليزية، ثمّ على اليمين وضع المصطلح المقابل باللّغة العربية.

وتضمّن الدّليل مسردًا للمصطلحات باللّغة العربية مرتبةً ترتيبا ألف بائيا بهدف تسهيل البحث انطلاقا من المصطلح باللّغة العربية.

واحتوى هذا الدّليل أيضًا «على مواد جديدة ومبتكرة تمثّلت في تقديم أجزاء مرئية (36 مكوّنا رقميًا من مكوّنات الحاسوب بالصّورة والشّروح بالعربية)، ولوحات وظيفية ضرورية ومفيدة» [15]، خاصة بالنّسبة للمبتدئين في مجال الحاسوبيات، والمتعلمين باللّغة العربية.

3) المعاجم المتخصصة في مجال الحاسوبيات في اللّغة العربية، المؤلفة في الفترة ما بين (2000 - 2011م):

* / دراسة تحليليّة نقديّة مقارنة:

إنّ أوّل تساؤل تبادر إلى ذهني لمّا تقرر خوضي غمار هذا البحث، هو محاولة الوصول إلى المعاجم المتخصّصة في مجال الحاسوبيات، والموجّهة إلى مستعمليها الباحثين والمتعلمين والقرّاء باللّغة العربية، فما توصلت إليه - بغض النّظر عن تلك المعاجم الإلكترونية المبثوثة في الشّبكة العنكبوتية، والتّي تكون في غالب أمرها نتاج اجتهادات فرديّة، ينقصها التّوحيد والتّنسيق بين أقطار الوطن العربي -، هو هذه الجهود التي عرضناها في هذا المبحث من الفصل الثّاني، فإذا استثنينا منها الجهود الفرديّة لسبب واحد هو انعدام شرط توحيد مصطلحاتها بين أقطار الوطن العربي، والجهود الجماعيّة المؤلّفة قبل سنة 2000م، لأنّها تخرج عن حيّز المدّة الزّمنية التي حدّدناها في بحثنا، نجد أنفسنا أمام معجم

واحد في طبعته الأولى، والتي لا ثاني لها لحدّ الساعة [16]، هو المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية الصّادر عن مكتب تنسيق التّعريب بالمغرب، سنة 2000م، وقاموس لمصطلحات المعلوميات، من إصدار المجلس الأعلى للّغة العربية بالجزائر، سنة 2011م، وفي مدّة زمنية قدرها أحد عشر عاما، نتساءل فيها عن واقع صناعة المعاجم المتخصّصة باللّغة العربية، خاصة في مجال الحاسوبيات، الذي يهتزّ العالم بأسره على وقع مستحدثاته العلمية والتّقنية؟.

لقد ارتأيت مقارنة المصطلحات الواردة في الاستعمال الكتابي باللّغة العربية في مجال الحاسوبيات مع ما وُضع في هذا المعجم، لأنّ ما وضع فيه من مصطلحات جاءت بالتّنسيق بين أقطار الوطن العربي، وعلى هذا الأساس يفترض أن تستعمل مصطلحات في واقع الاستعمال بالرّجوع إلى هذا المعجم على الأقل فيما وضع فيه من مصطلحات لا تزال مفاهيمها سارية المفعول، دون النّظر إلى ما استحدث من مفاهيم لم توضع مصطلحاتها بعد لأن المدّة ما بين تأليف المعجم الموّحد وقاموس المجلس الأعلى للغة العربية بالجزائر، تعتبر شرخا زمنيا إذا ما قارنا بين المصطلحات المنتجة في مجال الحاسوبيات وبين ما أنتج ولا يزال ينتج كلّ عام من مسميات حديثة في المجال نفسه.

ويجدر بنا قبل البدء في الدّراسة التّحليلية النّقدية المقارنة لما يتعلق بمتن المؤلَفين، الإشارة إلى بعض الاختلافات في المصطلحات المعنونة لها، فقد ورد مصطلح «المعلوماتية» و«المعلوميات» على ظهر غلاف المؤلفين، ويراد بكلا المصطلحين مفهوم واحد هو (Informatique) بالفرنسية و(Informatics) بالإنجليزية، وبالرّجوع إلى تلك المعجمات المتّخصصة في هذا المجال، والتي أوردناها في المبحث الثّاني من هذا الفصل تبيّن لنّا أنّها تنقسم إلى قسمين، حيث إنّ أغلب هذه المعجمات - والتّي هي من تأليف

مؤلّف واحد، أي الجهود الفردية- تجمع على أنّ مقابل هذا المفهوم في اللّغة العربية هو معلوماتية[17]، في حين تقابل المعجمات الموحدّة هذا المفهوم في اللّغة العربية بمصطلح: معلوميات وعلم المعلومات[18]، ويجمع قاموس المجلس الأعلى للغة العربية بين المصطلحين فيجعلهما مترادفين لمفهوم واحد[19].

والغريب في الأمر كيف يقع واضعو المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية بمركز تنسيق التّعريب في هذا الخلل؟ حيث يورد في المتن مصطلح «معلوميات» مقابلا لمفهوم (Informatics) باللّغة الإنجليزية و(Informatique) باللّغة الفرنسية، في حين يوضع على غلاف المعجم عنوان: «المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية»، حيث لا يوجد في متن المعجم الموحّد مصطلح معلوماتية على الإطلاق مقابلا للمفهوم الأجنبي نفسه. وحتّى إذا اعتمدنا قول عبد الرّحمان الحاج صالح بأنّ المصطلحات الدّالة على مفاهيم العلوم تكون بإضافة ألف وتاء آخر الاسم، مثل رياضيات، ولسانيات، وصوتيات [20]...، ونحاول تبرير هذا الخلل الذي وقع فيه واضعو المعجم الموحد، فنقول ربّما قصدوا بمصطلح معلوماتية الجانب العملي من هذا الميدان العلمي، إلاّ أنّنا نلاحظ من خلال اطلاعنا على المعجم أنّ أغلب مصطلحاته تدّل على مفاهيم تجريدية تدخل ضمن مصطلحات الرّياضيات والمنطق،...، لا على مسميات معدّات هذا المجال من حاسوب وملحقاته.

أمّا النّقطة الثانية التّي تكتسي جانبا من الأهمية، هي أنّ مؤَلَّف مركز تنسيق التّعريب وسم بـ «المعجم» (المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية)، في حين وظف المجلس الأعلى للغة العربية ضمن دليله الوظيفي مصطلح «قاموس» ويُقصد به قاموس مصطلحات المعلوميات، في حين أنّ كلا العملين تمّ فيهما سرد المصطلحات الأجنبية الدّالة على مفاهيم هذا العلم، وفي مقابلها المصطلح المقابل باللّغة العربية، وإذا

حاولنا تطبيق كلّ آراء الباحثين اللّغويين في شأن الفرق بين المعجم والقاموس، التّي أوردها علي القاسمي في مقال طويل[21]، نجد أنفسنا عاجزين عن تحديد الفرق بين هذين المؤلّفين، متسائلين في الآن نفسه عن سبب اختلاف التّسمية، في حين أنّ كلا العملين متعدد اللّغات (عربية – فرنسية – انجليزية)، وحتّى الفارق العددي في عدد المصطلحات بينهما ليس كبيرا إلى درجة وسم الأوّل بالمعجم والثّاني بالقاموس، أو العكس، حيث بلغ عدد مصطلحات المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية مائتين وعشرة بعد الثّلاثة آلاف (3210)، ومصطلحات قاموس الدّليل الوظيفي في المعلوميات تسعمائة وخمسين بعد الألفين (2950)، فيكون الفارق بينهما ستين مصطلحا بعد المائتين، فإن كانا شيئا واحدا فما سبب اختلاف التّسمية؟ وإن كانا مختلفين فأين يكمن الاختلاف؟ والذي لفت انتباهي – ومن منطلق أنّه لا فرق بين المعجم والقاموس، ولا بين هذين المؤلّفين من حيث المتنُ ومنهجيةُ ترتيب المصطلحات فيه- أنّ مجال الحاسوبيات مجال حديث، وفي تطور كبير، بمستحدثاته التّي تنتج باستمرار وبكثرة هائلة، وهذا يفترض إنتاجية مصطلحات حديثة يفوق عددها في قاموس الدّليل الوظيفي عددها سنة ألفين ميلادية (2000م)، في ما جمعه المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية، غير أنّني أفاجأ بانخفاض عدد المصطلحات سنة ألفين وأحد عشر (2011م) بقرابة ستين مصطلحا بعد المائتين، فإن حاولت تبرير هذا الاختلاف، بافتراض أنّ الدّليل الوظيفي عمل يقتضي إرشاد مستعمليه إلى مفاهيم أحدث المصطلحات في مجال الحاسوبيات، بغض النظر عن تلك المصطلحات الدّالة على مفاهيم ظهرت إلى الوجود منذ نشأة الحاسوبيات، وصنّفت في المعجم الموحد سنة ألفين (2000م)، واصطلح على مقابلها في اللّغة العربية، ولإثبات هذا الافتراض أو نفيه لابد من الانطلاق من إجراءات علمية والمتمثلة في إجراء مقارنة بين بعض المصطلحات التّقنية الواردة

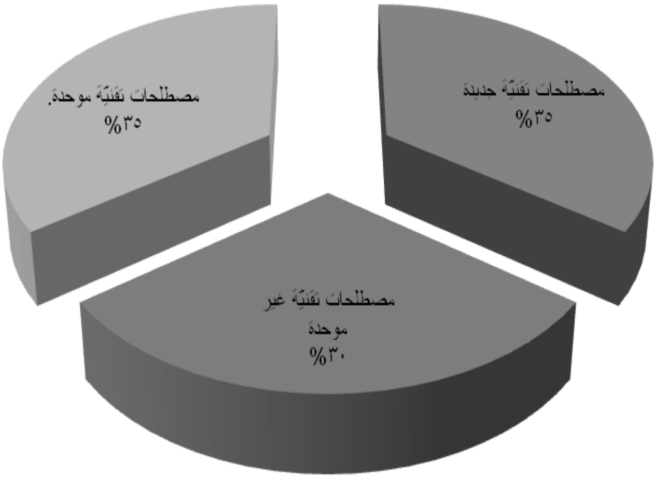
في المعجم الموحّد وفي قاموس المعلوميات والدّالة على المفهوم نفسه، على النّحو الآتي:

المفهوم	المصطلح المقابل باللّغة العربية في المعجم الموحّد:	المصطلح المقابل باللّغة العربية في قاموس المعلوميات:
Abacus Abaque	/	معداد
Abort procedure	إبطال الإجراء	إجراء الإبطال
Accessories Accessoires	ملحقات، متمّمات	لواحق.
Accumulator Accumulateur	مركّم	مركّم تحصيل البيانات.
Adapter Adaptateur	مكيّف	مكيّف
Alarm Alarme	إنذار	إنذار.
Anti – virus Anti – virus	/	مضاد للفيروسات.
Bidirectionnel printer Bidirectionnel le (- (imprimante	/	طابعة ثنائيّة الاتجاه.
Braque Accolade	حاصرة	حاضنة.
Button Bouton	زر	زر
Command buttons Bouton de commande	زر الأوامر	زر الأوامر.

Data acquisition Acquisition de données	تحصيل البيانات.	تحصيل البيانات.
Desk Bureau	مكتب.	مكتب.
Downloading Accelerator Accélérateur	/	مسرّع التّحميل عن بعد.
Cable Câble	حبل، حزمة، أسلاك، موصل	سلك، كبل.
Calculator Calculateur	حاسبة	حاسب.
Calculator Calculatrice	/	حاسبة.
Card Carte	بطاقة	بطاقة
Memory card Carte memoire	/	بطاقة ذاكرة.
Motherboard Carte mère	/	بطاقة أم.

إنّ أوّل قراءة لهذه الجداول تستدعي ثلاث ملاحظات أولاها تؤكّد فعلا أنّ هناك مفاهيم جديدة لم تكن موجودة من قبل في المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية سنة 2000م، وهذا ما نسبته (35 %) من مجموع المصطلحات الواردة في هذه الجداول، كما نلاحظ وجود مصطلحات سبق وضعها في المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية لسنة 2000 م، لكن لم يتم العمل بها في قاموس المعلوميات لسنة 2011م، ونسبة هذه المصطلحات من مجموع ما هو موجود في الجداول (30 %). أمّا الملاحظة الثّالثة فتتمثل في وجود مصطلحات تمّ وضعها من قبل في المعجم الموحّد

لمصطلحات المعلوماتية وتطابقت مع ما وضع من مصطلحات للمفاهيم نفسها في قاموس المعلوميات لسنة 2011م، وهذا نسبته (35 %) من مجموع المصطلحات الموجودة في الجداول أعلاه. وللتّوضيح أكثر نمثل لهذه النّتائج بالشّكل الموالي:

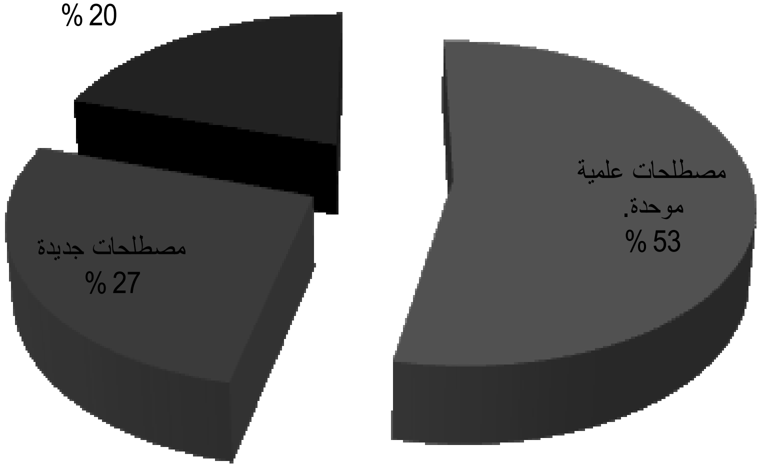


قد تتطلب هذه الدّراسة الإلمام بكل المصطلحات التّقنية الموجودة في المعجم الموحد وقاموس المعلوميات، للتحصّل على نتائج أكثر دقّة وشمولية، ولكن السؤال الذي يثير فكري فعلا، هل هذه الأعمال القيّمة هي تكملات بعضها لبعض في مسار وضع المصطلح العلمي في مجال الحاسوبيات، أم أنّها اجتهادات منقطعة بعضها عن بعض؟.

وفي محاولة للإجابة عن هذا التّساؤل حاولت التّركيز على المفاهيم المرتبطة بالجانب النّظري التّجريدي من هذا الميدان، وهي المصطلحات العلمية [22] التي كانت النّواة الأولى لنشأة علم المعلومة، من مصطلحات الرّياضيات، والمنطق الرّياضي، والفيزياء والإلكترونيك...، والتي جمعت أمثلة عنها في جدول على النّحو الآتي:

المفهوم:	المصطلح المقابل باللّغة العربية في المعجم الموحّد:	المصطلح المقابل باللّغة العربية في قاموس المعلوميات:
Algebra Algèbre	جبر	جبر.
Booléen Algebra Algèbre de Boole	جبر بولياني	جبر بولياني.
Algorithm Algorithme	خوارزميّة	خوارزميّة
Apostrophe Apostrophe	فاصلة عليا	فاصلة عليا
Basic Basic	بيسك (لغة برمجة)	بيسك (لغة برمجة)
Baud Baud	/	بود (وحدة قياس سرعة البث)
Binary digit (bit) Chiffre binaire	ثنائيّة	رقم ثنائي.
Binary tree Arbre binaire	شجرة ثنائيّة	شجرة ثنائيّة.
Bit Bit	ثنائيّة	بِت (بتّات)
Data base Base de données	قاعدة البيانات	قاعدة البيانات.
Distributed Approximatif	/	خوارزميّة موزعة.
Inaccurate Approximatif	غير صحيح	تقريبي.

يتضح من خلال نتائج الجدول أنّ عدد المصطلحات الموحّدة بين المعجم الموحّد وقاموس المعلوميات حوالي (53.33 %)، في حين تبلغ نسبة المصطلحات العلمية الجديدة قرابة (26.66 %)، أمّا المصطلحات العلمية غير الموحّدة بين المعجمين فنسبتها (20 %)، ولمزيد من التّوضيح نمثل لهذه النتائج بالمخطط التّالي:



والذي يؤكد أنّ هذه الأعمال جاءت مكملة لبعضها بعضا قول الدكتور طاهر ميلة المشرف على لجنة الدّليل الوظيفي في المعلوميات، وهو أحد الباحثين اللّغويين الذين قاموا بإنجاز هذا العمل بالمجلس الأعلى للغة العربيّة، حيث يقول: «انطلقنا في عملنا مما ألّف من قبل من معجمات، وإذا لم نجد المصطلحات فيما سبق من هذه الأعمال نرجع إلى المعجمات التي ألّفها الأفراد، أو نبحث عمّا هو مستعمل، أي ما هو شائع في الاستعمال»[23]. كما أنّ تحليل نتائج الجدول ينطبق على خلاصة هذا القول، فأغلبية المصطلحات العلمية جاءت موحّدة عدا مصطلحان اثنان فيهما بعض التغيير، فالأول جاء فيه تغيير في الصيغة

المصطلح عليها (ثنائيّة/ رقم ثنائي)، والمصطلح الثّاني فضّل واضعو قاموس الحاسوبيات استعمال المصطلح الدّخيل (بت/ بتات)، بدلا من المصطلح الذي وضعه المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتيّة (ثنائيّة)، ربما يعود السبب إلى شيوع المصطلح في الاستعمال، علما أنّها كلّها مصطلحات مقابلة لمفهوم أجنبي واحد هو(Bit)، الذي قابله قاموس الحاسوبيات مرة بمصطلح (رقم ثنائي)، ومرّة بمصطلح (بت/ بتّات). في حين نرجح وقوع واضعي المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتيّة بالرباط في ترجمة مصطلح [24] Inaccurate/ Approximatif، ونفسر هذا بتقارب المصطلحين الأجنبيين في النّطق، غير أنّ المصطلح الذي وضعه واضعو قاموس الحاسوبيات هو المقابل الصحيح للمفهوم الأجنبي (Inaccurate/ Approximatif)، الذي يقصد به تقريبي[25]، وليس (غير صحيح) التي تقابل(Incorrecte).

الهوامش

1 - فاروق سيد حسين: معجم مصطلحات الحاسب الآلي (انجليزي – عربي)، دار راتب الجامعية، بيروت – لبنان، (د ط)، 1999م، ص: 1.

2 - خليل أحمد خليل: معجم مصطلحات الكمبيوتر (عربي – فرنسي – انجليزي)، دار الفكر العربي، بيروت - لبنان، ط1، 1999م، ص ص: 33، 35، ... وغيرها.

3 - الغنيمي وائل إبراهيم: دار راتب الجامعية، بيروت – لبنان، (د ط)، (د تا)، ص: 1.

4 - المرجع نفسه: ص: 22، ص: 83، ص: 97، ص: 368... وغيرها.

5 - عبد الفتاح مراد: موسوعة مصطلحات الكمبيوتر والإنترنت، انجليزي – عربي، مصر، ط1، 1999م، ص: 2252.

6 - لم ترد في المؤلّف سنة نشره ووردت سنة حصوله على جائزة أفضل مؤلف علمي موسوعي لذا اعتمدنا هذا التاريخ تاريخ صدور هذا المؤلّف في تهميشنا لمعلومات نشره.

7 - عبد الفتّاح مراد: موسوعة الكمبيوتر والإنترنت، ص: 28.

8 - عبد الفتّاح مراد: موسوعة الكمبيوتر والإنترنت، ص: 28.

9 - المرجع نفسه: ص ص: 1695 ، 1726، 1729، 1737، وغيرها....

10 - المرجع نفسه: ص: 28.

11 - مكتب تنسيق التّعريب: المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتية، ص: 5.

12 - المجلس الأعلى للغة العربيّة: دليل وظيفي في المعلوميات، الجزائر، ط1، 2011م، ع:6، ص: 3.

13 - المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

14 - المجلس الأعلى للغة العربية: دليل وظيفي في المعلوميات، ع:6، ص:3.

15 - المجلس الأعلى للغة العربية: دليل وظيفي في الحاسوبيات، ص: 7.

16 - تمّ التأكد من ذلك من زيارة لمركز تنسيق التعريب بالرباط، التي قام بها أساتذة من جامعة الجزائر في منحة علميّة في أواخر سنة 2011م، حيث تحصل فيها الأستاذ عبد النور جميعي على نسخة من المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية في طبعته الأولى سنة 2000م، والتي تأكد فيها من عدم صدور طبعة ثانية لهذا المعجم.

17 - خليل أحمد خليل: معجم مصطلحات الكمبيوتر، ص: 208. وفاروق حسين، معجم مصطلحات الحاسب الآلي، ص: 115. وحدّاد إ. و، معجم مصطلحات الكمبيوتر والمعلوماتيّة، ص: 147، وقاموس مصطلحات المعلوماتيّة، ص: 144.

18 - مكتب تنسيق التّعريب: المعجم الموحّد لمصطلحات المعلوماتيّة، ص: 79. وينظر: الهيئة العليا للتّعريب، معجم الحاسوب الموحّد، راجعه ودقّق فيه: دفع الله عبد الله التّرابي، وزكريّا الحاج علي، وهاشم الأمين مصطفى، سلسلة المعاجم العلميّة، دار الأصالة، الخرطوم – السودان، ط1، 1998م، ص: 83.

19 - دليل وظيفي في المعلوميات: المجلس الأعلى للغة العربيّة، الجزائر، ع:6، ص: 90.

20 - قال هذا في الحلقات التي درسناها عنده في دفعة ماجستير 2010م، بجامعة الجزائر 2، وكرر قوله هذا في عديد من الحلقات العلميّة التي حضرتها، آخرها كان بتاريخ: 7 ماي 2012م، يوم مناقشة الطالبة، مسعودة قاسمي، بقسم اللّغة العربيّة بجامعة الجزائر.

21 - علي القاسمي: المعجم والقاموس (دراسة تطبيقيّة في علم المصطلح)، مجلّة اللسان العربي، ع: 48، ص:21.

22 - لقد أوردت أكبر عدد ممكن من هذه المصطلحات العلمية في ملحق آخر هذا البحث، بهدف الحصول على نتائج أكثر دقّة وشمولية.

23 - سجلت كلامه هذا من لقاء أجريته مع الأستاذ طاهر ميلة يوم: الخميس: 21/ 06/ 2012م، بمكتبه بعمادة جامعة الجزائر1، على الساعة: 15:00.

24 - المعجم الموحد لمصطلحات المعلوماتية، ص:77.

25 - سهيل إدريس: المنهل، قاموس فرنسي – عربي، ص: 86.

النص والنص الموازي في الخطاب الشعري لمصطفى الغماري

أ/ وهاب داودي (ج - قالمة)

الملخص:

يتناول هذا المقال موضوع العتبات النصية في ديوان مصطفى الغماري «قراءة في آية السيف» لاستجلاء مكونات النص الموازي في هذا الديوان والتي سنحصرها في عتبة العنوان والاستهلال (الابتداء) وبينة الختام .

الكلمات المفاتيح: العتبات ، النص الموازي ، النص ، العنوان ، الاستهلال ، الختام .

Résumé :

Cet article traite le thème du para texte dans le recueil de Mustapha El-Goumari « Quiraa Fi Ayat Essaif » pour découvrir les constitutions du para texte dans le recueil , et ont les limite dans : le seuil du titre et le commencement et la structure de conclusion .

Mots clés : seuils , para texte , texte , titre , commencement , conclusion .

Abstract :

This article deals with the theme of pretext in the compilation of Mustafa El-Goumari « Quiraa Fi Ayat Essaif » to clarify the constitutions of the pretext in the +compilation , and limit theme in : the threshold of the title , the beginning and the structure of the conclusion .

Cues :Thresholds , par text , text , title , beginning , conclusion .

اهتمت المناهج الحديثة والمعاصرة في لسانيات النص والسيميائيات، ونظريات القراءة وجماليات التلقي بالنص وما يرافقه ويحيط به ، وهو ما يسميه الناقد الفرنسي «جيرار جينيت» (Gérard Genette) في كتابه عتبات (Seuils) بالنصوص الموازية أو العتبات النصية .

فلا يمكن دراسة النص بعيدا عن هذه النصوص التي تسيجه وتحيط به ، فقيمته لا تتحدد بمضمونه فحسب ، بل أيضا بخارجه وما يحيط به « ذلك أنه كثيرا ما تفيد الأشياء الهامشية في بناء ما هو عظيم» .[1]

في ظل هذه المقاربة سنعرض في هذا المقال إلى تحديد مفهوم (العتبة) عند بعض النقاد الغربيين المهتمين بالدراسات النقدية ، ثم عند النقاد العرب المعاصرين ، خاصة المغاربة منهم ، لنعتمد على هذا التأسيس النظري في استجلاء مكونات النص الموازي في ديوان مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) ، وسنحصرها في عتبة العنوان والإهداء والاستهلال (الابتداء) وبنية الختام .

يعود السبق في تناول موضوع العتبات إلى الغرب ، إذ كانت الانطلاقة في طرح هذا الموضوع مع « جيرار جينيت» بكتابه « عتبات» (Seuils) . (**)

والعتبات هي : «مجموع النصوص التي تحفر المتن ، وتحيط به من عناوين وأسماء مؤلفين، والإهداءات، والمقدمات ، والخاتمات ، والفهارس، والحواشي ، وكلّ بيانات النشر التي توجد على صفحة غلاف الكتاب وعلى ظهره».[2] وكل ما يعضد متن النص ويشد من أزره .

فالعتبات إذن بهذا المفهوم هي الأساس الذي يقوم عليه النص ، وهي المنفذ إلى طياته ، نسبة إلى عتبة الباب . وهي تشمل المكونات أو العناصر القبلية والبعدية للنص « وكل ما يحايث النص».[3]

فالنص الشعري المعاصر لا تنبني نصيته التي تمكنه من التداول في مجتمع ثقافي معاصر إلا « انطلاقا من مجموعة من العتبات النصية الداخلية التي تضمن له نَسَباً رمزيا يحمل توقيعه كاسم المؤلف ، أو الذي تعيّنه أو تبوّبه كالتحديد الأجناسي ، العنوان ، العناوين الفرعية [...] أو التي تقدمه للقارئ والجمهور كالمقدمة وكلمة الناشر ...».[4] فهو مجموع « العناصر الموجودة على حدود النص ، داخله وخارجه في آن ، تتصل به اتصالا يجعلها تتداخل معه إلى حدّ تبلغ فيه درجة من تعيين استقلاليته، وتنفصل عنه انفصالا يسمح للداخل النصي ، كبنية وبناء ، أن يشتغل وينتج دلالته».[5]

و لا يمكن للنص الشعري المعاصر أن يحقق نصيته خارج هذه العتبات أو المتعاليات ، كما لا يمكنه أن يَعْبُر نحو البناء والدلالة إلا من خلال الانتقال من الاهتمام بالمتن النصي إلى ما يحيط به ويسيّجه من متعاليات، وفي هذا يقول جينيت : « في الواقع ، ولحد الآن ، لا يعنيني النص إلا من حيث تعاليه النصي ، معرفة كلّ ما يضعه في علاقة – ظاهرة أو خفية - مع نصوص أخرى».[6]

وقد ميّز جيرار جينيت بين نوعين من النصوص الموازية ، يعملان على تقديم العمل الأدبي وتهيئة القراءة الجيدة له ، هما : المصاحب النصي (Péri texte) والمحيط النصي (Epi texte) .(***)

فالنص الموازي « هو جملة عناصر تحيط بالنص وتمدده ، تحديدا من أجل تقديمه بالمعنى المألوف لهذه الكلمة ، وأيضا بمعناها القوي [أيْ] جعل النص حاضرا ، وذلك لتأمين حضوره في العالم وتأمين تلقيه واستهلاكه في هيئة كتاب».[7] فمجموع هذه العناصر التي تصاحب النص وتعضده « هي في مجموعها تمثل وسائل انخراط النص في المؤسسة الأدبية ، وانكتابه في المجتمع الثقافي» [8] مما يضمن له اكتساب الهوية الثقافية النوعية « ضمن تداولية عامة أو خاصة». [9] كما يعمل على توجيه القراءة ليحد من انحراف التأويل أثناءها .

ويحدد جينيت الوظيفة الأساسية للعتبات في « تقديم النص وضمان تلقيه وتداوله» [10] ، إذ من خلالها يمكن للمتلقي التعرف على طبيعة الخطاب ، فيضمن حسن تلقيه وتأويله ، فهو (أي النص الموازي) يساهم في توجيه القراءة وبناء الدلالة وحسن التأويل .

إذن ، من هنا تبرز أهمية العتبات ، إذ ليس هناك نص من دونها . فللنص الموازي إذاً «سلطة لا تخفى ، لكنها سلطة تنهض أساسا [...] على وجود المتن».[11] فالنص – بهذا المعنى – يبقى عاجزا عن التأثير من دون نصه الموازي .

بعد هذا التأسيس للنص الموازي سنتوقف عند أجناس خطابية من المصاحبات النصية ، كالعنوان والإهداء والاستهلال والختام لرصد وظائفها وإحالاتها ودلالاتها في ديون مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) .

1 - عتبة العنوان : يُعرِّف « ليو هويك» (Leo Hoek) العنوان – كما يقول الهاشم اسمهر – بأنه : « مجموع الدلائل اللسانية من كلمات وجمل وحتى نصوص قد تظهر على رأس نص لتدل عليه وتعيّنه وتشير إلى محتواه الكلي ولتجذب جمهوره المستهدف».[12]

فهو مجموعة من الدلالات اللسانية يمكن تثبيتها في بداية النص من أجل تعيينه ، والإشارة إلى مضمونه بغية جذب الجمهور المقصود، لذلك عدّه محمد مفتاح « بمثابة الرأس للجسد والأساس الذي تبقى عليه».(13)

أمّا « دوشي» فَعرف العنوان بأنه « رسالة مشفرة أو مسننة في حالة تسويق ، ينتج عنه التقاء ملفوظ روائي بملفوظ إشهاري تتقاطع فيه الأدبية والاجتماعية ، إنه يتكلم عن الأثر الأدبي في عبارات الخطاب الاجتماعي ، ولكن الخطاب الاجتماعي في عبارات روائية».(14)

ومع أن « دوشي» يتحدث عن عنوان الرواية إلا أن هذا لا يمنع من سحبه على عنوان القصيدة .

أمّا محمد فكري الجزار ، فيُعرف العنوان تعريفا اصطلاحيا ، فيقول: « العنوان للكتاب كالاسم للشيء ، به يعرف وبفضله يتداول ، يشار به إليه ، ويدل عليه ، يحمل وسم كتابه ، وفي الوقت نفسه يسمه العنوان – بإيجاز يناسب البداية – علامة ليست من الكتاب جعلت له ؛ لكي تدل عليه».(15)

كما يحدده عبد الملك مرتاض بأنه « عبارة صغيرة تعكس عادة كل عَالَم النص المعقد الشاسع الأطراف».(16)

يمكننا ، من خلال التعاريف السابقة ، أن نتبين أن هذه التعاريف التي حددت العنوان انطلقت في مجملها من وظيفة العنوان ، فهو يُعيّن الكتاب ويحدد مضمونه ، كما أنه يجذب القارئ إليه .

كما يمكننا أن نلحظ علاقة العنوان بالنص ، والتي اعتبرها الهاشم اسمهر بأنها « علاقة جدلية : تنازلية من العنوان إلى النص ، وتصاعدية من النص إلى العنوان».(17) فهي علاقة تبادل مكاني ، إذ العنوان « مرتبط ارتباطا عضويا بالنص الذي يعنونه ؛ فيكمله ولا يختلف عنه ؛ ويعكسه بأمانة ودقة . فكأنه نص صغير يتعامل مع نص كبير : فيأخذ به ، ويُهيء

له السبيل للمقروئية لأنه يكشف عمّا أراد الكاتب أن يبلغه إلى متلقيه». [18]

لذلك يُعتبر العنوان مكونا أساسا من مكونات النص الموازي لما له من سلطة على النص والقراءة والتأويل ، فهو عنصر تسلطي يمنهج القراءة. [19]

وتتمظهر **تداولية العنوان** حسب الهاشم اسمهر في مظهرين [20] :

الأول نفسي إدراكي ، لما للعنوان من مقصدية للتأثير والإقناع . والثاني اجتماعي ، فالعنوان يتداول في سياق اجتماعي ثقافي تتفاعل فيه فئات مخصوصة .

وقد حدد عبد الحق بلعابد ثلاثة عناصر تتحقق من خلالها العملية التواصلية التداولية للعنوان ، تتمثل في : المرسل ، والرسالة ، والمرسل إليه .[21]

فالمرسل هو المُعَنوِن أو الكاتب ، والمرسل إليه هو المعَنْوَن له أو القارئ، أمّا الرسالة فهي العنوان .

أما عن **وظائف العنوان** فقد جعلها جيرار جينيت أربعا [22] ، هي :

1 - **الوظيفة التحديدية** (Fonction de désignation) : وتسمى أيضا الوظيفة التعيينية . وهي تعمل على تحديد وتعيين هوية العمل .

2 - **الوظيفة الوصفية** (Fonction descriptive) : أو الواصفة . تعيين مضمون العمل .

3 - **الوظيفة الإيحائية** (Fonction connotative) : تعتمد على مدى قدرة المؤلف على التلميح والإيحاء انطلاقا من التراكيب اللغوية البسيطة.

4 - **الوظيفة الإغرائية أو الإغوائية** (F. séducative) : تبرز قيمة العمل، ولها علاقة بإغواء الجمهور وإغرائه .

وهي وظائف متلازمة، فالوظيفة الإيحائية على صلة بالوظيفة الوصفية ، والوظيفة الإغوائية مرتهنة بالوظيفة الإيحائية .[23]

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن شعرنا العربي القديم لم يعرف العنوان لعدم اهتمام الشعراء به « لسبب مفهوم هو عدم كونه [= أي العنوان] عتبة ضرورية وتقليدا إبداعيا في أدبيات الشعر العربي لطابع هذا الأخير الشفهي بالدرجة الأولى».[24] لذلك لم تحدد القصائد عندهم بعناوين، وإن حدث ذلك « فإن العنوان حينئذ يكون صوتيا ، دلاليا ، كأن يُقال لامية العرب ، لامية العجم ، سينية البحتري».[25]

إذن ، يُعدّ العنوان من بين أهم مكونات النص الموازي لأنه مفتاح الولوج إلى عمق النص والولوج إلى طياته وسبر أغواره .

1-1 - العنوان الخارجي "قراءة في آية السيف" هو العنوان الرئيس للمجموعة الشعرية الصادرة سنة 1983 للشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري ، والتي تضم سبع عشرة قصيدة . إنه المحور الذي تدور في فلكه بقية العناوين في الديوان لذلك حظي بأن يكون عتبة الغلاف ، فتحول بذلك إلى مؤطر لكل نصوص الديوان فاعتلى بذلك عرش العنونة.

«**قراءة في آية السيف**» قصائد موضوعها النقد الاجتماعي والسياسي السائد في المجتمع العربي والإسلامي – والجزائر أرض الأمير عبد القادر جزء من هذا المجتمع – وما كان له من انعكاسات على الشعوب جعلتها لقمة سائغة للأعداء ، ويتجلى لنا ذلك عبر قصيدتين تعتبران مركز ثقل الديوان ، هما : «**وسل الأمير**» و«**قراءة في آية السيف**».

وقد أدرك الغماري وأيقن أن خلاص الشعوب مما هيمن عليها من ابتداعات دخيلة على دينها وعاداتها من جهة ، ورفع يد الظلم – سواء ممن تسلطوا عليها من حكام أم مستعمر – من جهة أخرى إنما يكون برفع سيف الجهاد مثلما رفعه الأمير عبد القادر ، وهو ما بدا واضحا في عتبة الإهداء حينما يقول : « إلى رائد الجهاد الإسلامي في العصر الحديث [...] إليه رمز تحدٍ وعَلَم جهادٍ أهدي هذه المجموعة من أشعاري».(26)

يعلن الغماري عبر هذه العتبة منذ البداية أن قصائده دعوة إلى نبذ العادات المبتدعة في الدين (وسل الأمير) وأن الحق لابد أن يُسترد إنْ تسلح أصحابه بالإيمان والجهاد (لن ينام الحق) .

أما من حيث **نوعه** ، فيمكن تصنيف العنوان الخارجي للديوان على أنه من العناوين المضمونية ذات خلفية توجيهية ، فعنوان الديوان «قراءة في آية السيف» يعمل على توجيه القارئ على أن المضمون ديني اجتماعي بحت .

أما من حيث **وظيفته**، فيمكن إدراجه ضمن **الوظيفة الدلالية الضمنية** التي توحي بالاتجاه الديني المحض من خلال اللفظتين المؤلفتين للعنوان (آية السيف) اللتين تَشِيَان بالنزعة الإسلامية ، فالعنوان يشير إلى ما يسمى بآية السيف ، وهي قوله تعالى : ﴿ **وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ [التوبة ، الآية : 36] . فالآية تدعو إلى قتال المشركين جميعا مثلما يقاتلون المسلمين جميعا .(27)

فهذه الإحالة تجعل القارئ يطمئن منذ أول اتصال له بالعنوان على أن موضوع الديوان ديني اجتماعي ويظهر ذلك من خلال موضوع القصيدة الثانية عشرة – التي تحمل نفس عنوان الديوان – الذي يصور حال الأمة الإسلامية فيما ابتدعت ما ليس في دينها ممثلا في ذكرى مولد نبيها صلى الله عليه وسلم .

فضاء العنوان في ديوان « قراءة في آية السيف» : ينتمي العنوان إلى النص الموازي ، وهو بنية مستقلة عن النص (هذا الاستقلال لا يعني الانفصال الكلي عن البنية الكبرى النص) باعتباره رسالة لغوية ، كما أنه رسالة سيميائية أيقونية (خط + ألوان) قابلة للدرس ، إضافة إلى مرجعيته الاجتماعية والإيديولوجية التي تمكن القارئ من تدبّر الخطاب اللساني وتأويله انطلاقا من مرجعيته الثقافية ، فكذلك تكون « الحال في تدبّر صفحة الغلاف باعتبارها نصا موازيا ؛ تتعالق فيه الأشكال والألوان فتتجاوز المادة والسكون إلى الانتظام كيانا تواصليا تتآزر عناصره لأداء معنى ، ولتجسيد موقف ».(28)

فمن أبرز وظائف العنوان الوظيفة المرجعية التي ترتبط بالسياق الذي يتم فيه التواصل . والوظيفة التأثيرية التي تتصل بقانون التواصل (29) ، إذ الهدف من وضع العنوان هو التأثير في المتلقي لما يحمله العنوان من إيحاءات تغري المرسل إليه بقراءة العنوان ، ومن هنا يبرز الجانب التداولي في العنوان ، فالمتلقي بمجرد تلقيه للرسالة (العنوان) يتفاعل معها .

ويتشكل الفضاء العنواني في ديوان مصطفى محمد الغماري من مستويين اثنين :

- الجانب الخطي (الكاليغرافي)
- والجانب التأثيري الذي يعتمد على عناصر الإغراء من ألوان وتشكيل.

فالعنوان الخارجي (عنوان الديوان) عند الشاعر يتكون من المعادلة الآتية :

البنية اللغوية + فضاء العنوان (الخط + الألوان + التشكيل تموقع عناصر العنوان) + المستوى الإيحائي +

وقد تناولنا فيما سبق البنية اللغوية والمستوى الإيحائي للعنوان «قراءة في آية السيف» ، وسنتناول فيما يلي المستوى الثالث الذي يُطلق عليه «فضاء العنوان» وهو الجانب السيميائي المثمثل في المستوى الأيقوني لأن العنوان علامة مكونة من جانبين : الخط واللون .

فطبيعة العنوان ووظائفه ومستوياته يدفع المتلقي إلى استحضار كل طاقاته المخزنة في الذهن لفك الرموز وتحديد الدلالات الكامنة في العنوان وفضائه ، وعناصره الأساسية هي : الخط والألوان والتشكيل .

الفضاء العنواني هو الإطار المشكل لصفحة العنوان بكل عناصره التي تقع عليها العين ، والتي تُخفي بُعدا سيميائيا ، أي الانتقال من العنوان كعلامة لغوية إلى العنوان كعلامة أيقونية تسهم في تحليل العمل الأدبي وفهمه ، و « تساعد القارئ على تلمس الدلالات الخفية في النص».(30)

ومادام فضاء العنوان هو تلك المساحة المكونة للواجهة الأولى للديوان حيث يمارس العنوان دوره التأثيري في المتلقي ، فإن مسألة إدراك الأشكال وتحليلها (في البعد البصري للعنوان) يستدعي الاستفادة من النظرية الجشطالتية (****) الألمانية التي أفادت « بشكل كبير في مجال الإدراك اعتمادا على التجربة المباشرة المعتمدة نقطة انطلاق لكل سيكولوجيا ولكل علم ، إذ اعتمادا على التجربة المباشرة يقلل الجشطالتيون من دور الانتباه والثقافة في الوظيفة الإدراكية عبر المعطيات البصرية ، فهم يرون أن العالم والصورة يفرضان بنياتهما على الذات الناظرة المتأملة».(31)

ويذهب أصحاب هذه النظرية إلى أن الإنسان يدرك الشكل ككلٍّ دون الفصل بين أجزائه « فالجزء لا معنى له إلا في ضوء الكلّ الذي يحتويه، وإذا انفصل عنه اكتسب معنى آخر».(32) فكلما غيّرنا في الأجزاء أو حذفنا منها حصلنا على أشكال جديدة مغايرة للأول .

هذا من حيث علاقة الكلّ والأجزاء . أمّا عن **العمق والشكل** أو الأرضية والشكل فينطلق الماكري من السؤال القائل : « ماذا ندرك داخل حقل متجانس كليا ؟ » [33] وهي مسألة تتعلق بدراسة التنظيمين الداخلي والخارجي للأشكال البصرية . ليتوصل للإجابة عن السؤال في « أنّ الأشياء المحسوسة لا توجد إلا في علاقتها بعمق معين». [34]

ويحدد الماكري خمسة قوانين تؤثر بها طبيعة العمق في خصائص الصورة [35] ، هي :

1 - قانون الصغر : Loi de petitesse : حيث الشكل الصغير يبرز عن عمق أكبر حجم .

2 - قانون البساطة : Loi de simplicité : الشكل البسيط أبرز وأظهر من الشكل المعقد .

3 - 4 - قانون الانتظام والتقابل : Loi de régularité et de symétrie : ويتعلق الأمر بالتقسيم المناسب أو المتقابل لعناصر شكل ما .

5 - قانون الاختلاف : Loi de différenciation : حيث الشكل ذو البنية المميزة يبرز بصورة أفضل .

كما يتحدث الماكري عن « رسوخ الشكل « Prégnance de la forme والذي يقصد به قدرة الشكل على شدّ الانتباه أكثر من غيره ، ويكون قابلا للرسوخ أكثر « في الوقت الذي يخضع فيه أكثر من سواه لقوانين الجشطالت التي سلف توضيحها» [36] خاصة فيما يتعلق بالبساطة والانتظام (التناسب) والتقابل .

وكثيرا ما تُستخدم هذه الأساليب كتقنية في الإشهار للتأثير الجمالي والنفسي .

أمّا فيما يتعلق بإدراك الفضاء ، فالماكري يرى بأن العناصر التي تضبط علاقة الكلّ بالأجزاء والشكل والعمق تبقى ناقصة « ما لم تكتمل بتفصيل الحديث عن الفضاء». [37]

ويقصد أصحاب نظرية الجشطالت بإدراك الفضاء كلّ المظاهر الهندسية للأشياء انطلاقا من التموضع (Localisation) والاتجاه (Direction) والكبر (Grandeur) والمسافة [38] . (Distance).

وهم يلحون « على المظهر العلائقي ، في مقابل المظهر النوعي في إدراك الأشكال، إذ يرون المظهر الأول أغلب من الثاني سواء في إدراك وتلقي رجل الهندسة أم في إدراك العادي ، لهذا فإنهم يعتبرون الأشكال تحت المظهر المذكور ».[39]

فالفضاء ينقسم إلى عنصرين :

الموقع بجميع أبعاده ، وفضاء الكتابة الذي يتفاعل مع العنصر الأول .

ويُبرز الماكري أثر المستوى الفكري والثقافي والاجتماعي في مستويات التفاعل والتلقي فيقول : « إنّ الإدراك البصري عموما مرتبط بالنماذج والقيم الثقافية ، فبدون تربية ، ودون نقل التجارب يكون الفرد المعزول أسير نظرة نفعية (Utilitaire) . من هنا فإن التربية البصرية يجب أن تراعي المظاهر الطبيعية في أغلبها . إمّا بهدف تأويل عقلاني أو على العكس من ذلك من أجل اكتشاف مختلف دلالات خطاب بصري معين».[40]

بعد هذا التأسيس النظري لفضاء العنوان نتساءل : كيف ساهم كلٌّ من الخط واللون في تشكيل شعرية العنوان في ديوان مصطفى الغماري « قراءة في آية السيف» ؟

وللإجابة عن هذا السؤال لابد من إبراز العلاقة بين اللغة والشكل. فالشكل الخطي في العنوان على علاقة وطيدة باللغة إلى حد لا يمكن فصله عنها .

إنّ للخط مساهمة فعالة في شعرية العنوان، فهو يُعدّ أداة من أدوات التعبير، لذا كان للخط العربي حضور في الثقافة العربية ما دفع

القلقشندي لأن يُفرد فصلا في الجزء الثالث من كتابه أبرز فيه فضيلة الخط وبيان حقيقته وأصل وضعه .[41]

فالخط وُضع « لأداء اللفظ المقصود فهمه للناظر فيه» [42] ، ومن ثَمّ فهو ليس مجرد زينة وإنما يشترك مع اللفظ في البيان « من حيث إنّ الخط دالٌّ على الألفاظ» [43] فهما يُعبِّران عن المعاني .

للخط أهميته وقيمته التي تبرز في علاقته بالمتلقي الذي يتتبع كلّ حسن جميل ، فإذا كان الخط حسنا جيدا « بعث الإنسان على قراءة ما أودع فيه».[44] ومن هنا يتجاوز المتلقي البُعد الفني والجمالي للخط لينتقل إلى ما شُحِن به من بُعد ثقافي واجتماعي .

ولما كانت مادة الخط الأوليّة هي الحرف العربي فقد خصص القلقشندي أربع عشرة صفحة لطُرُق رسم الخطوط .[45]

فالخط في العنوان علامة لغوية كما أنّه علامة أيقونية يمكن تأويلها وتفسيرها في سياق دلالي احتُفِيَ به في ديوان الغماري بغية التأثير في المتلقي لدفعه إلى التفاعل مع النص .

وظّف العنوان في المجموعة الشعرية (قراءة في آية السيف) الخطين الديواني والكوفي .

أمّا الخط الديواني فجاء به العثمانيون لكتابة الرتب الرفيعة ، وتقليد الأوسمة ، وكل ما يصدر عن الديوان السلطاني .[46] ويمتاز بأنه « يُكتب على سطر واحد ولا ينزل من تحت السطر غير حروف(*****)».[47] كما يمتاز هذا الخط أيضا « بالمرونة الكاملة في كتابة جميع حروفه . ودرجة ميل هذا الخط أكثر من درجة ميل أي نوع آخر مع المرونة الدائرية في كل الحروف».[48]

وقد تفرّع عن هذا الخط الأصلي الخط الديواني الجلي «وهو خط ديواني مشكول ، ومعنى الجلي : الواضح [...] وفي هذا الخط يحتاج الخطاط إلى كثير من التعديل والتزويق لكتابة حروفه المتميزة بالتقويسات».(49)

فكثرة التعديل والتزويق لكتابة حروف الخط الديواني ورغم المرونة التي يتميز بها ، إلا أنّ ذلك يستدعي من الخطاط جهدا .

وأمّا **الخط الكوفي** فقديم ، وهو « خط يابس حاد ، ذو زوايا ، تتميز حروفه بالاستقامة الرأسية والأفقية . ومن سماته أنه بطيء عند الكتابة» (50).

وقد تفرّع عن الخط الكوفي خطّان ، هما : **الخط الكوفي المصحفي** الذي استعمل في رسم المصاحف ، ويمتاز بالمرونة والليونة .(51) **والخط الكوفي الهندسي** ، ويُوصف بأنه « تنضد فيه الكلمات والحروف بتصميم هندسي بديع ، يقوم على أسس علم الجمال ، كمبادئ التناظر والانسجام والوحدة [...] ويُكتب هذا الخط بأشكال هندسية فنية».(52)

فالخط الكوفي يتميز :

- باستقامة حروفه وحدة زواياه .
- الدقة الهندسية .
- يُتخذ للزخرفة .
- يحتاج إلى عناية كبيرة .

إنّ توظيف الخطين الديواني والكوفي قالبا للعنوان في مجموعة الغماري الشعرية (**قراءة في آية السيف**) له دلالته الفنية والجمالية لما يتميزان به من دقة في الإنجاز للدقة الهندسية والحاجة إلى التعديل والتزيين ، كلُّ ذلك له بُعد تأثيري في المتلقي لدفعه إلى التفاعل مع الديوان فينتقل بذلك المتلقي من الرؤية إلى القراءة ثم إلى التصفح . وإنْ لم يكن ذلك ، فأضعف المواقف هو إبداء الإعجاب بجمال الخط وطريقة إنجازه.

ولمّا كان العنوان هو الواسطة بين الديوان (النص) والمتلقي فإنّ الجمع بين الخطين الديواني والكوفي يُعدّ منبها ومثيرا لما يحمله هذان الخطان من سلطة ثقافية تتمثل في كونهما من أقدم الخطوط (إنْ لم يكونا معا ، فالكوفي على الأقل) في الحضارة الإسلامية واستُعْمِلا في الزخرفة والزينة (خاصة في المساجد) ودوّن بالثاني منهما المصحف الشريف .

إنّ هذه الخصائص مجتمعة تمثل بعض مقومات الهوية الإسلامية التي يُلح عليها مصطفى الغماري في مجموعته الشعرية (قراءة في آية السيف) .

فكلمة (السيف) المشكلة للعنوان تحيل في الثقافة الإسلامية على القوة والصلابة والفصل بين الحق والباطل ، وهذا ما تبرزه خصائص الخط الكوفي الذي رُسمت به حروفها :

فالسين ، شكل مركّب من خمسة خطوط : منتصبٍ ، ومقوّسٍ ، ومنتصبٍ ، ومقوّسٍ ، ثم مقوّس .[53] وأمّا **الياء** ، فشكل مركّب من ثلاثة خطوط : مستَلْقٍ ، ومنكَبٍّ ، ومقوّس .[54] وأمّا **الفاء** ، فهي شكل مركّب من أربعة خطوط : منكَبٍّ ، ومستلْقٍ ، ومنتصبٍ ومنسطح .[55]

وقد حظي الشكل الهندسي للكلمة في العنوان بعناية فائقة ، فزوايا الخط شديدة الحدة ، وهو ما يدل على الجهد المبذول في شكل يثير الانتباه، علما أنّ هذه الكلمة (السيف) قد استحوذت على الفضاء الأكبر في واجهة الديوان .

هذا عن الخط ودلالته في الفضاء العنواني ، فماذا عن اللون الموظف فيه ؟

يتمثل المستوى الثاني من فضاء العنوان في الجانب الفني المتصل بالألوان ، وسنركز فيه على دراسة دلالة اللون .

وقد كان عالم اللون شديد الارتباط بحياة الإنسان منذ أنْ وُجد ، فقد عمل الإنسان على التمييز بين الألوان لتوظيفها في التعبير عن أحاسيسه ومشاعره المختلفة .

ويتم إدراك الألوان بالاعتماد على الجانب الفيزيائي للون . ويتحدد اللون الفيزيائي لسطح ملون من خلال **الهوية أو الصبغة** ، وهي إحدى الخصائص المميزة للألوان . « ويُقصد بالهوية أو الصبغة تلك الخاصية التي تميز أحد الألوان عن الألوان الأخرى ، فيقال مثلا إنّ هذا اللون أخضر وهذا أحمر ... إلخ . إنها تشير إلى ذلك الاخضرار في اللون الأخضر وذلك الاحمرار في اللون الأحمر وذلك الاصفرار في اللون الأصفر وهكذا». (56)

وانطلاقا من هذا ، فإنّ للإشارة اللونية ثلاثة أبعاد ، هي :

1 - اللون المسيطر ، وهو ما أُطلق عليه سابقا الهوية أو الصبغة .

2 - النغمة أو الإضاءة (57) ، وتُسمى النصوع والقيمة . وهي ترتبط بدرجة الإضاءة أو الظلمة في أي لون من خلال الحضور الخاص للأبيض (الضوء) أو الغياب الخاص له ، ومن ثَمّ الحضور الخاص للأسود (العتمة) .

3 - التشبع أو الكثافة ، فكلما كان اللون كثيفا كان ذلك دليلا على تشبعه « وعند ذروة التشبع يوصف اللون بأنه كثيف (أي لا يمكن أن يكون أكثر من هذا) ، وأيّ إضافة بعد ذلك لتعميق نغمته (الأبيض والأسود) يترتب عليها فقدانه لكثافته من خلال هذا النصوع المضاف». (58)

إنّ للألوان تأثيرها الواضح على الكائنات الحية عامة ، والإنسان خاصة إذ « يعتقد علماء النفس أنّ الألوان تؤثر في الإنسان بشكل مباشر، وعند مستوى ربما كان يقع أدنى أسفل مستوى التفكير المنطقي المباشر ، عند مستوى يسميه البعض ما قبل الشعور ، وهو مستوى يقع

ما بين الشعور واللاشعور أو الوعي واللاوعي أو التفكير الحاضر والتفكير الغائب . وفي هذه المنزلة بين المنزلتين ، كما يقول بعض العلماء ، يحدث تلقينا الخاص للألوان . وتحدث أيضا بدايات الخيال والإبداع . نحن نحتاج إلى التفسير العقلي بالضرورة ، كي نتعرف على الشكل . والتفسير في بعض جوانبه منطقي ومحدود ومحدد وقاصر أيضا ، بينما نستجيب للون بشكل تلقائي ، عفوي ، حر».(59)

هذا عن علاقة الارتباط بين الإنسان والألوان ، وعن كيفية إدراكه لهذه الألوان ، فما دلالة اللون في المعجم العربي ؟ سنركز في هذا على دلالة اللونين اللذين وُظفا في العنوان ، وهما : اللون الأخضر واللون الأحمر .

1 - **الأخضر** : الخُضرة من الألوان ، ومن الخضرة في ألوان الخيل أخضر أحمُّ ، وهو أدنى الخضرة إلى الدُّهْمة . وفي قوله تعالى : ﴿ مُدْهَامَّتَان ﴾ [الرحمن ، الآية : 64] أي تميلان إلى السواد من شدة الخضرة ، ويُقال كتيبة خضراء إذا غلب عليها لبس الحديد ، شبه سواده بالخُضرة ، والعرب تطلق الخُضرة على السواد .(60)

2 - **الأحمر** : الحُمرة من الألوان المتوسطة ، يُقال أحمّر الشيء احمراراً إذا لزم لونه ولم يتغير من حال إلى حال . واحمارَّ يحمارُّ احمرارا إذا كان عَرَضا حادثا غير باقٍ . ويُقال أهلك النساء الأحمران ، يعنون الذهب والزعفران ، أي أهلكهن الحلي والطيب . وأهلك الرجال الأحمران ، أي اللحم والخمر . ويُقال أتى الناس أسودهم وأحمرهم وليس أبيضهم أي عربهم وعجمهم ، والعرب لا تقول رجل أبيض لبياض اللون ، ولكن الأبيض عندهم هو الطاهر النقي من العيوب ، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا أحمر . والسنة الحمراء الشديدة لأنها واسطة بين السواد والبياض ، أي شديدة الجدب . والموت الأحمر هو موت القتل لما فيه من حمرة الدم أو لشدته . قالوا : الحسنُ أحمرُ أي شاق أي من أحب الحسن

احتمل المشقة ، أي أن صاحبه يلقى منه ما يلقى صاحب الحرب من الحرب . وكثيرا ما يطلقون الحمرة على الشدة .[61]

فما دلالة توظيف هذين اللونين في العنوان في المجموعة الشعرية (قراءة في آية السيف) ؟

ما يلاحظ على عنوان الديوان أنّه وُظِّف فيه اللونان الأخضر والأحمر .

أمّا **اللون الأخضر** ، فيحيل على البعد الإيجابي ، إنّه لون يشير إلى الطبيعة والتجدد ، والحياة المفعمة بالنشاط والحوية ، وهو لون الدعوة الإسلامية . وقد وُظّف في عنوان الديوان لتحقيق هذه الأبعاد عامة ، ودلالة المدونة الكبرى / النص تعضد ذلك .

إنّ القراءة تستدعي استحضار الأدوات والوسائل لاستنكاه ما يُقرأ ، وذلك يوحي بالغنى والخصب والتنوع ، وهو ما يدل عليه اللون الأخضر .

كما أنّ الآية أو العلامة في معناها اللغوي تدل على النماء والبهاء ، وهو ما ترمز إليه خُضرة الطبيعة .

فتوظيف اللون الأخضر في الغلاف في (قراءة في آية) يحيل على الرغبة في التفكر والتدبر بعقول حيّة فاعلة يمكنها أن تنهض بالأمة مما هي عليه، فهو (= اللون الأخضر) رمز للبعث والنهضة .

أمّا **اللون الأحمر** ، فإنّ حضوره في الغلاف يفوق حضور اللون الأخضر، إذْ احتل أغلب مساحة الغلاف ، وقد شُكلت به كلمة (السيف)، ومن ثَمَّ فالحُمرة تدل على القتال والمنازعة والنزال ، فالشاعر من خلال الديوان يدعو إلى إعادة قراءة آية السيف – وهي الآية السادسة والثلاثون من سورة التوبة والتي تدعو إلى قتال المشركين – بتدبر وتمعن وأخذ العبر منها لمواجهة ما حلّ بالأمة من ذل وهوان بفعل أعدائها الكافرين أو حكاّمها الظالمين ، ولا يكون ذلك إلا بإشهار سيف الحق .

فالأحمر لون يرتبط بالقوة والثورة ، والدم والحرية ، وهو رمز الحياة بقوتها وحيويتها ، وهي الدلالات التي تحيل عليها كلمة (السيف) التي لُونت بالأحمر .

وفيما يتعلق بدور التشكيل في تحقيق الإثارة الجمالية فإننا نلحظ أنّ غلاف الديوان خلا من اللوحات التشكيلية ما عدا اللوحة الحروفية (المشكلة من الحروف) التي برزت بالخط الديواني ذي اللون الأخضر والتي شُكل بها المقطع الأول من البنية اللغوية للعنوان (قراءة في آية) ، وقد بدت بشكل شبه دائري (انظر صورة الغلاف) ذي بعد فنيّ الهدف منه إثارة المتلقي وجلبه ومحاولة إقناعه بالتعرف على العمل الشعري .

وبخصوص **شعرية الحجم** – كعنصر من عناصر الإثارة العنوانية – فقد أخرجت المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع (SNED) الديوان بحجم متميز من مقياس : 18 سم × 13 سم ، وهو حجم يسمح للمتلقي بحمل العمل الشعري في جيبه أينما حلّ.

1 - 2 - وظيفة العناوين الداخلية :

تُدرك معظم وظائف العنوان من خلال النص . فالنص وحده من يحدد طبيعة هذه الوظيفة . وما دام العنوان رسالة فإنه يمكننا من خلال النص فهم رسالة العنوان . فعَبر العنوان يستطيع القارئ أن يستشف محتوى النص ومضمونه ، فالعنوان يعمل على توجيه القراءة ويختصر المضمون .

فإلى أي مدى يمكن إسقاط هذه الوظائف على العناوين الداخلية لديوان مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) ؟

1 - الوظيفة التعيينية :

تجلت هذه الوظيفة في عنوانين اثنين في الديوان ، هما : **(وسل الأمير)** و **(قالوا ثوى العشق)** ، حيث كلُّ عنوان منهما تعيين لموضوع القصيدة

وتسميته . فالأول يتحدث عن جهاد الأمير عبد القادر ، وبذلك تحمل القصيدة صفة الثورة والجهاد ، وتسعى إلى إحياء هذا الركن المقدس في النفوس .

أمّا الثاني (قالوا ثوى العشق) فيعبِّر عن مضمون القصيدة ويُعيّنها ويُعرّفها ، إذْ تتحدث عن الحب والعشق ، وما يلاقيه المُحب من حرقة ووَجْد .

فوظيفة التعيين هنا ، تعود إلى طبيعة موضوع القصيدتين الذي يتحدث في الأولى عن الجهاد والثورة ، وفي الثانية عن الحب ومعاناته .

وقد وَسَمَ كلُّ عنوان منهما مضمون قصيدته بدقة لا يمكن للقارئ معها أن يتخيّل أنّ مضمون النص مخالف لما ورد في العنوان . وهي أقلّ الوظائف حضورا في الديوان إذ بلغت نسبتها 11.76 % .

2 - الوظيفة الوصفية :

تتداخل هذه الوظيفة كثيرا مع الوظيفة التعيينية ، حيث يُعدّ كلٌّ منهما وصفا لمضمون النص ، فلا يمكن الفصل بينهما إلا من خلال النص. فالنص هو الفيصل بين وظيفة هذه العناوين .

وقد حضرت الوظيفة الوصفية في الديوان في ثلاث قصائد :

العنوان	الصفحة
لن ينام الحق	21
حنين إلى خضراء الظلال	55
زهرة الحلم اليقين	63

تظهر الوصفية في العناوين الثلاثة من خلال وصفها لمحتوى قصائدها، فهي تمنح القارئ لمحة عن مضمون القصيدة قبل المباشرة في الاطلاع عليها .

إنّ **العنوان الأول** (لن ينام الحق) يحمل صفة الثورية والتحدي إذْ تنبض قصيدته بمعاني الثورة وتشيد برموز الجهاد (طارق ، وعقبة ، ومروان) .

وأنّ **العنوان الثاني** (حنين إلى خضراء الظلال) تُصوّر قصيدته ألم الغربة وما ينجم عنه من حنين ووَجْد .

وتناول **العنوان الثالث** (زهرة الحلم اليقين) نفس موضوع العنوان الثاني .

ويبدو أنّ **العنوان الثاني أكثروصفية** ، وذلك أنّ لفظة (حنين) تُعبّر في الأذهان عادة عن الغربة وآلامها ، فالعنوان هنا اختزال لمحتوى القصيدة.

3 - الوظيفة الإيحائية / الدلالية :

ثبت وجود هذه الوظيفة في أربعة عناوين من الديوان ، هي :

العنوان	الصفحة
وحدي مع الله	35
ليس لي إلا هواها	69
هذي المصاحف يا إله	77
قراءة في آية السيف	91

وما يميّز هذه الوظيفة هو إيحاؤها غير المباشر بمضمون النص . فعناوين هذه القصائد تعيّن نصوصها لكن لا تَسِمُهَا كلَّ الوَسْمِ . فهي توحي إلى القارئ بموضوع القصيدة ومحتواها . وقد تناولنا في دراستنا للعنوان الخارجي العنوان الرابع (قراءة في آية السيف) ، وسنعضده هنا بالعنوان الثاني (ليس لي إلا هواها) .

توحي الألفاظ المؤلفة للعنوان بالمنحى الديني والسياسي للقصيدة . فموضوع النص يصور ما يكيده أعداء الدين والأمة لها من مكائد ، وما الألفاظ الواردة في القصيدة إلا دليل على ذلك (لاهور ، طهران وكابول) .

وكذلك بالنسبة للعنوان الثالث (هذي المصاحف يا إله) فيدل دلالة ضمنية على ما لحق رموز الأمة (المصاحف / المساجد) من أذى من طرف الرافضين لهذا الدين . فالسمة الدينية غالبة على القصيدة ، وقد أوحى العنوان بذلك من خلال ألفاظه (المصاحف – يا إله) .

ويتبيّن لنا من هذا التحليل أن الوظيفة الإيحائية / الدلالية يمكنها أن تؤثر في الجمهور أكثر من الوظيفتين السابقتين التعيينية والوصفية .

4 - الوظيفة الإغرائية : تقدمت الوظيفة الإغرائية كل الوظائف الأخرى وهذا ما يبدو في كثير من عناوين قصائد الديوان ، فهي عناوين مغرية هدفها إغواء القارئ ودفعه إلى قراءة نصوصها .

والعناوين التي تجلت فيها الوظيفة الإغرائية ثمانية ، هي :

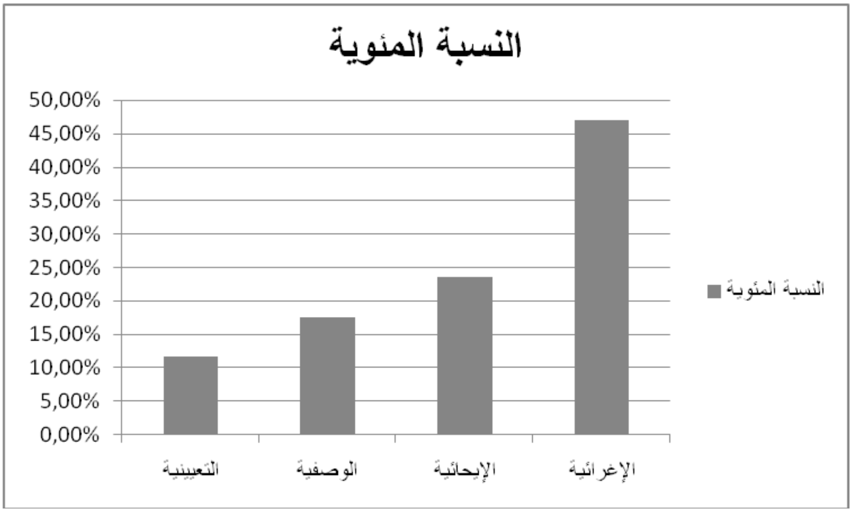
العنوان	الصفحة
قدر أن نعشق الشمس	31
شوق الخلود	47
زمن الطاغوت ولّى	85
فتوى الزمان	119
أغنية للحزن والجهاد	127
أغليتُ حبك	141
درب المحبين	153
لبيك	161

فمثل هذه العناوين في الديوان تدفع القارئ لولوج النص لكشف خباياه وسبر أغواره . فالغماري من خلال اختياره الدقيق لعناوين قصائده يثير القارئ ويحرك فيه فضوله لخوض غمار النص ، كيف لا ، ومثل هذه العناوين تثير في نفسه تساؤلات عدة لا يمكنه الإجابة عنها إلا بعد قراءته لنصوصها .

فالعنوان (فتوى الزمان) يجعل القارئ له يتساءل : كيف يكون للزمان فتوى ؟ والقصيدة وحدها تجيب عن هذا السؤال حيث تتحدث عن الحكام العرب الذين خذلوا شعوبهم وباعوا أوطانهم بعرضٍ من حطام الدنيا ، مثلما بِيعت سيناء بمصر (اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل) .

وكذلك العنوان السادس في المجموعة (أغليتُ حبك) فالقارئ للعنوان يتبادر إلى ذهنه لأول وهلة بأن الشاعر يغازل محبوبته ؛ ولكن مَنْ تكون هذه المحبوبة ؟ إنها الجزائر الأمّ التي يرفض الشاعر أن يتاجر بحبها في سوق النخاسة .

ويمكن لنا أن نمثل هذه الوظائف بيانيا لنبرز من خلاله تباين حضور وظائف العنوان في شعر مصطفى الغماري :



من خلال الرسم البياني نلاحظ أن الغماري يمزج بين مختلف الوظائف في صياغة عناوينه ، مع تباين نسبة حضورها ، إذْ كانت الغلبة للوظيفة الإغرائية بنسبة 47.05 % تليها الوظيفة الدلالية بنسبة مئوية مقدرة بـ 23.52 % ثم الوظيفة الوصفية بنسبة 17.64 % فالوظيفة التعيينية بنسبة 11.76 % .

وما يمكن استخلاصه بعد هذا التحليل لوظائف العنوان عند الغماري:

1 - تمحورت قصائد الغماري في ديوانه (قراءة في آية السيف) حول موضوعين اثنين هما الدين الإسلامي والوطن الجزائر .

2 - اهتمام الغماري وعنايته بصياغة العنوان – سواء الخارجي أم العناوين الداخلية – باعتماده على الوظيفة الإغرائية تحديدا والإيحائية الدلالية التي تعضدها ، إذ بلغت نسبتهما مجتمعتين 70.57 % . فمثل هذه العناوين المغرية تثير فضول القارئ وتدفعه لقراءة نصوصها .

2 - عتبة الاستهلال : من مظاهر النص الموازي بنية الاستهلال أوبداية القصيدة الحديثة والمعاصرة ، وقد كان لهذا المظهر حضور واهتمام من قِبل الشعراء والبلاغيين القدامى والمحدثين على السواء .

كانت للقصيدة عند الشعراء القدامى بنيتها الخاصة حيث تبدأ بالوقوف على الأطلال فالتغزل بالحبيبة ، ثم وصف الراحلة ، فالصحراء، وبعدها التخلص إلى الغرض المراد تناوله .[62]

وقد تنبه ابن رشيق إلى ما سماه « حسن الافتتاح» ، إذ يقول : « إنّ حسن الافتتاح داعية الانشراح ، ومطية النجاح».[63] فهويدعولأن يكون أول الكلام سهلا رقيقا ليجتذب السامع إلى الإصغاء ، لأنّ الشعر «قفلٌ أوله مفتاحه ، وينبغي للشاعر أن يجوّدِ ابتداء شعره ؛ فإنّه أوّل ما يقرع السمع ، وبه يستدل على ما عنده من أوّل وهلة ، ولْيَجتنب» ألا «و»خليلي

« و» قد « فلا يستكثر منها في ابتدائه ؛ فإنّها من علامات الضعف والتكلان [...] ولِيَجْعله حلوا سهلا ، وفخما جزلا ، فقد اختار الناس كثيرا من الابتداءات».[64]

فابن رشيق يشترط شروطا ثلاثة في الاستهلال الحسن ، هي :

- تجويد الابتداء .
- اجتناب الألفاظ المبتذلة الضعيفة (ألا ، خليلي ، قد ...) .
- توفر الحلاوة والسهولة والفخامة في اللفظ .

ويستخلص نبيل منصر من خطاب ابن رشيق السابق ثلاث **وظائف للخطاب الاستهلالي** ، هي : الوظيفة التنبيهية ، والوظيفة التقييمية ، والوظيفة التحفيزية .[65]

فالوظيفة التنبيهية تتلخص في « أوّل ما يقرع السمع». وأمّا الوظيفة التقييمية فيُلخصها قوله : « به يستدل على ما عنده من أوّل وهلة» . وهي وظيفة « تعلن عن جودة الشعر وفحولة الشاعر».[66] وفي هذا يقول ابن الأثير : « إنّما خُصّت الابتداءات بالاختيار ، لأنها أوّل ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقا بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه».[67]

ولهذا المعنى يقول أبو هلال العسكري : « إذا كان الابتداء حسنا بديعا ، ومليحا رشيقا ، كان داعية إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام».[68]

وأمّا **الوظيفة التحفيزية** « يكون بموجبها الابتداء البديع الصنع مكانا محفزا لفعل التواصل الجمالي مع النص».[69] لذلك اعتبر ابن رشيق أنّ حسن الافتتاح هو داعية للانشراح ، ومطية للنجاح .

فالاستهلال يُخبر المتلقي عن معرفة موضوع القصيدة ، وبالتالي يتحول إلى عنوان ، والعنوان علامة لسانية وسيميائية – كما رأينا في عتبة العنوان سابقا – وتتحول تبعا لذلك « الجملة الاستهلالية إلى علامة تلازم

كلّ مفردات النص . وذلك من خلال الفعل التوليدي التكراري لها داخل البنية الكليّة للنص . فيكتسب سمات وخصائص الرمز الذي يلازم كلّ المفردات».(70)

وبذلك لا يُمكن اعتبار الاستهلال (بداية النص) قضية شكلية ، بل إنّه يؤدي وظيفة الإخبار عند المتلقي « حول العلامات الثقافية التي تؤطر النص وتوجه دلالته».(71) وبالتالي فهي تفتح أفق الانتظار عنده . فمن خلال البداية يتعرف القارئ على العناصر الأساسية للنص والتي تمنهج طريقة تلقيه له . فبداية النص « غالبا ما تكون مؤشرا على وجوده وهويته» .(72)

ويُعتبر الاستهلال عتبة للقراءة تُسهم في تحديد مسار النص منذ بدايته إذ يرى عبد الفتاح كيليطو بأنه « خلال السنوات الأخيرة ظهرت في فرنسا عدة دراسات تصب اهتمامها على افتتاحية السرد (الكلمات الأولى ، الجملة الأولى ، الصفحة الأولى ...) وتبرز عتبة القراءة إلى جانب عتبة الحكاية».(73)

فالاستهلال أو البداية في القصيدة هو مكوّن من مكونات النص ، رغم صعوبة تحديد أسطره أوأبياته ، يؤدي وظيفة جلب انتباه القارئ وشدّه إلى الموضوع بالاعتماد على الألفاظ الحسنة والأسلوب التعبيري المثير . إضافة إلى الإشارة إلى ما يحتويه النص ، « فالبداية في العمل الأدبي تُعتبر بمثابة المولد للعديد من الدلالات التي تمتد على مستوى فضاء النص».(74)

وبعد عرضنا وتحليلنا لأهم تجليات الاستهلال كعتبة من عتبات المصاحب النصي ، نَعْمَدُ إلى تَبَيُّن تشكيلات الاستهلال في قصائد ديوان مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) .

إنّ وعي الغماري ودرايته بأهمية الاستهلال ووظيفته يجعله يستهل قصائده في مجموعته الشعرية بصورة مخالفة للقصيدة العربية القديمة تُثير القارئ وتُذكي غريزة حب الاستطلاع لديه لجذبه لأجواء القصيدة .

تأمل استهلال الشاعر لقصيدته « قدر أن نعشق الشمس» :

يُولَدُ الحَيُّ مِنَ المَيِّتِ كَمَا تُولَدُ النَّارُ مِنْ حَجَر !

لاَ تَقُولُوا : إِنَّ لِلرِّيحِ جَفَافاً

وَمِنَ الرِّيحِ سَقَر !

نَحْنُ لَوْلاَ الرِّيح مَا كُنَّا ، وَمَا كَانَ المَطَر (75)

وتمضي القصيدة اتجاه أجواء سردية متصلة ، تُوهم القارئ بأنّ هذا الاستهلال إنما هو حدث قصصي مصوغ بلغة شعرية مؤثرة :

مِنْ رَبِيعِ الصَّحْوِ يَخْضَرُّ المَطَرْ

قَدَرٌ أَنْ نَعْشَقَ الشَّمْسَ

وَأَنْ نَحْمِلَ آلاَمَ البَشَرْ

أَنْ نُنَاجِي طَيْفَ ذِكْرَانَا

وَأَنْ نَحْلُمَ .. (76)

فاجتماع الطابع السردي في الخطاب الاستهلالي للقصيدة بالنهي (لا تقولوا) يكون الغماري قد ضمن متابعة المتلقي وشده إلى مناجاته العميقة عمق النفس البشرية .

وبنفس الوتيرة يستهل الشاعر قصيدته « وحدي مع الله»حيث يأخذ الاستهلال عنده شكل الاستفزاز والصدمة :

أَحْيَيْتَ فِي القَلْبِ سِرَّ الحُبِّ « إِحْيَاء»

كُنَّا الوُرُودَ وَكَانَ الحُبُّ انْدَاء (77)

ومثل هذا الاستهلال يثير القارئ ويستفزه . ولا يتضح هدف الشاعر مما يقول إلا بالأسطر التالية لهذه البداية :

تَنَفَّسَت مُهْجَةً بِالحُبِّ مُورِقَةً

وَعَبْرَةً صَاغَهَا الرَّحْمَنُ خَضْرَاء (78)

فيَبرز إحساس الشاعر المرهف وسمو روحه العالية .

وفي القصيدة التي تبنى على النسق السردي ، فإننا نلفي الغماري في قصيدته : «شوق الخلود « يستدرج القارئ من خلال إبراز جانب من الحدث كي يستثير حبّ الاستطلاع والرغبة فيه ليمضي في قراءة القصيدة، فيستهلها قائلا :

« قَالُوا التَّصُّوفُ بِدْعَةٌ مِنْ شَرِّ أَخْلاَقِ « الهُنُودْ»

قُلْتُ التَّصَوُّفُ يَا فَتَى شَوْقُ الخُلُودِ إِلَى الخُلُودْ

لَوْلاَ التَّصَوُّفُ لَمْ يَكُنْ سِرُّ الوُجُودِ وَلاَ الوُجُود (79)

فيتقد ذهن المتلقي وتشتعل مخيلته محاوِلة فكّ خيوط حقيقة التصوف ، فتتولى الأسطر اللاحقة تبيينها :

جَهِلُوكَ يَا نُونَ الوُجُودِ لأَنَّهُمْ حَاءُ الجُمُودْ !

لَمْ يَعْرِفُوا كَشْفًا وَلاَ عَرَفُوا الشَّهَادَةَ وَالشُّهُود (80)

وفي قصيدة « ليس لي إلا هواها « ذات الدلالات الكثيفة ، فإنّه يصعب الفصل بين البنية الاستهلالية للقصيدة وبقية أبياتها :

لَيْسَ لِي إلاَّ هَوَاهَا

خَيْطُ ذِكْرَى

فِي زَمَانِ القَيْظِ وَالرُّعْبِ خُطَاهَا

تَرْسُمُ الآلاَمَ فَجْراً ... (81)

ويواصل الشاعر رسم الملامح المُشَكِّلة لهذا الهوى :

يُورِقُ الفَجْرُ وَيَمْتَدُّ حُقُولاً وَسَنَابِلْ

هُوَ ذِكْرَى

وَمَشَاعِلْ (82)

وفي مجاراتنا لهدف النص وبؤرته ، يكثف الشاعر تأثيره الشعري لجذب المتلقي وشده إلى أجواء القصيدة :

نَحْنُ لَوْلاَ ظِلُّهَا لَمْ نَعْرِفِ الحُبَّ

وَلَوْلاَ طَيْفُهَا لَمْ نَرْوِ طَيْبَه

نَحْنُ لَوْلاَ لُقىً مُدَّتْ بِصَحْرَاءَ رَهِيبَه (83)

وقد بنى الغماري قصيدته « زمن الطاغوت ولّى »على نظام الشطرين الذي يحيل إلى القصيدة العمودية التي تعتمد على كيان البيت المستقل، وذلك يعكس رغبة الشاعر في العودة إلى زمن الجهاد والفتح المبين ، ويستهلها الشاعر بقوله :

زَمَنُ الطَّاغُوتِ وَلَّى فَانْتَحِرْ يَا هُبَل

إِنَّنَا بِالحَقِّ أَوْلَى بِالضُّحَى نَكْتَحِل (84)

وهو الاستهلال الذي يؤدي إلى متن القصيدة ليعود إليه الغماري في خاتمتها في حلقة دائرية . فالاستهلال في هذه القصيدة يوحي بالحنين إلى الجذور ، الحنين إلى العودة لزمن الفتوحات ، إلى زمن الجهاد والتضحيات.

وليكون الاستهلال مثيرا ولافتا فإنّه غالبا ما يستهل بأساليب الإنشاء كالأمر في القصيدة الأولى في الديوان « وسل الأمير ...» ، إذ تضمن العنوان أمرا موجها إلى القارئ ليشركه في السؤال حتى يجعله طرفا مؤازرا له ، فيستهلها بقوله :

أُسْجُدْ لِرَبّكَ وَاقْتَرِبْ وَإِلَيْهِ فِي الجُلَّى أَنِبْ

وَقُل : الجَزَائِرُ وَارْوِ عَنْ خَيْلٍ مُطَهَّمَةٍ عُرُبْ

خَيْلُ الجِهَادِ الوَرْدُ يَخْطُرُ فِي النَّوَاصِي وَاللَّهَب (85)

يمهد هذا الأمر لأجواء القصيدة التي تمجد جهاد وكفاح الأمير عبد القادر الذي عُدَّ رمز تحدٍّ ومقاومة . ويبدو النسق الشعري في القصيدة كأنّه نسق ملحمي صوّر من خلاله الغماري تضحيات وبطولات الشعب الجزائري ممثلة في تضحيات وكفاح رائد الجهاد الإسلامي الأمير عبد القادر .

ومن تشكيلات الاستهلال في الديوان النظام السردي المعتمد على النفي ، يقول الغماري في قصيدته « **لن ينام الحق**» :

لَنْ يَنَامَ الحَقُّ فِي جُرْحِ بِلاَدِي ..

لَنْ يَنَامْ .. (86)

فعَبْر هذه العتبة يتشعب النص ويوغل في تفاصيل الجرح الذي أصاب الجزائر من أبنائها :

ضَاجَعُوا الرِّيح ..

وَغَنُّوا للطَّوَاغِيتِ الصِّغَارِ ! !

وَانِتَخَوْا بِاسْمِ الفُتُوحِ السُّمْرِ للفَتْحِ الشِّعَارِ !

وَلْوَلُوا فِي شَهْوَةِ اللَّيْل ..

عَلَى « خَضْرَاءَ» شَدُّوا ..

وَلَهُمْ .. كَمْ يَخْجَلُ المَاضِي .. (87)

ويواصل الشاعر تصوير تفاصيل هذا الجرح لشد المتلقي وتشويقه :

وَشَرِبْنَا مِنْ كُؤُوسِ القَهْرِ خِلْنَاهَا زُلاَلا

وَنَسَخْنَا بِالشِّعَارَاتِ الكِتاَبْ !

وَغَدَوْنَا .. وَعَلَى أَشْلاَئِنَا تَعْلُو القِبَابْ ! (88)

والخلاصة أنّ الاستهلال عند الغماري مثير للمتلقي يعمل على جذبه وشده لمتابعة قراءة القصيدة . كما أنّه يوحي بموضوع القصيدة ومضمونها قبل الغوص في متنها .

3 - بنية الختام :

لا يتحدد معنى الاستهلال كعتبة في النص إلا مع بنية أخرى هي بنية الختام أو النهاية ، التي تُعدّ بنية من بنيات النص الموازي اهتم بها البلاغيون والنقاد العرب قديما ، وكانت ميدانا للبحث والدراسة في الدراسات اللسانية النصية الحديثة .

والختام في اللغة هو آخر الشيء ونهايته . جاء في لسان العرب : ختام كلّ مشروب : آخره ، وفي التنزيل : ﴿ **خِتَامُهُ مِسْكٌ** ﴾ أي : آخره ، لأنّ آخر ما يجدونه رائحة المسك ... وختام الوادي أقصاه ، وختام القوم وخاتمهم: آخرهم . (89)

أمّا في اصطلاح البلاغيين فقد تعددت مصطلحات الختام ، وهي: الانتهاء والمقطع والقطع وبراعة المقطع وجودة القطع وحسن الختام، وأيّا كان هذا الاختلاف في التسمية فإنّه يقصد به عناية الناظم أو الناثر بخاتمة الكلام ، فيجتهدا ليحسنا فيه غاية الإحسان لأنّ الختام « هو قاعدة القصيدة ، وآخر ما يبقى منها في الأسماع ، وسبيله أن يكون محكما: لا تمكن الزيادة عليه ، ولا يأتي بعده أحسن منه».(90)

فابن رشيق يشترط أن يختم الشاعر والناثر كلامهما بأحسن خاتمة لأنها آخر ما يبقى في الأسماع ، لذلك « ينبغي أن يكون آخر بيت قصيدتك أجود بيت فيها وأدخل في المعنى الذي قصدت له في نظمها ».(91)

ويعلل ابن رشيق ذلك بقوله : « وخاتمة الكلام أبقى في السمع، وألصق بالنفس ؛ لقرب العهد بها ؛ فإنْ حَسُنَتْ حَسُنَ ، وإنْ قَبُحَتْ قَبُحَ، والأعمال بخواتيمها ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم».(92)

فقد تم التركيز ، من خلال هذا القول ، على البُعد النفسي ، إذ الهدف من الختام في القصيدة هو تحريك النفس ، ليبقى أثر الختام عالقا بها .

وقد سماه الخطيب القزويني الانتهاء ، واشترط فيه حسن التأنق «لأنه آخر ما يعيه السمع ، ويرتسم في النفس [...] وربما أنسى محاسن ما قبله».[93]

لذلك اشترطوا في الختام أن يكون أحد الأوجه الثلاثة التالية :[94]

أ- أن يكون الختام في كلّ غرض بما يناسبه .

ب- أن يكون اللفظ عذبا ، والتأليف جزلا متناسبا .

ج- أن يكون أجود بيت في القصيدة وأدخل في المعنى الذي قصد إليه الشاعر .

هذا عند القدماء . أمّا **المحدثون** فإنّهم يرون بأنّ الختام « نهاية مفتوحة أي قابلة للتأولات العديدة ، كما أنّها احتياجية على موقف معيّن».[95]

وعليه فإنّ النصوص لا يتم تداولها واستهلاكها إلا إذا كانت « متقنة النهاية»[96] حيث تعمل على تحديد دلالات النص وتنهض بـ « تصحيح التلقي وتعديله ، أو ترسيخه أو حتى تغييره».[97] فهي مثلها مثل الاستهلال تعمل على توجيه القراءة وترسيخ ما يرغب صاحب النص في ذهن المتلقي . فالختام « عملية توقف النص عن الاشتغال وتتمثل في آخر جملة أو آخر حدث يتوقف عنده القارئ ».[98]

ونظرا لأهمية الختام أو النهاية في العمل الأدبي ، فقد حدد حسين خمري وظيفتين أساستين لها ، هما :[99]

1 - انغلاق النص على نفسه باعتباره منتوجا لغويا مكتفيا بذاته ، وله استقلاليته عن غيره من النصوص .

2 - الأثر الحسن الذي تتركه لدى المتلقي ، إذ هي آخر ما يقرع سمعه .

بعد هذا التأسيس لمصطلح « الختام» ننتقل إلى تَبَيُّن تشكلاته في قصائد ديوان مصطفى الغماري (قراءة في آية السيف) .

ويمكن تصنيف بنية الختام في المجموعة الشعرية « قراءة في آية السيف»إلى أربعة نماذج ، هي :

1 - **الختام بإعادة البنية الاستهلالية :** ويظهر ذلك في القصائد الآتية: « لن ينام الحق» و قالوا ثوى العشق « و» زهرة الحلم اليقين « و» زمن الطاغوت ولى» .

2 - **الختام بإعادة بنية العنوان** : وقد تواتر في ثلاث قصائد ، هي : «وحدي مع الله» و «قالوا ثوى العشق» و«درب المحبين».

3 - **الختام بالاستفهام :** وقد ورد في قصيدة واحدة ، هي : « لبيك» .

4 - **الختام المفتوح / النهاية المفتوحة :** وهي باقي قصائد المجموعة الشعرية .

وسنعمد ههنا إلى تحليل بعض نماذج الختام وفق التصنيف السابق .

فمن نماذج الختام بإعادة البنية الاستهلالية ما ورد في القصيدة الثانية في الديوان « **لن ينام الحق**» التي ختمها الغماري بنفس البداية التي استهل بها قصيدته إذ يقول :

لَنْ يَنَامَ الحَقُّ

وَالرَّمْزُ الإِلَهِيُّ الإِمَامُ

لَيْسَ بَعْدَ الدَّمْعِ يَا « خَضْرَاءُ» إِلاَّ الابْتِسَامُ (100)

فقد ختم الشاعر القصيدة بما استهله بها لتأكيد موقفه من أنّ ما أصاب الجزائر لن يدوم ، وهي نفس بنية الاستهلال في القصيدة التي يقول فيها :

لَنْ يَنَامَ الحَقُّ فِي جُرْحِ بِلاَدِي ..
لَنْ يَنَامْ .. (101)

وهي الرسالة التي أراد الشاعر أنْ يقرع بها سمع المتلقي لتثبيتها في ذهنه.

وضمن هذا الصنف يمكن أنْ ندرج خاتمة القصيدة الثامنة « **زهرة الحلم اليقين**» :

مِنْ لَيَالِي الصَّحْوِ يَمْتَدُّ وَآلاَمِ السِّنِينْ
مِنْ جِرَاحِ الخَالِدِينْ
يَكْبُرُ الحُلُمُ يَقِينَا
فِي دُرُوبِ العَاشِقِينْ
وَنُغَنِّي للجَبِينِ الحُرِّ
للسَّيْفِ الإِلَهِي
نُغَنِّي زَهْرَةَ الحُلْمِ اليَقِينْ (102)

حيث يمجد الشاعر من خلال هذه الخاتمة تضحيات أولئك الخالدين الذين ضحوا في سبيل الحرية بحمل السيف فَسَقَتْ دماؤهم زهرة ذلك الحلم الذي تحول إلى يقين .

فالغماري أراد أن يُقنع السامع بضرورة التضحية والكفاح لبلوغ المرام، وهو ما عبّر عنه في استهلال القصيدة إذ يقول :

مِنْ لَيَالِي الصَّحْوِ وَالَمْحِو عَبِيرُ الخَالِدِين (103)

فالختام في هذا الصنف يوحي بالحركة الدائرية في القصيدة ؛ ولكن إعادة الاستهلال لا يعني عود على بدء وإنما هو بداية جديدة .

ومن أنماط الصنف الثاني ، **إعادة بنية العنوان** ، ما نلحظه في القصيدة الرابعة في المجموعة الشعرية « **وحدي مع الله**» والتي يختمها الغماري بقوله :

وَحْدِي مَعَ اللهِ فِي حُزْنِي وَفِي فَرَحِي

وَحْدِي مَعَ اللهِ إِسْعَاداً وَإِشْقَاءَ [104]

فغاية الشاعر من خلال البنية الختامية للقصيدة التأثير في المتلقي وحمله على الاقتناع بما اقتنع به هو ، فقد جعل الله هو ملاذه الأوحد في كلّ الأحوال ، في حزنه وفرحه ، في سعادته وشقائه ، وهي نفس الدلالة التي يحيل عليها العنوان ذو المرجعية الدينية والوظيفة الإيحائية .

ومن هذا النوع أيضا ما ورد في القصيدة السادسة عشرة في الديوان والتي عنونها الشاعر بـ «درب المحبين» ، ويقول في خاتمتها :

دَرْبُ المُحِبّينَ أَفْرَاسٌ مُجَاهِدَةٌ

هَيْهَاتَ يُثْنِي خُطَاهَا الرُّعْبُ وَالفسَقِ! [105]

فالغماري جعل ختام القصيدة تفسيرا للبنية الإيحائية للعنوان . فقد بيّن حقيقة درب هؤلاء المحبين على أنّه خيول مجاهدة لا يثنيها شيء عن تحقيق هدفها ، وهذا ما يتوسمه الشاعر في الجيل الذي يبثه هذه الرسالة . فمثل هذه الخاتمة ترسخ في الذهن وتعلق به .

أمّا **الختام بالاستفهام** فظهر في القصيدة الأخيرة من الديوان « **لبيك**» حيث يقول الغماري :

حَتَّى مَتَى أَنْتِ يَا حَسْنَاءُ صَامِتَةٌ

وَاللَّيْلُ تَنْسُلُ كَالأَشْبَاحِ دَعْوَاهُ ! [106]

فقد جعل الشاعر خاتمة القصيدة استفهاما تعجبيا ، تعجب من خلاله عن ذلك الصمت الذي التزمه وطنه جرّاء ما حلّ به من أبنائه الذين اتبعوا الغرب وعبدوه .

وهو وإنْ خاطب حسناءه الجزائر في هذه الخاتمة فإنّه بذلك يخاطب كلّ متلقٍ ويسائله ويتعجب من صمته عمّا يدور من حوله دون أنْ يحرك ساكنا ، فهو يسعى إلى تحريك ذهنه وبث روح الغيرة فيه للنهوض وكسر حاجز الصمت .

ومن **النهايات المفتوحة** في الديوان – وهي الأكثر تواترا – ما نجده في القصيدة الأولى في الديوان « وسل الأمير» :

إِنَّ الجَزَائِرَ يَا ابْنَهَا تَفْدِي العَقِيدَةَ بِالنَّسَبْ

حَسْبُ الجَزَائِرِ حَسْبُهَا دِينٌ وَمَكْرَمَةٌ وَحُب (107)

إذ يوجه الشاعر خطابه إلى كلّ متلقٍ / كلّ ابن للجزائر مخاطبا إيّاه بأنّ الجزائر ضحّت في سبيل العقيدة الإسلامية وافتدتها بأبنائها أمثال الأمير عبد القادر ليعيش فيها أبناؤها على دين آبائهم وأجدادهم في كرامة ومحبة .

إنّ الرسالة التي ضمنها الغماري هذه البنية الختامية هي الرسالة التي آمن بها هو ، وآمن بها من قبله الأمير عبد القادر ، فأرادها أن تَعْلُقَ بذهن السامع علّه يتمثل بها .

ثمّ انظر إلى هذه النهاية التي ختم بها الشاعر القصيدة السادسة « **شوق الخلود**» :

غَدُنَا مُضِيءٌ فِي صَفَاءِ الطُّهْرِ أَوْ طُهْرِ الشَّهِيدْ !

لاَ القَيْدُ يُثْقِلُهُ وَلاَ صَمْتُ الجِدَارِ وَلاَ الحَدِيدْ !

فِي مِثْلِ أَوْتَارِ القُلُوبِ رُوىً .. وَأَهْدَابِ الوُرُودْ ..

فِي القَلْبِ سِرُّ الحُبِّ فِي المَنْطِقِ الصَّخْرِ البَلِيدْ ! ! (108)

إنّها خاتمة عبّر من خلالها الغماري عن نظرته التفاؤلية في غدٍ مشرقٍ يحمل معه أملا في حياة صافية ، سعى من خلالها إلى إقناع المتلقي بضرورة تخطي القيود وكسر جدار الصمت والخوف مثلما فعل قبله مَن حملوا لواء التضحية والجهاد والشهادة ، فالقلب يحيا بالحبّ حتى وإنْ كان بين الصخور .

ومن هذا الصنف أيضا ما ختم به الغماري قصيدته « **هذي المصاحف يا إله**» :

إِنْ يَمْكُرِ اللَّيْلُ الهَجِينُ ، أَلَيْسَ مُقْتَرِباً نَهَارِي !

أَهْوَاهُ مَزْرَعَةً تَمُوجُ بِكُلِّ دَانِيَةِ الثِّمَارِ

وَقَصِيدَةً خَضْرَاءَ مِثْلَ الطُّهْرِ فِي مُقَلِ الصِّغَارِ

وَأَرَاكِ يَا بَيْضَاء

يَكْبُرُ فِيكِ رَمْزُ الإِنْتِصَارِ (109)

اعتبر الشاعر في هذه البنية الختامية ما ألحقه أعداء الجزائر الحاقدين بدينها (المساجد والمصاحف) باسم التقدم مكرا وليلا هجينا مظلما ؛ إلا أنّه يَعِدُ القارئ بنهارٍ قريبٍ تتحقق فيه أمنياته ويتحقق معه الانتصار .

يُغازل الغماري في هذه الخاتمة مسامع المتلقي ليرسّخ في ذهنه فكرة الانتصار وأنّ الغد المشرق قريب آتٍ .

والنموذج الأخير من هذا الصنف ، ما ورد في القصيدة قلب الديوان «**قراءة في آية السيف**» إذ يقول :

فَلَيْسَ غَيْرُ دَعْوَةِ الأَمِينِ

رَغْمَ الضَّجِيجِ الكَافِرِ الهَجِينِ ! ! (110)

فهو يقرع سمع القارئ بنفي مطلق على أنْ لا دعوة إلا دعوة الأمين محمد صلى الله عليه وسلم رغم الحملات المغرضة عليه ليثبت في ذهن المتلقي صدق هذه الرسالة .

إنّ قراءة متفحصة للمتعاليات النصية (العنوان ، الاستهلال والختام) في ديوان مصطفى الغماري « قراءة في آية السيف» تُظهر عناية الشاعر بهذه العتبات وحرصه على اختيارها بدقة لما لها من قوة التأثير في المتلقي وتعمل على توجيه فعل القراءة وتعديل مساره .

الهوامش

(*) كلية الآداب واللغات – جامعة قالمة .

1 - فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط 1 ، 2010 ، ص 224 .

(**) وقد تُرجم مصطلح العتبات في اللغة العربية بمصطلحات عدة، منها : النص المصاحب ، المناص ، النص الموازي ، المكملات ، وكلها تصب في مصب واحد . ويترجمه سعيد يقطين بالمناصصات (انظر : انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 3 ، 2006 ، الهامش (19) ، ص 102) .

2 - فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، ص 223 .

3 - الهاشم أسمهر ، عتبات المحكي القصير في التراث العربي والإسلامي، الأخبار والكرامات والطرف ، الشركة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 2008 ، ص 29 .

4 - نبيل منصر. الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، دار توبقال للنشر، المغرب ، ط 1 ، 2007 ، ص 6 .

5 - محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها التقليدية، دار توبقال للنشر، المغرب، ط 2، 2001 ، ص76.

6 - جيرار جينيت ، مدخل إلى جامع النص ، تعريب : عبد العزيز شبيل، مراجعة : حمادى صمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، 1999 ، ص 70 .

(***) من مكونات المصاحب النصي : العنوان ، التمهيد ، عناوين الفصول ، فموضعه داخل فضاء الكتاب . وتكون عناصر المحيط النصي خارج الكتاب ، وهو كل عنصر لا يلحق ماديا بالكتاب . (نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 27 - 28) .

7 - نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 25 .

8 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

9 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

10 - الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 76 .

11 - المرجع نفسه ، ص 57 .

12 - المرجع نفسه ، ص 74 .

13 - محمد مفتاح ، دينامية النص : تنظير وإنجاز ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط 2 ، 1990 ، ص 72 .

14 - Christiane Achour et Simone Rezzoug , convergences critiques , introduction à la lecture du littéraire , O.P.U , Alger , 1990 , p 28 .

وللأمانة العلمية فإننا نورد النص الأصلي كما ورد في الكتاب :

« Le titre du roman est un message codé en situation de marché ; il résulte de la rencontre d'un énoncé romanesque et d'un énoncé publicitaire ; en lui se croisent nécessairement littérarité et socialité : il parle l'œuvre en termes de discours social mais le discours social en termes de roman. »

15 - محمد فكري الجزار ، العنوان وسميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1998 ، ص 15 .

16 - عبد الملك مرتاض ، تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية « زقاق المدق» ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1995 ، ص 277 .

17 - الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 74 .

18 - المرجع السابق ، الصفحة ذاتها .

19 - المرجع السابق ، ص 62 .

20 - المرجع نفسه ، ص 75 .

21 - عبد الحق بلعابد ، عتبات ، ص 71 وما بعدها .

22 - نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 47 .

23 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

24 - الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 36 – 37 .

25 - فيصل الأحمر ، معجم السيميائيات ، ص 225 .

26 - مصطفى محمد الغماري ، قراءة في آية السيف ، صفحة الإهداء.

27 - يُراجع في هذا : تفسير ابن كثير، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2002، ج 2 ، ص 355 .

28 - رشيد شعلال ، النص والنص المصاحب قراءة في تشكل الحدث الشعري « اللغة والغفران» عينة ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، العدد السادس ، 2010 ، ص 10 .

29 - قانون التواصل الذي يفترض وجود مرسل (الشاعر) ومرسل إليه (القارئ / المتلقي) ورسالة (العنوان) .

30 - نصيرة زوزو ، الفضاء النصي في رواية « كتاب الأمير : للأعرج واسيني ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري ، ص 10 .

(****) والجشطلت كلمة ألمانية (Gestalt) اقترحت لها ترجمات عدة، منها : الشكل ، والتشكيل أو الصياغة ، والهيئة ، والبنية ، والجوهر وغيرها . ويفضل الدكتور شاكر عبد الحميد ترجمته على أنه « الصيغة

الكلية» . والفكرة الجوهرية التي يقدمها هذا المصطلح هي أنّ الكلَّ مختلف عن مجموع الأجزاء أو هو ليس مجرد لتجميع الأجزاء . فالمربع مثلا ليس مجرد أربعة أضلاع ، بل الصيغة الكلية التي تُنَظِّم هذه الأضلاع الأربعة من خلالها ، كي تأخذ الصفة الكلية الخاصة بالمربع . انظر : شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، عالم المعرفة ، مارس 2001 ، ص 159 .

31 - محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، مدخل لتحليل ظاهراتي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط 1 ، 1991 ، ص 18 .

32 - حلمي المليجي ، علم النفس المعاصر ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، ص 193 .

33 - محمد الماكري ، الشكل والخطاب ، ص 21 .

34 - المرجع نفسه ، ص 22 .

35 - المرجع نفسه ، ص 23 .

36 - المرجع نفسه ، ص 25 .

37 - المرجع نفسه ، ص 27 .

38 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

39 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

40 - المرجع نفسه ، ص 29 .

41 - القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، 1914 ، ج 3 ، ص 5 : 10 .

42 - المرجع نفسه ، ص 9 .

43 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

44 - المرجع نفسه ، ص 10 .

45 - المرجع نفسه ، ص 28 : 42 .

46 - حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط وأماكن العلم والمكتبات الترجمة وآثارها ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 2006 ، ص 35 .

(*****) أما هذه الحروف فهي : (ج ح خ ع غ م والهاء الوسطية والكاف الممتدة) .

47 - حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط ، ص 35 .

48 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

49 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

50 - المرجع نفسه ، ص 37 .

51 - حنان قرقوتي ، اللغة العربية والخط ، ص 37 .

52 - المرجع نفسه ، ص 37 – 38 .

53 - القلقشندي ، ص 31 .

54 - المرجع نفسه ، ص 38 .

55 - المرجع نفسه ، ص 33 .

56 - شاكر عبد الحميد ، التفضيل الجمالي ، دراسة في سيكولوجية التذوق الفني ، ص 259 – 260 .

57 - المرجع نفسه الفني ، ص 260 .

58 - المرجع نفسه ، الصفحة ذاتها .

59 - المرجع نفسه ، ص 270 .

60 - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (خ ض ر) .

61 - المرجع نفسه ، مادة (ح م ر) .

62 - هذا ما ورد عند كثير من النقاد القدامى أمثال ابن قتيبة . غير

أنّ جمال الدين بن الشيخ في كتابه الشعرية العربية يُقدم نقدا لأقسام القصيدة القديمة ، خاصة ما جاء عند ابن قتيبة ، إذ يقول : « إنّ ابن قتيبة يُغفل أجناسا متشكلة تشكلا قويا مثل الخمريات والزهديات . إنّ الإنتاج المتقدم ، بما في ذلك ما هو موثوق به من شعر الجاهلية ، لا يثبت بأي حال من الأحوال هيمنة القصيدة الثلاثية أو الرباعية الأجزاء». الشعرية العربية ، دارتوبقال للنشر ، المغرب ، ط 2 ، 2008 ، ص 19 .

وينظر أيضا : مشري بن خليفة ، القصيدة العربية الحديثة في النقد العربي المعاصر ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2006 ، ص 91 – 92 .

63 - ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة ، بيروت ، ط 5 ، 1981 ، ج 1 ، ص 217 .

64 - المرجع نفسه ، ص 218 .

65 - الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 131 – 132

66 - المرجع نفسه ، ص 132 .

67 - ابن الأثير ، المثل السائرفي أدب الكاتب والشاعر ، قدمه وعلق عليه : أحمد الحوفي وبدري طبانة ، دارنهضة مصرللطباعة والنشر ، ص 98 .

68 - كتاب الصناعتين ، الكتابة والشعر ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1986، ص 437 .

69 - نبيل منصر ، الخطاب الموازي للقصيدة العربية المعاصرة ، ص 132 .

70 - حسين خمري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، لبنان ، ومنشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص 118 – 119 . وانظر : رشيد شعلال ، شعرية الاستهلال عند عبد الله البردوني ، مجلة كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد خيضر، بسكرة ، الجزائر ، العدد الثامن ، جانفي 2011 ، ص12 .

71 - المرجع نفسه ، ص 115 .

72 - المرجع نفسه ، ص 116 .

73 - عبد الفتاح كيليطو ، الأدب والغرابة ، دراسة بنيوية في الأدب العربي ، دارتوبقال للنشر ، المغرب ، ط 3 ، 2006 ، الهامش (2) ، ص 12 .

74 - حسين خمري ، نظرية النص ، ص 123 .

75 - الديوان ، ص 33 .

76 - الديوان ، ص 33 .

77 - الديوان ، ص 37 .

78 - الديوان ، ص 37 .

79 - الديوان ، ص 49 .

80 - الديوان ، ص 49 .

81 - الديوان ، ص 71 .

82 - الديوان ، ص 71 .

83 - الديوان ، ص 74 .

84 - الديوان ، ص 87 .

85 - الديوان ، ص 11 .

86 - الديوان ، ص 23 .

87 - الديوان ، ص 26 – 27 .

88 - الديوان ، ص 28 .

89 - ابن منظور ، لسان العرب ، مادة (ختم) .

90 - ابن رشيق ، العمدة في محاسن الشعروآدابه ونقده ، ج 1 ، ص 239 .

91 - أبو هلال العسكري ، كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، ص 503 .

92 - المرجع السابق ، ص 217 .

93 - الإيضاح في علوم البلاغة ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2003 ، ص 326 .

94 - مشري بن خليفة ، القصيدة الحديثة في النقد العربي المعاصر، ص 92 – 93 .

95 - حسين خمري ، نظرية النص ، ص 125 .

96 - المرجع نفسه ، ص 126 .

97 - الهاشم اسمهر ، عتبات المحكي القصير ، ص 72 .

98 - حسين خمري ، نظرية النص ، ص 127 .

99 - المرجع نفسه ، ص 128 .

100 - الديوان ، ص 29 .

101 - الديوان ، ص 23 .

102 - الديوان ، ص 66 – 67 .

103 - الديوان ، ص 65 .

104 - الديوان ، ص 39 .

105 - الديوان ، ص 159 .

106 - الديوان ، ص 169 .

107 - الديوان ، ص 20 .

108 - الديوان ، ص 53 .

109 - الديوان ، ص 84 .

110 - الديوان ، ص 118 .

الحب في شعر أعلام شعراء التفعيلة العراقيين والإيرانيين

(السياب، البياتي، نازك الملائكة، بلند الحيدري، سعدي يوسف/ نيما، فرخزاد، أخوان ثالث، سپهرى، شاملو)

إعداد الأساتذة / د. نرگس گنجی - د. محمد خاقاني أصفهاني - د.محمد رضا نصر- اصفهاني. محمد جعفرأصغري

(جامعة أصفهان –إيران)

الملخص:

نالت الدراسات المقارنة حظاً من الذيوع والشهرة في الأوساط الأدبية إلا أنّ ما حُظيت به المقارنة بين الأدبين العربي والفارسي من الاهتمام لازال ضئيلاً مُفتقراً إلى دراسات أوفى وأوفر. تهتمّ هذه المقالة بدراسة مفهوم الحب لدى أعلام شعراء التفعيلة العراقيين والإيرانيين مِن خلال التأمل في مَشاعر الحب؛ كما تسعى إلى الكشف عَن القواسم المشتركة ووجوه التباين في رؤاهما الشعرية وأساليبهما الفنية.

فأسبابُ المقارنة تعود إلى أنّ هؤلاء الشعراء من أعلام شعراء التفعيلة في العراق وإيران؛كما أنّهم يتحدّثون عن الحب كثيراً، مؤكّدين عليه.

من هذا المنطلق، تستعين الدراسة بالمدرسة الأمريكية في الأدب المقارن التي لا تُعير اهتماماً للتأثيروالتأثّربين الشاعرين كشرطٍ للمقارنة، مُعتمدة على المنهج الوصفي- التحليلي.

الكلمات الأساسية: الحب، الأدب المقارن، شعر التفعيلة في العراق، شعر التفعيلة في إيران.

المقدمة

يُعتبر الكشف عن الصلات الأدبية بين الأمم المختلفة من أهمّ المواضيع المطروحة في حقل الأدب المقارن؛ فالكشف عن هذه الصلات والعلاقات والقواسم المشتركة في الدراسات المقارنة تُساعد على رُقي آداب الأمم.

فإذا ألقينا نظرة إلى العلاقات الثقافية والتاريخية بين البلدين الشقيقين «إيران» و«العراق»، نجد أنّ هذه العلاقات أو الصلات وطيدة متجذّرة حيثُ تعزّ على الحصر أو تكاد.

فقد شهد «العراق» و «إيران» في السنين الأخيرة -اللذين يقعان في حدود واحدة قبل قرون-أحداثا مُشابهة حيثُ أثّرت هذه الأحداث في أدبهما، والمتأمّل في أدب هذين البلدين يجد أنّ أدبهما ذو قواسم مُشتركة.

فإعارة الاهتمام للقيم الرّوحية كالمحبة والحب، والوقوف بوجه الغرب والقوى الاستعمارية ومكافحة الاستعمار والسعي وراء الحرية ومكافحة الحرمان والفقر والتخلف، فكل هذه العوامل أدّت بأدب البلدين أن يسير على مسير واحد.

فانطلاقا من هذه الأهمية، تُحاول هذه الدراسة مُقارنة الحب لدى أعلام شعراء التفعيلة العراقيين[1] والإيرانيين[2]؛ أمّا الشعراء الإيرانيّون

1-كان الشعراء العراقيّون من روّاد شعر التفعيلة. عدّة من النقّاد يعتبرون شعر الكوليرا(1947م) لنازك الملائكة أوّل شعر حرّ في الأدب العربي، والآخرون يعدّون قصيدة « هل كان حبّا»(1946م) لبدر شاكر السياب أوّل شعر في الأدب العربي. و هناك من يعدّون ديوان«الشفق الباكي» لأحمد زكي أبو شادي من المحاولات الأولي لقول الشعر الحرّ. من ميزاته الفنية: هذا الشعر ذو شطر واحد، ليس له طول ثابت وإنّما يصحّ أن يتغيّر عدد التفعيلات من شطر إلى شطر.

2 - لهذا الشعر تسميات مختلفة منها «شعر نيمايي». أي : الشعر النّيمائي(نسبة إلى مؤسس هذا الشعر في إيران) و«شعرنو». أي: الشعر الجديد.و«شعر آزاد»أي: الشعر الحرّ .مؤسسه في إيران «نيما يوشيج». بعض الأدباء يعدّون شعره المسمّي بـ «افسانه» سنة 1922م أوّل شعر تفعيلة في الأدب الفارسي، غير أنّ الآخرين يعتبرون شعره المسمّي بـ «ققنوس»سنة1937م أوّل شعر تفعيلة في الأدب الفارسي. من الميزات الفنّيةّ لهذا الشعر: تغيّر الأوزان والعزوف عن رتابة الأشطر، عدم الاهتمام بضرورة القافية في مواطن محددة.

فهم عبارة عن: «نيما يوشيج» (مؤسس الشعر الحر في الأدب الفارسي) و «فروغ فرخزاد» و «سهراب سپهري» و «مهدي أخوان ثالث» و«أحمد شاملو». والعراقيون هم: «بدر شاكر السيّاب» و«عبدالوهاب البياتي» و«نازك الملائكة» و «بلند الحيدري» و«سعدي يوسف». الشعراء المذكورة أسماؤهم، هم من أعلام شعر التفعيلة في «العراق» «وإيران» والعبارات الواردة في شعرهم مثل «المحبة» و«الحب» خيرُ دليلٍ على ما عندهم من هذه النزعة.

عند دراسة مُوضوع ما بين شعراء أو شاعرين أوكاتبين أو تيارين مُختلفين في أدبين مُختلفين،أوّل سؤال يُخطربالنا وجودُ التأثيروالتأثر المتبادل فيما بينهم، لكن لا يُمكن لنا إصدارُ حُكم قاطع بأنّ هناك صلة و تأثيراً وتأثراً بين هؤلاء الشعراء .ربّما تتوجّه سهامُ النقاد إلى كاتب مثل هذا البَحث إحتجاجاً على ما يقوم به مِن أبحاث لا تمتّ بصلة إلى الأدب المُقارن. وقبل الولوج في الغرض نُقرّ بأنّنا لا ننظر إلى الأدب المقارن بعدسات الدارسين السابقين،إنّما ننظر إليه ببصرنا الحسير وطرفنا الكسير. وللقارئ الكريم أن يتّهمنا بالمخالفة في هذا الجانب ولنا أن نُسوّغ مُخالفتنا بالأدلّة؛لأنّنا باحثون وإنّ حُبّنا للبحث فوق حُبّنا للأدب المقارن. فما هو شفيعنا في هذه الحالة؟ هل من الممكن المقارنة بين شعراء لم يكن بينهم أي من التأثير؟ فالإجابة عن هذا السؤال تُؤدّي بنا إلى ما تعتقد به المدرسة الأمريكية (نسبة إلى بلد المنشإ) -وهي التي تصبّ جلّ همّها في دراسات التوازي والتقابل- من«أنّ جوهر الدراسة المقارنة للآداب يكمن في تقريبنا من فهم البُنى الداخلية، أي الجمالية للأعمال الأدبية، لافي حصر ما تنطوي عليه تلك الأعمال من مؤثرات أجنبية، وما مارسته على الأعمال الأدبية الأجنبية من تأثير» (عبود،1999: 29).تُوجّه هذه

المدرسة نقداً إلى ما تعتقد به المدرسة الفرنسية من أنّ التأثير والتأثّر هو الخطوة الأولى والشرط الرئيس لأية دراسة أدبيّة.فلا تحصر الأدب المقارن في إطار ضيّق بل تفتح أمام هذا الأدب آفاقا رحبة وتُنادي بتجاوز الأصول والمبادئ القديمة للأدب المقارن.

الحب عند االعراقيين/

يأتي بدر شاكر السياب في تضاعيف شعره بأسماء الحبيبات التى عشقها وأحبّها غير أنّ ما يسعى إليه هذا البحث يتأبّى عن الإفاضة في الحديث عن ذلك الوصف الحسّي الهابط إلا أنّه يُولي اهتماما لما تحدّث عنه الشاعر من حُبٍّ حقيقي يبتعد عن الجسم والجسد. وما أوتي في شعره من شذرات تشير بعض الإشارة إلى الحُبّ المتبادل بين الرجل والمرأة لم يكن سوى«أنّه لم يكن وسيم الطلعة،لكن قلبه كان شعلة من الرغبة فى أن يكون محبوبا مطلوبا»

(غانم صالح البيرماني،2010: 58)

ففي قصيدة«شبّاك وفيقة» مع أنّه يدور الحديث حول حبيبته «وفيقة» لكنّه يدخل في قضايا الحب الحقيقي الذي يزرع الألفة والمحبّة في القلوب:

والشمس تكركر فى السّعف/شبّاك يضحك في الألق؟/أم بابٌ يُفتحُ فى السّور/فتفترّ بأجنحة العبق/روح تتلهف للنّور؟/يا صخرة معراج القلب/يا صُور الألفة والحب/ يا درباً يَصعد للدّرب/.

(شبّاك وفيقة،149)

« كان في حياة السياب شئ كثير من الدّراما، فجيكور(فقره،غرامياته، سياساته،اعتقالاته،فدائياته،عذابه الأيوبي) كلها درامة متصاعدة،يحتل هو فيها بؤرة ملتهبة،وقصائده لذلك قَد تُؤخذ كلها معاً،كمأساة درامية

متكاملة تسترسل وتنمو وتتصاعد نحو ذروة من ذُرى التجربة الإنسانية الرّامزة إلى الحياة البشرية» (غانم صالح البيرمانيي2010: 111).

لكنّه مع ما يعيش فيه من بؤس وحزن وألم، تجري على لسانه كلمات وألفاظ يتضوّع منها شذى الحبّ والمحبة.وعراقه حبيب وحبيبه عراق، فهو يفتخر بكون منزله في العراق الحبيب:

أيّها الثلج رحماك، إنّي غريبٌ في بلاد من البرد والجوع سكرى/إنّ لي منزلاً فِي العراق الحبيب/حبيبتي فيه تعلك صخرا/آه، لولاك يا داء ما عُفتُ داري. (5،260).

يُعبّر الشاعر في موضع آخر من شعره عن الحب بالهوى مُعتقدا أنّ الحياة تتوقّف على الحب والهوى وإلا كانت قصّة فاترة:

وأيقنت أنّ الحياة الحياة/بغير الهوى قصة فاترة (ذكرى لقاء،85)

والحب عنده في ذروة الأهمية لا يفارقه:

والحب هل تسمعين/هذا الهتاف العنيف؟/ماذا علينا؟/إنّ عبد اللطيف/يدري بأنّا...ما الذي تُحذّرين؟/ وانخطفت روحي وصاح القطار/ ورقرقت في مقلتيي الدّموع/سحابة تحملني ثمّ سار/يا شمس أيّامي، أمامي رجوع؟/جيكور نامي في ظلام السّنين. (جيكور والمدينة،435)

يُشبّه الشاعر الحب عنده بالنّهر وهذا نفسه إشارة إلى أنّه خائض في الحب ومعناه العميق:

كذاك فُؤادي يعبر الحزن فوقه/ على نهر حبّي وارداً بَعد صادر

(ذكريات الرّيف،118)

يبدو أنّ البياتي أعمق في الحب ومفهومه. يشهد على ذلك ما جاء في ديوانه من موضوعات ومضامين تثير البهجة والفرحة في النفس.

يُخاطب الشاعر حبيبة خيالية لها عينان باسمتان مثل البنفسج في معبد الحُبّ السحيق ولا تنام السعادة إلا على سرر الحب والعشق/

عيناك باسمتان مثل بنفسج يتفتح/في الغاب...في الليل العميق/ في معبد الحُبّ السحيق/ حيثُ السعادة لا تنام/إلا على سرر الغرام/ حيثُ الأزاهر لا تفيق/إلا على همس الطريق/عبرى يُبللها الندى/ حيرى أيقظها الرّدى؟/في صَحوة الفجر الجميل/من غُصنها النّاي البليل. (لقاء،50)

يتحدّث الشاعر إلينا عن أنّه واقف بجانب الفئات الكادحة والفقراء مصرّحاً بذلك دون أي خفاء أو ستر:

حُبّي: مائدة الفقراء/حُزني:بُستان التّعساء/فليشرب ماء البحر الأعداء

(الأعداء،445)

مائدة الفقراء حُبٌّ للبياتي.هل الشاعر يهدف من خلال هذا القول إلى ما يُقال من أنّه كان شيوعي النّزعة؟ يبدو أنّ القراءة العميقة في ديوانه ترسم علامة «لا» أمام هذا السّؤال.لأنّه طالما تحدّث عن الفقراء، غير أنّه في هذا الموضع أعلن أنّ حُبّه مائدة الفقراء علامةً على حُبّه الحقيقي .

الشعر والشاعرية يضطلعان بدور هام في أدب البياتي كما أنّ الحبّ له دورٌ بارزٌ في أدب هذا الشاعر العراقي.يبنى البياتي مُدُنا للحب ثمّ يُميط اللثام عن هذه الحقيقة أنّ شعره أورثه هذا الحب اللهب.ثمّ بالاستعانة بهذا الحب يُقدّم السلام للبحر الأبيض والغابات:

كنّا أطفالا في الوطن- المنفى/ نبني مُدُناً للحُب.....شعري أورثني هذا الفقر القاتل،هذا/ الحب اللهب: السيف القتال/ سَيُحزّ به عُنقي يوماً من أجل الفقراء/ فليسقط شعراء ملوك العصر الحجري الببغاوات وليسقط شعراء الجنرالات/قلت سلاماً للبحر الأبيض/ قلت سلاما للغابات

(إلى رفائيل ألبرتي368)

يرى البياتي أنّ الشاعر في هذا القرن يلتجئ إلى منزل الحب قائلا:

العالم ساحةُ إرهابٍ للشعر/ومنزلُ حُبّ للشاعر فِي القرن العشرين

(تأملات في الوجه الآخر للحب،436)

تارة أخرى يُعبّر عن الحب بقارّة مخبّأة تحت الثلج والعويل:

للبحث عن قارّة حُب طُمرت تحت نديف الثلج والعويل

(صورة جانبية لعاشق الدب الأكبر،380)

فالحبُّ كنزٌ مختبئا يبقى على مدى الدّهر كما يجعلك ملتهبا بشوق وانتظار:

فحبّك يبقى الكنز المرصود وتبقى أنت بشوق ملتهب، مُنتظرا،مَسكونا بالغربة،تنزف منك الكلمات (العراء،447)

خاض الشاعر في قاع الحب حيثُ لا يَرى في الحب هزماً:

لا أقبل أن أهزم في الحبّ ولا أقبل لأن أساوم في الأنهار

(القربان،351)

كما أنّ هذا الحب مُشرقٌ كالنّهار/

سأطرد المنطقَ مِن حظيرتي/ مُسافرا في النّار والأقوال/ في عُرس نهار الحب (سيرة ذاتية لسارق النّار،368)

أتى البياتي بعبارة «مدن العشق» وهذه نفسها دليلٌ واضحٌ وساطعٌ على أنّه يبني مدينته الفاضلة على أساس العشق أي الحب:

كانت صَيحاتُك صوتَ نبي يبكي تحت الأسوار المهدومة شعبا مُستلبا مهزوماً،كانت برقاً أحمر في مُدُن العشق أضاء تماثيل الربات وقاع الآبار المهجورة.

(الموت والقنديل،376)

يُؤكّد الشاعر على أنّ العُشّاق يغتسلون بدمه:

بدمي يغتسل العشاق/وبشعري يبني الغرباء/ في المنفى شيراز/ أتملكها، أسكن فيها/أعبدها/أرسم في ريشتها مدننا فاضلة يتعبّد فيها الشّعراء (قمر شيراز، 390).

إنّ نبرة الحب في شعره خافتة حيثُ لم يأت الشاعر بهذه الكلمة في شعره إلا ثلاث مرّات.كما لم يأت بمترادفات هذا المفهوم إلا القليل الذي لا يكاد يذكر.مثل كلمة «هوى» التي أتى بها مرّتين.

الحب بمعناه النّقي والحقيقي في ذروة الأهمية عند «بلند» ولا يُجاريه ولا يُدانيه شئ إلا أرضه التي هي بمعنى الوطن:

ما أعمق/ ما أطيب/ما أوسعها أرضي/تلك الأكبر من حبّي/تلك الأكبر من سني الغربة (واليوم ...أعود388-387)

للشاعر العراقي ذكريات حلوة جميلة فيتذكّرها متحسّرا عليها.متمنيا أن يكون صوتا فيها حيثُ «ترقص الأيام حبا»:

ذكريات/ تتمطى في خور/حطّمتها كفّ دهر عاتية/لم تدع غير شتات من صور/ليتني أصبح فيها اليوم صوتا /يرقص الأيّام حُبّا / وهو يغني/ حدّثيني.../ودعيني مُسلما (حدّثيني، 137)

« لم يكن سعدي يوسف شاعراً ميتافيزيقيا بيد أنّ شفّافية عوالمه تربطها بعالم روحي يتحرّك على حواف تلك العوالم الواقعية التي يكتب عنها» (المحسن،2000: 15)

يقترب كلام «سعدي يوسف» عن الحب من اللغة الدارجة.ففي قصيدة «ثلاثية الصباح» يتحدّث عن حُب البلاد التي لاتزال في قلبه:

أن نُحب إلى أن نموت(وبودليريدخل) تلك البلاد التي شابهتنا، البلاد التي أطعمتنا بذور الشفلّح،كمأتها،والرّصاص الغرير/البلاد التي سكنت

دمها مثل بيت يضيق بمستأجر/وما آن ألا نحب بها؟/أوما آن أن ننتهي كي نقول لها/لا تميلي علينا/لا تمدّي يدا (ثلاثية الصباح،413)

يتحدّث الأخضر بصيغة المتكلم عن بناء مملكة فاضلة على هاجس الرّوح ثمّ يقول ويبقى لنا هذا الشئ «أن نحب وأن لا نحب». بيد أنّ حبّ الوطن أضرم عنده من الآخر:

.....يا وطني....لم يعد لي سوى أن أحبّ وأن لا أحبّ وبينهما/الطلقة ماثلة/ تباركت يا وطني/إنّ كلّ الوجوه التي غُيّبت بين(........) والماء والعجلات السّريعة ما غادرتك،وما غادرت/منك غير عذاباتها/

(قصيدة للجبهة تحت جدارية فائق حسن،151 - 152)

يشهد على ذلك ما جاء في قصيدته بعنوان «أرادوا أن أتحدّث عن الفن» ففي هذه القصيدة لا يتحدّث الشاعر عن الحب إنّما يستبدله بكلمة أخرى وهي«هوى» آتيا بذلك بعد أن يتحدّث إلى القارئ عن وطنه:

وطنى هو الدّنيا...ملوّحة بهوىً ملوّنة بأشواق

هو حُلم روما حين أيقظها صوتُ المسيح ومزّق السّاقى

(أرادوا أن أتحدّث عن الفن،580)

ترى الشاعرة العراقية أنّ الحب الماضي هو الذي يفتح الحلم المفقود. وفي هذا الصدد،نداؤها موجّهٌ نحو الأشقياء في القرية:

أيها الأشقياء يا زُمر الأح ياء في كل قرية وصعيد

آن أن نستعيد ماضي حبّ هو مفتاح حلمنا المفقود

(أنشودة السلام،63)

نازك الملائكة تعتقد بأنّ الرّيف هو الذي يفوح منه أريج الأزهار مُعقّبة كلامها بكلمة « الأشعار» التي هي إشارة إلى الرّقة والحسن والإحساس مُشيرة إلى أنّ الرّيف هو«موطن الحب»:

إنّه الرّيف من ثراه العبيري المندّى ستُنبت الأشعار

موطن الحب والأغاني وأرض غلّفت رَملها النّدى أسرار

(في الريف 438)

فممّا تقدّم، ظهر جليا أنّ نازك الملائكة ترى الحب الحقيقي في الرّيف. في موضع آخر من شعرها تجمع ثلاث كلمات معا وهي«الشعر، الحب والله».فمن هذا المنطلق،يمكن إصدار حكم قاطع بأنّ الحب الحقيقي سائد في المجتمع الذي يجتاحه الشعر والحبّ والله.يبدو أنّ القصد من الإتيان بكلمة الشعر من جانب الشاعرة العراقية المحبة والشعور لدى النّاس:

فابق وراء الحياة أخيلة الشعر فيها والحب والله

(أغنية للقمر،482)

تُشيّد نازك الملائكة يوتوبياها المبنية على الحب من القلوب الصّافية النقية التي لم تطأها الضغائن والأحقاد:

وشيّدي يوتوبيا من قلوب/من كل قلب لم تطأه الحقود/ولم تُدنّسه أكفّ الرّكود/ من كل قلب شاعري عميق/لم يتمرّغ بخطايا الوجود.

(يوتوبيا في الجبال،154 - 155)

تحدّثت نازك في قصيدتها «أغنية حب للكلمات» عن المحبة والحب غير آتية مباشرة بهذه الكلمات، مشيرة إلى ما يجلب المحبة والحب:

في غد نبنى لنا عُشّ رؤىً من كلمات/ سامقا يعترش اللبلاب في أحرفه/ سَنُذيب الشعر في زُخرفه/وسنروي زهره بالكلمات/وسنبني شُرفة للعطر والورد الخجول/ولها أعمدة من كلمات/ممرّاً بارداً يسبح في ظل ظليل/ حرسته الكلمات.

(أغنية حبّ للكلمات،419)

الحب عند الإيرانيين

فقد ظهر الحب في شعر نيما بصور مختلفة،فبدأ من حب«هلنا» و«صفورا» ويرتقي إلى أعلى مراقي الحب أي حب الحق والحقيقة والإنسان والطبيعة والفن.

1 -**حب المعشوق** (هلنا وصفورا): أحبّ نيما أوان شبابه فتاة مسيحية باسم «هلنا» غير أنّها رفضت الزواج به؛لأنّ الشاعرلم يعتنق الديانة المسيحية،كما أحبّ نيما عشيقة أخرى باسم «صفورا»،لكنّ صفورارفضت المجئ إلى المدينة لهذا لم تقبل الزواج به.

يقول «پورنامداريان»«يُمكن أن نجد أثر الحب الفاشل خاصّة حب«صفورا» الذي فتح شهيّته في قول الشعر، في جميع ديوانه ».

(پورنامداريان،1381: 96)

فقد أشعل «نيما» سراج الحب بشعلة حب «هلنا» و«صفورا»،إلا أنّه لم يحترق بفعل اشتعال الحب،إنّما أصبح هذا السّراج وهّاجاً يُنيربه الشاعرطريق الحق والإنسانية.

فقد جعله هذا الحب حيّا ونشيطا،فكانت بوتقته أحرّ من الشمس السّاطعة في صبارّة الشتاء:

در شب سرد زمستاني/كوره خورشيد هم/چون كوره گرم چراغ من نمى سوزد

(مهروشاعري،743)

الترجمة: في الليلة الباردة الشتوية،لا تشتعل دائرة الشمس مثل البوتقة الحارة لسراجي.

2 -**حب الطبيعة:** كان الشاعريكره الحياة المدنية وما فيها من صخب وضوضاء كما كان مُحبّاً للقرية والغابات والخلوات والفلوات.فأصبحت

المدينة لديه رمزاً للشر وتقدّست القرية والجبال لديه،حيثُ يؤكّد أنّه ليس من أرذال وطغام المدينة.

إنّ حبّ الطبيعة أدّى به إلى أن يأتي بأسماء الطبيعة كارها المدينة كما يصف الطبيعة الريفية وما فيها من مباهج:

خوش است مثل بهائم گريز از ره شهر

چو رود از پی كهسارها خروشيدن

به كوه بانگ دلاويز زنگهای رمه

زمبدأى كه نباشد عيان،نيوشيدن

(خوشى من،160)

الترجمة: يا للروعة!النفور من المدينة كالبهائم،والتدفّق كالنّهر خلف السّهول والجبال.في الجبال صدى رائع لجلاجل الرّعيل.والشربُ من (ماء) ليس له ينبوع واضح ومحدد.

3 -**حُبّ الحق والإنسان** / على الرّغم ممّا فشل فيه الشاعر من حُبّه لـ«هلنا»و«صفورا»غير أنّه جاوز مرحلة الحب المجازي، مُستعينا بهذا الحب لكشف الظلمة المُخيّمة على العالم الشعري.

فالشاعر بعد تجارب مُرّة،يرى أنّ حُبّ المرأة وجمالها لا يُجدي نفعاً فيُفضّل أن لا يتحدّث عنه شيئا، فيندفع نحو المجتمع والإنسان والحق مُعرباً عن مَواقفه إزاء ما يجري في المجتمع من أحداث.

في قصيدته المعنونة بـ«آي آدمها» أي«أيّها البشر» يدعو إلى الوقوف بجانب الشعب ومساعدته. فهذا الموقف ينمّ عن حُبّه للنّاس:

آي آدمها كه بر ساحل بساط دلگشا داريد/نان به سفره،جامه تان بر تن/يک نفر در آب می خواند شما را/موج سنگين را به دست خسته می كوبد/باز می دارد دهان با چشم از وحشت دريده/ سايه ها نان را زراه

دور دیده/آب را بلعیده در گود کبود وهر زمان بی تابش افزون/ می کند زین آبها بیرون/گاه سر گاه پا/

(آي آدمها،302).

الترجمة: أيّها البشر الذين تمتلكون بساطا يبعث السرورعلى الساحل/ والخبزعلى المائدة واللباس على الجسد!/هناک شخصٌ يُناديكم في الماء/ يُقارع الموج الثقيل بيد مُتعبة/ويهمي فمه بيد مزّقها الهلع/رأى ظلالكم من بعيد/ابتلع الماء في العمق الأزرق وكان صبره يفرغ كل لحظة/فيخرج من هذا الماء/رأسه حينا وقدمه حينا/.

كما تظهر نزعته الإنسانية في قصيدته بعنوان«خونريزى»أي»نزف الدّم»:

تن من يا تن مردم،همه را با تن من ساخته اند/وبه یک جور وصفت می دانم/که درین معرکه انداخته اند.

(خونریزی،3-5)

الترجمة: جسدي أو جسد النّاس،فخلقوا كلّها مع جسدي/وأدري بشكل واحد/نبذوها في هذا المعترک.

4 -حُب الشعر والأدب / أكثر الشعراء من الإشادة بالدّور الذي يضطلع به الشعر فى المجتمع،بما فيه من توجيه وهداية نحو القيم الإنسانية المثلى.ف»نيما» باعتباره شاعراً يُفضّل الرّيف فمن الطبيعي أن يحبّ الشعروالأدب:

شعر را رتبت بسی والاست/زندگی شاعرانه با نواتر زندگیهای این دنیاست/آنکه دراین راه می پوید/خیره چیزی را نمی جوید.

(زیبایی،263).

الترجمة: للشعر منزلة ساميّة جدا/والحياة مع الشعر أفضل وأوفر ما في العالم من حياة/والذي يسير على هذا الدّرب/لا يبحث عن شئ بلا فائدة.

إنّ الحب في شعر فروغ مرآة لأحاسيسه حيثُ يتجلى في الصّور والسطوح الدلالية المختبأة في السّطور؛حب الإنسانية والمرأة والعدالة والناس والثقافة.

كانت الشاعرة تفضّل العزلة،لأنّه كان بإمكانها أن تقرأ الشعر.فالشعر والخلوة محبوبان لديها حيثُ ترى نفسها في الجنّة:

كتابي،خلوتي،شعري،سكوي/مرا مستي وسكر زندگاني است/چه غم گر در بهشتى ره ندارم/ كه درقلبم بهشتى جاودانى است/.

(عصيان،95)

كتابٌ،خلوة،شعرٌ،سكوتٌ/(هذه الأمور كلها)نشوة لي ونشوة لحياتي/ فأي غم أغتم،إذا لم يكن لي مكان في جنّة/ففي قلبي جنّة خالدة.

نفسية المعشوق في شعر فروغ تكسب أهمية من ناحيتين:«الأولى هي أنّها لأوّل مرّة أدخلت المعشوق المذكّر في الأدب الفارسي،فقبلها كان المعشوقُ عادة المرأة.فإن كان رجلا فقد وُصف هذا الرجل في صورة المعشوق المؤنّث.على أيّة حال تحدّثت فروغ أكثر صراحة من الآخرين عن وجه المعشوق المذكّر،فلهذا أثار هذا البعد الجديد في شعرها ضجيجا».

(شميسا،1372: 288).

فالأهمية الأخرى عبارة عن أنّ فروغ أضفت صفة الفردية على هذا المعشوق،على حين أنّ المعشوق في الشعر الفارسي موجودٌ جماعيا لا فرديا.

1 -المعشوق المذكّر المجازي

شغل الحديث عن الحب المجازي في شعرها حيّزا كبيراً غير أنّ هذا الحب حبٌ عالٍ.فمن الطبيعي أن يكون معشوق المرأة رجلاً.فكلما نبتعد عن أشعارها الأولى،فنجدها أنّ تعبيرها عن المعشوق يصير عاليا.فهذا المحبوب تارة هو صبايا أيّام الطفولة والصباوة،فتارة هو رجلٌ تحبّه فروغ راسمة منه صورة عالية.فتارة أخرى صورة غامضة عن رجل غادرها وهي تنفره إلا أنّها لا تزال تُحّبه مُعّبرة عنه بلفظة «دستها» أي«الأيدي».كما تحدّثت عنه في «ايمان بياوريم به آغاز فصل سرد» أي "لنؤمن ببداية الفصل البارد":

كوچه يى هست كه در آنجا/پسرانى كه به من عاشق بودند هنوز/با همان موهاى درهم وگردنهاى باريک وپاهاى لاغر/به تبسم هاى معصوم دختركى مى انديشند كه يک شب اورا/باد با خود برد/

(تولدى ديگر،418)

الترجمة: فهناك أزقّة حيث فيها/صبايا لا يزالون يعشقونني/مع الشعور المغبرّة والشعثة والأعناق النحيلة والأرجل النّحيفة/يتفكّرون بابتسامات عفيفة ونقيّة لصبيّة ذات ليلة حملتها الرِّيح معها.

ومردى كه از كنار درختان خيس مى گذرد/مردى كه رشته هاى آبى رگهايش/مانند مارهاى مرده از دو سوى گلوگاهش بالا خزيده اند/ودر شقيقه هاى منقلبش آن هجاى خونين را تكر

(إيمان بياوريم به آغاز فصل سرد،429)

الترجمة: رجلٌ يمرّ بجانب الأشجار الرطبة/رجلٌ الخيوط الصفراء لأورادہ/زحفت إلى الأعلى كالحيّات الميّتة من جانِبَی حلقه/ويُكرّر ذلك الهجاء الدّامي في أصداغه المعكوسة والمقلوبة/

معشوق من گویی زنسلهای فراموش گشته است/گویی که تاتاری/در انتهای چشمانش/پیوسته در کمین سواری است/گویی که بربری/در برق پرطراوت دندانهایش/مجذوب خون گرم شکاری است.

(معشوق من،348)

الترجمة: محبوبي كأنّه من الأجيال المنسيّة/كأنّ تتاراً/في انتهاء عيونه/لا يزال يترصّد فارساً/كأنّ وحشيّاً/في لمعان أسنانه البهيج/يرنو إلى الدّم الحار لصيد/

إنّ مقروءها الثقافي طافح بمفاهيم الحب،فهي التي تبلغ تحية إلى الشمس كما أنّها تبلغ هذه التحيّة إلى الأنهار،كل هذه المفاهيم دالة على أنّ هذه النزعة متجذرة فيها،كما أنّها تدل على رغبة الشاعرة في القضايا الإنسانية.

به آفتاب سلامی دوباره خواهم داد/به جویبار که در من جاری بود/به ابرها که فکرهای طویلم بودند/به رشد درد ناک سپیدارهای باغ که با من/از فصلهای خشک گذر می کردند/به دسته های کلاغان که عطر مزرعه های شبانه را/برای من به هدیه می آوردند/به مادرم که در آیینه زندگی می کرد/می آیم، می آیم،می آیم/ با گیسویم: ادامه بوهای زیرخاک/ با چشمهایم:تجربه های غلیظ تاریکی/ /می آیم،می آیم،می آیم/وآستانه پر از عشق می شود/ومن درآستانه به آنها که دوست می دارند/ودختری که هنوز آنجا/در آستانه پر عشق ایستاده،سلامی دوباره خواهم داد.

(به آفتاب سلامی دوباره خواهم داد،410)

الترجمة: سأبلغ تحية إلى الشمس من جديد/وإلى النّهر الذى كان جاريّاً في/ إلى السحب التي أُعتُبرت أفكاري الطويلة/إلى النشأة المؤلمة لأشجار الحور للحديقة حيثُ عبرت معي عن الفصول الجافّة/إلى أسراب

الغُراب/حيثُ أهدت إلي شذى المزارع المسائية/إلى أمي التي كانت تعيش في المرآة/أجئ،أجئ،أجئ/مع ضفيري:مواصلة شذايا تحت التّراب/مع عيوني:التجارب الكثيفة للظلام /أجئ،أجئ،أجئ/ويصبح المدخل مليئا بالحب/وأنا في المدخل/سأبلغ التحية مرّة أخرى إلى الذين يُحبّون/وبنت لا تزال واقفة هناك على المدخل الملئ بالحب/

يجب أن نُشير في إلماع أنّ أخوان ثالث تابع الأسلوب الخراساني في أشعاره حيثُ أشاد بإيران القديمة وما كان فيها من أساطير،فلا يعنينا في هذا الموضوع أي الحب في شعره،حّبه للأساطير الإيرانية القديمة.

إنّ الحب الرئيسي لدى أخوان هو الحبّ الإلهي الذي يتدفّق كل شئ منه. يُصرّح الشاعر من خلال أشعاره أنّه حلب الدّهر أشطره،فلم يَرَ شيئا أطيب وألذ من الحب الإلهي:

چرا گردم به دنبال جهانی

كه اندروی اصالت لا اصالی است؟

خوشا عشق وخوشا عشق وخوشا عشق

كه تنها چشمه نور وزلالی است

(هوا، من مجموعة «ترا اى كهن بوم وبر دوست دارم»،463)

الترجمة: لماذا أبحث عن عالم أنّ الأصالة فيه بلا أصالة.فما أطيب الحب!فما أطيب الحب!فما أطيب الحب!لأنّه الينبوع الوحيد الذي هو نقي وصاف.

فهذا الحب يُمكن أن يتعرّض لبعض المشاكل والبلايا،فعلينا أن نأخذ الحيطة،فإذا كان الحبُّ مصوناً من البلايا فما ألذّ الحب:

اگر محفوظ باشد ازبلا عشق

خوشا عشق و خوشا عِشق وخوشا عِشق

(خان دشتی مِن مجموعة أرغنون،248)

الترجمة: فإن كان الحب مصونا من البلايا(ففي هذه الحالة) ما أطيب الحب!ما أطيب الحب!ما أطيب الحب!

في مقطع آخر من شعره يؤكّد «أخوان» أنّ طريق الحب طريق صعب،فمن جاب هذا الطريق فهو رستم

راه عشق ای دوست پرپیچ وخم است

هرکه زین یک خان گذشت اورستم است

جانم امد برلب آن جانان کجاست؟

هم بلا، هم آرزوی جان کجاست؟

(من کیم،ترا ای کهن بوم وبر دوست دارم،143)

الترجمة: يا صديقي!إنّ في طريق الحب منعطفا وانحناء،فمن عَبَرَ هذا المنفذ فهو «رستم».ضاق بي الذرع،زهقت روحي،فأين مُنعش الرّوح؟كذلك البلاء،كذلك أمل الرّوح أين هو؟

في مقطع آخر من شعره يُعبّر الشاعر عن القريةبـ«آشيان عشق» أي «عُشّ الحب»:

درختی چند ازآن دور پیداست ده آنجا، آشیان عشق آنجاست

(خان دشتی، من مجموعة ارغنون،242)

الترجمة: تظهر من بعيد عدّة أشجار،فهناک القرية،فعشّ الحب هناک.

إنّ حبّ الوطن والتحمّس له من أكبر المضامين وأفخمها في شعره، فنفسه يقول« في رأيي،المهم هو الاعتماد على البلد والإنسان والتجذر في تراب،أي تراب إنساني».

(کاخی،1371: 112)

يُصرّح الشاعرباسم «إيران» مُتحدّثاً في ثنايا كلامه عن حُبّه الشديد لإيران:

عشق وايمانم به ايران دردو گيتى هم نگنجد

نيست رطلى درانيران سنجد اين پيمانه اى هم

(آي وطن، من مجموعة ترا اى كهن بوم وبر دوست دارم، 73)

الترجمة: إنّ حُبّي لـ «إيران» لا يسع العالمين.فليس هناك رطلٌ ولا كيلٌ عند أعداء إيران يقيسون بهما(مدى هذا الحُبّ).

«لا يستطيع أن يدع حبّه لـ «إيران» لأنّه شاعرٌ ذو طموحات».

(ترابى، 1380: 22).

إنّ دماءه وأوراده متجذّرة في أرض «إيران»:

ولى خون من ريشه درخاك دارد

به هجرت از اين سرزمين نيست قادر

(سفرتان خوش، ترا اى كهن بوم وبر دوست دارم، 48)

الترجمة: لكنّ دمي متجذّر في التّراب.فلا يَقدر على الهجرة من هذا البلد.

لم يكن سپهرى شاعراً فحسب، إنّما كان رسّاماً ماهراً.واستعان بهذا الرسم في أشعاره حيثُ يُصوّر في أشعاره ما يصبو إليه من أهداف حتّى يُؤثّر في قارئه.فعند التحدّث عن الحب يُضفي عليه الصورة حتّى يترسّخ في الذهن.فطالما استخدم الشاعر في شعره لفظة«سيب» أي «التفّاح» وقد جاءت في معان مختلفة إلا أنّ أكثر ما أوتي بها في شعره يدلّ على الحياة، لأنّه يُفسّر الحياة مُستعيناً بمفهوم الحب.

فإذا رُحنا نغوص في بحر شعره نجد أنّ الحبّ عنده يُمثّل هذه الحقيقة،على الإنسان أن ينظر إلى الطبيعة والحبّ الموجود فيها حتّى يصل إلى الله[1].

يعتقد الشاعر في قصيدته بعنوان «صداى پاى آب» أي «صوت قدم الماء» أنّ الحياة تتوقّف على الحُبّ مُستخدماً لفظة «سيب» أي «التفاح»:

تا بخواهى خورشيد/تا بخواهى پيوند/تا بخواهى تكثير/من به سيبى خوشنودم/وبه بوييدن يک بوته بابونه/

(صداى پاى آب،289)

الترجمة: لتريد الشمس /لتريد الاتصال/لتريد الكثرة/أنا مسرورٌ بتفّاحٍ/ وبشمّ شتلة الأقحوان/

فهذا الحب حُبٌّ صوفي؛إذ إنّ الشاعر ميّز بين المرأة والحب.فلديه «سيب» أي التفاح رمزٌ للحب ألإلهي.يعتقد الشاعر أنّ الخلوة تؤدّي بالإنسان إلى التأمّل والمعرفة.والحب في الطبيعة-تلک الطبيعة التي يجعلها سهراب سجادة له- فهو التصوّف والعرفان.فهذا الشاعر العارف يبتعد عن ضوضاء المدينة والدّنيا مُلتجئا إلى الطبيعة والرّيف حتّى تكون الظروف مواتيّة لتلقّي الأنوار الإلهيّة:

من مسلمانم/قبله ام يک گل سرخ/جانمازم چشمه،مُهرم نور/دشت سجاده ى من/من وضو با تپش پنجره ها مى گيرم/در نمازم جريان دارد ماه،جريان دارد طيف/سنگ از پشت نمازم پيداست/همه ذرّات نمازم مُتبلور شده است/كعبه ام بر لب آب/كعبه ام زير اقاقيهاست/كعبه ام مثل نسيم، مى رود باغ به باغ،مى رود شَهر به شَهر/حجر الأسود من روشنى باغچه است/ (صداى پاى آب،272)

1 -لم تكن هذه النزعة جديدة؛إنّما نجد شذرات من هذه الفكرة لدى الشاعر الفارسي ناصر خسرو في القرن الخامس.

الترجمة:أنا مسلم/قبلتي وردة حمراء/سجّادتي الينبوع وحصاة سجودي من نور/الصحراء سجّادتي/إنّي أتوضّأ بنبض النوافذ/في صلاتي للقمر جريانٌ،للطيف جريانٌ/الحجر ظاهرٌ خلف صلاتي/ذرّات صلاتي كلّها متبلورة/كعبتي تحت أشجار الأكاسيا/كعبتي مثل النسيم تطوف من بُستان إلى بُستان وتذهب من مدينة إلى أخرى/حجري الأسود هو ضياء الحديقة.

فالحب عند سهراب مصدره الضوء،فليس وصفاً حسياً هابطاً إنّما يحتوي على مفاهيم تتسرّب إلى خبايا النفس البشرية.لنسمعه ماذا يقول في قصيدة «المسافر»:

نگاه مرد مسافر به روی میز افتاد/چه سیبهای قشنگی/حیات نشئه تنهایی است/ومیزبان پرسید/قشنگ یعنی چه؟/قشنگ یعنی تعبیر عاشقانه اشکال/وعشق، تنها عشق/ترا به گرمی یک سیب می کند مأنوس/وعشق،تنها عشق/مرا به وسعت اندوه زندگیها برد/مرا رساند به امکا (مسافر،306)

الترجمة: أُلقيت نظرةُ الرّجل المسافر على سطح الطاولة: ما أجمل التفاحات!الحياة نشأة الوحدة والخلوة/وسأل المُضيف/ما معنى الجمال؟/الجمال يعني تعبيرٌ غرامي للأشكال/والحب،فقط الحب/ يجعلك مألوفاً لدى حرارة تفّاحة/فالحب،فقط الحب/ذهب بي إلى سعة حزن الحياة/فأوصلني إلى إمكانيّة التطيّر.

كما يُلاحظ عليه في القصيدة المذكورة،إنّ التفّاح يحتوي على مفهوم الحياة؛يُوظّف الشاعر لفظتى(عشق) و(سيب) منفصلتين،كي يركز أكثر على مفهوم الحياة.

تعويضاً عمّا يُعاني منه المجتمع،يتّجه الشاعر من الواقعيّة إلى المثاليّة. فإضافة إلى هذين العنصرين،إنّ شعره طافحٌ بمكوّنات الطبيعة، ففي قصيدته «پيامى درراه» أي«رسالة في الطريق» يصدر قانوناً جديداً قائماً على المحبّة،وحّب أبناء البشر وفضل الآخرين على النّفس:

روزى/خواهم آمد وپيامى خواهم آورد/دررگها نور خواهم آورد/ وصدا درخواهم داد:اى سبدهاتان پرخواب!/سيب آوردم سيب سرخ خورشيد.

(پيامى درراه،من مجموعة ازحجم سبز،329).

الترجمة: ذات يوم/سوف أجئ وسوف آتي برسالة/سأسكب الضوء في الأوراد/وسوف أصيح: يا من سلاتكم مليئة بالنّوم/أتيتُ بالتفّاح/تفّاح الشمس الأحمر.

يُقصد بالتفّاح هنا البشارة بالحياة الطافحة بالحب والحرية في المستقبل القريب كما أنّ السلات المليئة بالنّوم يُقصد بها الظلم والخفقان.

فقد نعثر في شعره على شذرات من الفلسفة.«فرغبته في الفن والمكاتب الفلسفية المعروفة في الشرق الأقصى جعلت منه إنساناً واعيّاً».

(ياحقي،1384: 120).

فاعتقاده بعدم التفضيل بين العاشق والمعشوق،خيرُ دليلٍ على ما عنده من هذا الاتّجاه، ففي نظره كلٌّ منهما يُعتبر بمثابة شقّ للتفّاح حيثُ يتعاونان معاً قاطِعَين مسيراً واحداً.

إذا أراد باحثٌ ما أن يكتب عن موضوع ما عن «شاملو» فأوّل شئ يلفت انتباهه في شعره هو الحب.فعندما نسبر أغوار وأعماق شعره نجد أنّه متأمّل في هذا المفهوم أي الحب.لأنّه لا يتحدّث عن الحب باعتباره

وصفا حسيا هابطا إنّما يتحدّث عن الحب الحقيقي مُستعيناً من خلال ذلك بالحقايق الاجتماعيّة والفلسفيّة.في قصيدته «واحسرتي» يعترف الشاعر أنّ الحب هو الدّواء؛لأنّه عندما يجئ يفرّ الألم.

عشق آمد ودردم از جان گريخت/خود در آن دم كه به خواب مى رفتم/آغاز از پايان آغاز شد

(واحسرتى،من مجموعة مرثية هاى خاک،44)

الترجمة: جاء الحب،ففرّ ألمي من الرّوح/فأنا عندما كنت أنام/ فبدأتِ البدايةُ من الانتهاء.

فقد يُصرّح الشاعر بأنّ من لا يرضى بالحب،قد فقد الإيمان.يبدو أنّ الشاعر متغلغل في المفهوم العميق للحب؛لأنّه يُريد أن يعيش الإنسان مُحبّاً،فكل شئ عنده يقوم على الحب:

به همه آن كسان كه بر عشقى تن در نمى دهند چرا كه ايمان خود را ازدست داده انددرتن من گياهى خزنده است/كه مرا فتح مى كند/ومن اكنون جز تصويرى از اونيستم/ من جزئى ازتوام اى طبيعت بى دريغى كه ديگر نه زمان ونه مرگ،هيچ يک عطش مرا ازسرچشمه ى وجود وخيالت بى نياز نمى كند/.

(باغ همسفر، من مجموعة باغ آيينه،120)

الترجمة:إلى كل الذين لا يرضون بالحب؛لأنّهم فقدوا إيمانهم/في جسدي نباتٌ زاحفٌ/يُسيطر علي/وأنا الآن لست إلا صورة منه/أنا جزءٌ منك أيّتها الطبيعة غير البخيلة! التي لم يَعُد الزمان ولا الموت يُغنيان ظمئي عن ينبوع وجودك وخيالك.

وفي قصيدته «براى خون وماتيک»أي «للدّم وأحمرشفاه» يدعو مخاطبه إلى أن يأذن الحب يبكي في شعره.فنفس هذه العبارة دالة على أنّ هذا الحب حبٌّ إجتماعي:

بگذار عشق تو/در شعر تو بگريد/بگذار درد من/در

(براى خون وماتيک، من مجموعة آهنها واحساس، 29)

الترجمة: فأذن حُبّك/أن يبكي في شعرك/فإنّ ألمي/أن يضحك في شعري

يعتبر الشاعر التحبب أفضل كلام مُتحدّثا في ثنايا ذلك عن الصّفات الأخلاقيّة الحميدة:

بسوده ترين كلام است/دوست داشتن/رذل/آزار ناتوان را دوست مى دارد/لئيم پشيز را/وبزدل/قدرت وپيروزى را/آن نابسوده ها را/كه بر زمان ماست/كجا آموخته ايم/. (بسوده ترين كلام است دوست داشتن، من مجموعة از مدايح بى صله، 916)

الترجمة: إنّ التحبب أنفع وأجدى الكلام/الذليل، المهين/يُحبّ تعذيب العاجز/واللئيم (يحب) شروى نقير)/الخائف/القدرة والسيطرة/ فتلك (الأقوال) غير النّافعة/التي هي جاريّة على لساننا/أين تلقّيناها؟/

وفي قصيدة أخرى بعنوان «براى شما كه عشقتان زندگى است» أي «لكم الذين حبّكم حياة» فهناك نضالٌ بين الرّجال وأعدائهم. يصف الشاعر المرأة بصفات ممتازة طالباً منها حماية الرّجال:

شما كه عشقتان زندگى است/شما كه خشم تان مرگ است/شما كه تابانيده ايد در يأس آسمانها/اميد ستارگان را/شما كه به وجود آورده ايد ساليان را/قرون را/مردانى زاده ايد كه نوشته اند بر چوبه هاى دار/ يادگارها/وتاريخ بزرگ آينده را با اميد/در بطن كوچک خود پرورده ايد/ وشما كه پرورده ايد فتح را/درزهدان شكست/شما كه عشقتان زندگى است/شما كه خشم تان مرگ است/.

(براى شما كه عشقتان زندگى است، من مجموعة هواى تازه، 239)

الترجمة: أنتنّ اللائي حبّكنّ الحياة/أنتنّ اللائي غيظكنّ الموت/أنتنّ اللائي أَنَرتُنّ رجاء الكواكب عند يأس السماوات/أنتنّ اللائي خلقتنّ السنين/القرون/وولدتنّ رجالاً كتبوا على المشانق الذكريات/وفي بطونكنّ الصغير رعيتُنّ التاريخ الكبير للمستقبل راجيات/وأنتنّ اللائي واظبتنّ على النصرة/في رحم الفشل والهزيمة/أنتنّ اللائي حبّكنّ الحياة/وغيظكنّ الموت/.

وإذا كانت المرأة بمثابة روح الحياة،فإنّ الأبطال الحقيقيين ومسطّري الملاحم هم الرّجال الذين استعانوا بكنّ طوال سفر الحياة:

شما كه روح زندگى هستيد/وزندگى بى شما اجاقى است خاموش/شما كه نغمه ى آغوش روحتان/درگوش جان مرد فرحزاست/شما كه درسفر پرهراس زندگى مردان را/درآغوش خويش آرامش بخشيده ايد/وشما را پرستيده هست هرمرد خود پرست/عشقتان را به ما دهيدشما كه عشقتان زندگى ست/وخشم تان را به دشمنان ما/شما كه خشم تان مرگ است/.

(براى شما كه عشقتان زندگى است، من مجموعة هواى تازه،239)

الترجمة: أنتنّ اللائي روح الحياة/والحياة بدونكنّ موقد منطفئ/أنتنّ اللائي أنّ نغمة حضن أرواحكنّ تبعث الفرح والبهجة في سمع روح الرّجل/أنتنّ اللائي في السفر الخائف للحياة منحتنّ الرجال السلوان والتهدئة في حضنكنّ/وقد عبدكنّ كل رجلٍ أناني/فامنحن حبّكنّ لنا/أنتنّ اللائي حبّكنّ الحياة/ فاعطين غيظكنّ لأعدائنا/أنتنّ اللائي غيظكنّ الموت/.

شاملو إنسانٌ طموح دائما يبحث عمّا يسعى إليه من أهداف؛فالشاعر يعتقد بأنّ الحبّ يستطيع أن يكون رمزاً للحياة:

برای زیستن دو قلب لازم است/قلبی که دوست بدارد،قلبی که دوستش بدارند/قلبی که هدیه کند/قلبی که بپذیرد/قلبی که بگوید/قلبی که جواب بگوید/قلبی برای من،قلبی برای انسانی که من می خواهم/تا انسان را درکنارخود حس کنم

(بدرود،من مجموعة هوای تازه،230)

الترجمة: للحياة قلبان لازمان/قلبٌ يُحبّ،وقلبٌ يُحّبونه/قلبٌ يهدى/قلب يقبل/قلبٌ يقول/قلب يردّ ويستجيب/قلبٌ لي،قلبٌ لإنسانٍ أريده/حتّى أشعر بالإنسان على جنبي.

القواسم المشتركة الموضوعية للحب عند أعلام شعراء التفعيلة العراقيين والإيرانيين/

1 -حبّ الوطن

مع أنّ السياب عاش في ظروف بائسة في العراق،لكنّه يُعبّر عنه بالعراق الحبيب.فهو يفتخر بكون منزله في العراق الحبيب:

أِيها الثلج رحماك، إنّي غريبٌ في بلاد من البرد والجوع سكرى/إنّ لي منزلاً في العراق الحبيب/حبيبتي فيه تعلك صخرا/آه،لولاك يا داء ما عُفتُ داريي. (5،260).

يأتي بلند الحيدري بكلمة «أرضي» على جنب كلمة«حُبّي» إلا أنّ بلند الحيدري يرى أنّ وطنه المعبّر عنه ب .«أرضي» أكبر من حبّه، فهذا نفسه إشارة منه إلى حبّه للوطن.

ما أعمق/ ما أطيب/ما أوسعها أرضي/تلك الأكبر من حُبّي/تلك الأكبر مِن سني الغربة (واليوم ...أعود388-387)

يخاطب سعدي يوسف وطنه «ياوطني» ثمّ يتبع كلامه«لم يعد لي سوى أن أحب وأن لا أحب» فهذا تأكيدٌ من جانب الشاعر على حبّه للوطن:

.....يا وطني....لم يعد لي سوى أن أحبّ وأن لا أحبّ وبينهما/الطلقة ماثلة/ تباركت يا وطني/إنّ كلّ الوجوه التي غُيّبت بين(........) والماء والعجلات السّريعة ما غادرتك،وما غادرت/منك غير عذاباتها/

(قصيدة للجبهة تحت جدارية فائق حسن،151 - 152)

يأتي أخوان باسم «إيران» (وطنه الأم) في شعره مؤكّداً على أنّه يُحب هذا الوطن،فلا يستطيع أحدٌ أن يُبيّن ويُقدّر مدى هذا الحب:

عشق وأيمانم به أيران دردو گيتى هم نگنجد

نيست رطلى در انيران سنجد اين پيمانه اى هم

(أي وطن،من مجموعة ترا اى كهن بوم وبر دوست دارم،73)

الترجمة: إنّ حُبّي لإيران لا يسع العالمين.فليس هناك رطلٌ ولا كيلٌ عند أعداء إيران يقيسون بهما(مدى هذا الحُبّ).

2 -حب الطبيعة:

من الطبيعي أن يُحب السياب الطبيعة،لأنّه طالما تحدّث عن «جيكور» مولده.لم يُشر مُباشرة إلى حبّه للطبيعة،لكنّه أكثر من ذكر عناصر الطبيعة ومباهجها:

أين العراق وشمس ضحاها تحملها سفينة/في ماء دجلة أو بويب وأين أصداء الغناء؟/خفقت كأجنحة الحمام على السنابل والنّخيل/من كل بيت في العراء/ (وصية من محتضر،28)

إنّ حب الطبيعة يسوق «نيما يوشيج» نحو الإتيان بعناصر الطبيعة واصفاً من خلالها الحياة الريفية وما فيها من مباهج:

خوش است مثل بهائم گريز ازره شهر

چو رود ازپى كهسارها خروشيدن

به كوه بانگ دلاويز زنگهای رمه

زمبدأی كه نباشد عيان، نيوشيدن

(خوشی من،160)

الترجمة: يا للروعة! النفور من المدينة كالبهائم، والتدفّق كالنّهر خلف السّهول والجبال. في الجبال صدى رائع لجلاجل الرّعيل. والشربُ من (ماء) ليس له ينبوع واضح ومحدد.

3 - حب الأدب والشعر:

يؤكّد عبد الوهاب البياتي في قصيدته المعنونة بـ «الموت في المنفى» أنّ الفقراء أصدقاؤه كما أنّ الشعراء أصدقاءه. فما أتى به الشاعر، يُبيّن مدى حّبه للشعر. فالشاعر الذي يُحب الشعراء من الطبيعي أن يُحب الشعر:

افتحوا الأبواب للنّور، افتحوها/أصدقائي الفقراء/أصدقائي الشعراء

(الموت في المنفى، 456)

من جانب آخر، يرى «البياتي» أنّ الشاعر في زماننا هذا يلتجئ إلى منزل الحب:

العالم ساحةُ إرهاب للشعر/ومنزلُ حُبّ لِلشاعرِ في القَرن العِشرين

(تأملات في الوجه الآخر للحب، 436)

فكما يلاحظ عليه، أنّ «البياتي» لم يقل مباشرة إنّه يُحب الأدب أو الشعر، لكن ممّا أوتي في شعره من مفاهيم ومضامين، يجد المتأمّل فى أدبه أنّه يُحب الأدب والشعر.

لـ «نازك الملائكة» قصيدة بعنوان «إلى الشعر» إلا أنّ هذه الشاعرة العراقية لم تؤكّد فيها على حُبّها للشعر. لكن عندما ننظر إلى قصيدة

«أغنية للقمر» نجد أنّها جمعت ثلاث كلمات معا وهي: «الشعر، الحب والله». فالإتيان بكلمة الشعر على جنب كلمة «الحب» و «الشعر» و«الله» تُشير تمام الإشارة إلى حبّها للأدب والشعر.

أمّا الشعراء الإيرانيون فثلاثة منهم يُحّبون الشعر والأدب.مؤسس الشعر الجديد في الأدب الفارسي أي «نيما يوشيج» يُحب الحياة التي يصطحبها الشعر والأدب.يكثر نيما من الإشادة بالدور الذي يلعبه الشعر في المجتمع، بما فيه من توجيه وهداية نحو القيم الإنسانية المثلى:

شعر را رتبت بسى والاست/زندگى شاعرانه با نواتر زندگيهاى اين دنياست/آنكه دراين راه مى پويد/خيره چيزى را نمى جويد.

(زيبايى، 263).

الترجمة: للشعر منزلة ساميّة جدا/والحياة مع الشعر أفضل وأوفر ما في العالم من حياة/والذي يسير على هذا الدّرب/لا يبحث عن شئ بلا فائدة.

فروغ بالاستعانة بالشعر تُخفّف آلامها، فنفسها تقول إنّها تُفضّل العزلة؛ لأنّ العزلة تُشوّقها على قول الشعر وقراءة الكتاب.فعندئذ تُخلق في قلبها جنّة.

كتابي، خلوتي، شعري، سكوتى/مرا مستى وسكر زندگانى است/چه غم گر در بهشتى ره ندارم/ كه در قلبم بهشتى جاودانى است/.

(عصيان، 95)

الترجمة/ كتابٌ، خلوة، شعرٌ، سكوتٌ/(هذه الأمور كلها)نشوة لي ونشوة لحياتي/فأي غم أغتم، إذا لم يكن لي مكان في جنّة/ففي قلبي جنّة خالدة.

شاملو في قصيدته المعنونة بـ «براى خون وماتيک»أي «للدّم وأحمر شفاه» يأتي بأروع معنى للشعر والحب، أسمعه ماذا يقول:

بگذار عشق تو/در شعر تو بگريد/بگذار درد من/در شعر من بخندد

(براى خون وماتيک، من مجموعة آهنها واحساس، 29)

الترجمة: فأذن حُبّک/أن يبكي في شعرک/فأذن ألمي/أن يضحک في شعري فما ذكره الشاعر في شعره يُشير إلى أنّه يُحب الشعر والأدب.

يشعر «شاملو» في الشعر بحرارة الحب والأمل على حدّ تعبيره في قصيدة «شعري كه زندگی است» أي الشعر هو الحياة:

اگر شعر زندگی است/ما در تک سياهترين آيه های آن/گرمای آفتابی عشق واميد را احساس می كنيم

(شعري كه زندگی است، هوای تازه، 142)

الترجمة: إذا كان الشعر حياة/فنحن في أسوإ علاماته/نشعر بالحرارة الضوئية للحب والأمل/

4 -حُبّ أبناء االبشر

يصرح البيّاتي في شعره بأنّ حُبّه مائدة الفقراء. فالشاعر الذي يجعل مائدة الفقراء حبّاً له فلا يخال نفسه عظيماً، إنّما يرى نفسه بين الفقراء وهذا ينمّ عن حُبّه لأبناء البشر وخاصة الفئات الكادحة.

(حبي مائدة الفقراء الأعداء، 445)

في قصيدة «مر شيراز» يقول البياتي أنّ العشاق يغتسلون بدمه وبشعره بين الغرباء في المنفى «شيراز»، يجعل الشاعر من «شيراز» رمزا لما هو جيّد للغرباء. ما الذي يسوق الشاعر نحو قول هذه المعاني الجميلة؟ فمن المسلم به أنّ حبّه للإنسان والطبقات الاجتماعيّة يُشوّقه على الإتيان بهذه المضامين الجميلة.

بدمي يغتسل العشاق/وبشعري يبني الغرباء/في المنفى شيراز/أتملكها، أسكن فيها/أعبدها/

(فمر شيراز 390).

يُدافع «نيما يوشيج» عن الشعب الذين يُعانون من الآلام ويحتاجون إلى المساعدة، فيقف بجانب الشعب، داعيا إلى مُساعدة جميع البشر:

آى آدمها كه بر ساحل بساط دلگشا داريد/نان به سفره، جامه تان بر تن/يک نفر در آب مى خواند شما را/موج سنگين را به دست خسته مى كوبد/بازمى دارد دهان با چشم ازوحشت دريده/ سايه ها نان را زراه دور ديده/آب را بلعيده در گود كبود وهر زمان بى تابيش افزون/ مى كند زين آبها بيرون/گاه سر گاه پا/ أ

(أى آدمها، 302).

الترجمة: أيّها البشر الذين تمتلكون بساطا يبعث السرور على الساحل/ والخبز على المائدة واللباس على الجسد!/هناك شخصٌ يُناديكم في الماء/ يُقارع الموج الثقيل بيد مُتعبة/ويهمي فمه بيد مزّقها الهلع/رأى ظلالكم من بعيد/ابتلع الماء في العمق الأزرق وكان صبره يفرغ كل لحظة/فيخرج من هذا الماء/رأسه حينا وقدمه حينا/.

5 -اعتبار القرية موطن الحب

تعتقد «نازك الملائكة» أن الرّيف هو الذي يفوح منه أريج الأزهار مُعقّبة كلامها بكلمة «الأشعار» التي هي إشارة إلى الرّقة والحسن والإحساس، مُشيرة إلى أنّ الرّيف هو «موطن الحب»

إنّه الرّيف من ثراه العبيري المندّى ستُنبت الأشعار

موطن الحب والأغاني وأرض غلّفت رَملها النّدى أسرار

(في الرّيف، 438)

في مقطع من شعره يُعبّر «أخوان» عن القرية بـ «آشيان عشق» أي عُشّ الحب:

درختی چند ازآن دور پیداست

ده آنجا، آشیان عشق آنجاست

(خان دشتی، من مجموعة ارغنون،242)

الترجمة: تظهر من بعيد عدّة أشجار فهناك القرية، فعشّ الحب هناك.

القواسم المشتركة الفنية للحب لدى أعلام شعراء التفعيلة العراقيين والإيرانيين:

لا يعثر الباحث المشتغل في الأدب في هذا الجانب على قاسم مشترك لديهم إلا استخدام أسلوب الإخبار. فالعراقيون والإيرانيون للتعبير عن آرائهم عن الحب يستفيدون من أسلوب الإخبار.

وجوه التباين الموضوعية للحب لدى أعلام شعراء التفعيلة االعراقيين والإيرانيين

لم يتحدّث الشعراء العراقيون عن الحب الإلهي الذي يتدفّق منه كل حب، غير أنّ اثنين من الإيرانيين أي «مهدی أخوان ثالث» و«سهراب سپهری» يُشنّفان أسماع المتلقي بكلامهما الجميل عن الحب الإلهي.

«أخوان ثالث» يرى أنّ الحب الإلهي هو ينبوع الضوء مؤكّداً على أنّه حلب الدّهر أشطره، مُختبراً كل شيء فيه، لكنّه لم ير شيئا أطيب من ذلك:

چرا گردم به دنبال جهانی　　　که اندروی اصالت لا اصالی است؟

خوشا عشق وخوشا عشق وخوشا عشق　　　که تنها چشمه نور وزلالی است

(هوا، من مجموعة ترا ای کهن بوم وبر دوست دارم،463)

الترجمة: لماذا أبحث عن عالم أنّ الأصالة فيه بلا أصالة.فما أطيب الحب!فما أطيب الحب!فما أطيب الحب!لأنّه الينبوع الوحيد الذي هو نقي وصاف.

سپهری شاعر صوفيٌ يتأمّل في الطبيعة،تلك الطبيعة التي يجعلها سجادة له،فيدعو هذا الشاعر أن يتّعظ الإنسان بالطبيعة حتّى يستعدّ لتلقي الأنوار الإلهية من مسلمانم/قبله ام يک گل سرخ/جانمازم چشمه،مُهرم نور/دشت سجاده ی من/من وضو با تپش پنجره ها می گیرم/در نمازم جریان دارد ماه،جریان دارد طیف/سنگ از پشت نمازم پیداست/همه ذرّات نمازم متبلور شده است/کعبه ام بر لب آب/کعبه ام زیر اقاقیهاست/کعبه ام مثل نسیم، می رود باغ به باغ،می رود شهر به شهر/حجر الأسود من روشنی باغچه است/

(صدای پای آب،272)

الترجمة: أنا مسلم/قبلتي وردة حمراء/سجّادتي الينبوع وحصاة سجودي من نور/الصحراء سجّادتي/إنّي أتوضّأ بنبض النوافذ/في صلاتي للقمر جريانٌ،للطيف جريانٌ/الحجر ظاهرٌ خلف صلاتي/ذرّات صلاتي كلّها متبلورة/كعبتي تحت أشجار الأكاسيا/كعبتي مثل النسيم تطوف من بُستان إلى بُستان وتذهب من مدينة إلى أخرى/حجري الأسود هو ضياء الحديقة.

فكما تقدّم،لم يأت الشعراء العراقيون بعلامات ولو قليلة عن الحب الإلهي.إذ يتفوّق الشعراء الإيرانيون في هذا المجال عليهم.

عبد الوهاب البياتي من الشعراء العراقيين الغارقين في مفهوم الحب وفي هذه النزعة يتفوّق على بعض الشعراء الإيرانيين.فالشاعر الذي يرى الحب «منزلا»و «قارة» و «كنزاً مرصودا» يحرز قصب السبق من نظرائه. لأنّه بهذه الألفاظ الجميلة يثير الشعور في القارئ.

«شاملو» يتفوّق في شعره على كل نظرائه في هذا الجانب.لأنّه عند الحديث عن الحب يقترب من القيم الإنسانية الجميلة،كما يرى أنّ أفضل كلام هو التحبّب،مُنحيّاً باللائمة على من يُحبّون إيذاء النّاس.فـ «شاملو» إضافة إلى دعوته إلى الحب يُنهى عن الرّذائل مثل إيذاء النّاس.

بسوده ترين كلام است/دوست داشتن/رذل/آزار ناتوان را دوست مى دارد/لئيم پشيز را/وبزدل/قدرت وپيروزى را/آن نابسوده ها را/كه برزمان ماست/كجا آموخته ايم/.

(بسوده ترين كلام است دوست داشتن،من مجموعة از مدايح بى صله،916)

الترجمة: إنّ التحبب أنفع وأجدى الكلام/الذليل،المهين/يُحبّ تعذيب العاجز/واللئيم (يحب) شروى نقير)/الخائف(يُحب)/القدرة والسيطرة/ فتلك(الأقوال) غير النّافعة/التي جاريّة على لساننا/أين تلقّيناها؟/

أوجه التباين الفنية للحب لدى أعلام شعراء التفعيلة العراقيين والإيرانيين

إذا أردنا أن نأتي بوجوه التباين بين هؤلاء الشعراء،فيمكن القول أنّ البياتي العراقي يستخدم أسلوب التشبيه في هذه النّزعة.فتارة يُشبّه الحب بالمنزل وتارة أخرى يُشبّه الحب بقارة.لم يستخدم غيرُهُ هذا الأسلوب:

فحبّك يبقى الكنز المرصود وتبقى أنت بشوق ملتهب، منتظرا،مسكونا بالغربة،تنزف منك الكلمات (العراء،447)

لِلبَحث عَن قارّة حُب طُمرت تَحتَ نَديف الثلج والعَويل

(صورة جانبية لعاشق الدب الأكبر،380)

العالم ساحةُ إرهابٍ للشعر/ومَنزلُ حُبّ للشاعرِ في القَرن العِشرين

(تأملات في الوجه الآخر للحب،436)

الشاعر الإيرانى «أخوان ثالث» يُوظّف المحسّنات البديعية، فهو يغلو في حديثه عن حُبّ الوطن مُلوّناً كلامه بلون الحماسة:

عشق وايمانم به ايران در دوگيتى هم نگنجد

نيست رطلى در انيران سنجد اين پيمانه اى هم

(اى وطن، من مجموعة ترا اى كهن بوم وبر دوست دارم، 73)

النتائج

فيما مضى، تبيّنت صورة الحب لدى أعلام شعراء التفعيلة العراقيين والإيرانيين إلا أنّ ما اهتدت إليه المقالة من نتائج يُمكن تلخيصها فيما يلى /

*إنّ العراقيين يُحبّون وطنهم أكثر من الإيرانيين؛ لأنّ الإيرانيين لم يتحدّثوا عن حبّ الوطن، باستثناء مهدي أخوان ثالث، على حين أنّ ثلاثة من العراقيين أي السياب وبلند الحيدري وسعدي يوسف يؤكّدون في شعرهم على حبّ الوطن.

*إنّ ما جاء في شعر نيما يوشيج وسهراب يدل دلالة واضحة على حبّهما للطبيعة، كما أنّ السياب يتحدّث في شعره عن حبّه للطبيعة.

*إنّ ثلاثة من الإيرانيين وإثنين من العراقيين يتحدّثون عن حبّهم للأدب والشعر. البياتي ونازك الملائكة يتعربان عن حبهما للأدب والشعر في حين أنّ نيما وفروغ وشاملو يُحبّون الأدب والشعر حبّاً جمّاً.

عبد الوهاب البياتى يُحب أبناء البشر؛ حيث أنه يصرح بهذه النزعة في شعره .

تُعبّر نازك الملائكة العراقية عن القرية بموطن الحب، كما أنّ أخوان الإيرانى يعتبر القرية موطن الحب كذلك.

*لا نجد الحب الإلهي عند العراقيين؛غير أنّ اثنين من الإيرانيين أيأخوان وسپهری يتحدّثان عن الحب الإلهي داعيين إلى ذلك.

يقترن الحديث عن الحب عند البياتي العراقي وشاملو الإيراني بالقيم الإنسانية السامية.

المصادر العربية

- البياتي، عبد الوهاب، ديوان عبدالوهاب البياتي ط1990، 4م، بيروت: دار العودة.

- الزغلول، عارف، مختارات من الشعر الفارسي منقولة إلى العربية، ط2000، 1م، طهران:دار الهدى للنشر والتوزيع الدولي.

- المحسن، فاطمة.سعدي يوسف النبرة الخافتة في الشعر العربي الحديث، ط1، 2000، دمشق: دار الهدى للثقافة والنشر.

- الملائكة، نازك.ديوان نازك الملائكة ديوان سنة الطبع، 1986م، بيروت:دارالعودة.

- بلاطة، عيسي بدر شاكر السياب حياته وشعره. 1971م، لبنان: دارالنهار للنشر.

- پورنامداريان، تقي، خانه ام ابري است، شعر نيما از سنّت تا تجدد، چ2، 1381هـ.ش، تهران: سروش.

-الحيدري، بلند.ديوان بلند الحيدري، سنة الطبع، 1980، بيروت: دار العودة.

-السياب، بدرشاكر.ديوان بدرشاكر السياب، دون سنة الطبع، بيروت: دار العودة.

-بيضون، حيدر توفيق. بدرشاكر السياب رائد الشعر العربي الحديث، ط1991، 1م، بيروت:دار الكتب العلمية.

-عبود،عبده.الأدب المقارن، مشكلات وآفاق،1999م،دمشق: إتحاد الكتاب العرب.

-غانم صالح البيرماني،فرح.المرأة في شعر السياب،ط1،2010،الدار العربية للمؤسسات.

-يوسف،سعدي.ديوان سعدي يوسف،ط3،1988م،بيروت: دار العودة.

المصادر الفارسية

- اسوار، موسي.(1381هـ.ش).از سرود باران تا مزامير گل سرخ، چ1، تهران: انتشارات سخن.

-أخوان ثالث، مهدی .أرغنون، ط 9 ،1370 هـ .ش،تهران: انتشارات مروارید.

-أخوان ثالث،مهدی،ترا ای کهن بوم وبر دوست دارم،ط 2،1368هـ.ش،تهران:انتشارات مروارید.

-تراي،ضياء الدين.نيمايى ديگر(نگاهى تازه به شعرهای نیما یوشیج)،چ1،1375،تهران: نشرمينا،نشر دنیای نو.

-سپهری،سهراب.هشت کتاب،چ 3 ،1360هـ.ش، تهران: کتاب خانه طهوری.

-شاملو،احمد.مجموعه آثار،دفتر یکم:شعرها،چ9،1389،تهران: مؤسسه انتشارات نگاه.

- شفيعي كدكني، محمد رضا..شعر معاصر عرب،چ2،1387هـ.ش ،تهران:انتشارات سخن.

-شمیسا،سیروس.نگاهی به فروغ.بی چاپ،1374،تهران: مروارید.

-فرخزاد،فروغ،ديوان اشعار فروغ فرخزاد با مقدمه بهروز جلالى،تهران: انتشارات مرواريد.

- كاخى،مرتضى.صداى حيرت بيدار(گفتگوهاى مهدى اخوان ثالث) چ1371،1 هـ.ش،تهران: انتشارات زمستان.

- نيما يوشيج، مجموعة كامل اشعار نيما يوشيج.گرد آورى: سيروس طاهباز، 1370هـ.ش.تهران:انتشارات نگاه.

- ياحقي،محمد جعفر.جويبار لحظه ها،چ1384،7هـ.ش، تهران: جامي.

المصادر باللغة الأجنبية

The love in the Poetry of Famous Modernist Poets in Iraq and Iran

Assaiyab, Albaiyati, Nazokalmalaekah, Bolandalheidari, Sadi yusuf,/ Nima, Farrokhzad, Akhavane sales, Sepehri, Shamlu)

NargesGanji: Assistant professor of Arabic language & literature at the University of Isfahan

Mohammad Khaqani Isfahani: Full professor of Arabic Language & Literature at the Isfahan University.

Mohammad Reza Nasr Isfahani. Assistant professor of Persian language and literature at the University of Isfahan.

Mohammad Ja'farAsghari: Ph.D candidate of Arabic language & literature at the University of Isfahan.

Abstract

Despite of the prevalence and fame of comparative studies in literary meetings, the proportion of comparative literature from comparative

studies in Persian and Arabic literature is trivial and demands further and more extended research. The present study, in addition to considering the originated feelings of Love, in the Poetry of Famous Modernist Poets in Iraq and Iran and also attempts display common or different aspects of their viewpoint and style.

The reasons of comparison between these poets refer to the fact that those poets are the Famous Modernist Poets in Iraq and Iran, as well as they have spoken of "الحب/عشق"(love) very much.

The present study is carried out with a descriptive-analytic method and is based on the American school of comparative literature according to which the impressions of the two poets from each other is not among the requirements of a comparative investigation.

Keywords: "Love" comparative Literature" Modern poetry in Iraq "Modern poetry in Iran"

الملحق

* شعراء العراق

- بدر شاكر السياب

بدر شاكر السياب شاعرٌ عراقي يعتبر رائد الشعر الحديث وُلد سنة 1926م بقرية صغيرة تُسمّى «جيكور» وتتخلل غابات النخيل المحيطة بالقرية جداول أو أنهار فوقها معابر صغيرة من جذوع النّخل»(بلاطة، 1971: 17).كانت طفولته سعيدة حيثُ كان محبّا لمراقبة السفن والمراكب. فنشأ وتربّى في بيت جدته لأبيه «أمينة» وقضى دراسته الابتدائيّة في قرية «باب سليمان» المجاورة لجيكور..وقد تركت حكايات جدته انطباعات عميقة الأثر في نفسه جسّدها شعراً فيما بعد.« أصبح طالباً في دار المعلمين في بغداد واختار فرع اللغة العربية».(توفيق بيضون، 1991: 22).«فقد ترك الأدب العربي متّجها نحو الأدب الإنجليزى الذي فتح له نافذة على الشّعراء الإنجليزيين».(شفيعي كدكني، 1387 هـ.ش: 165). عمل مُعلماكما عُيّن رئيساً في مديرية الاستيراد والتّصدير. وكانت آنذاك النزعات الشيوعية مُشتعلة في العراق،فانضمّ السياب إليها صابّا جُلّ ما اعتقد به مِن مواقف شيوعية في شعره. فاتّسم شعره بالبُعد عَن مُقتضى الإيمان، فما لبث أن حدثت بعضُ المفارقات والأحداث حيثُ أدّت به إلى نُبذ المواقف الشيوعية، فقد كان طريداً مِن قِبَلِ حكومة «نوري السعيد» الذي واصل حملته ضدّ الشيوعيين، ممّا دفعه للجوء إلى إيران.«فقد أحسّ بالشلل في رجله غير أنّ الأطبّاء مع بذل أقصى جُهدهم في علاجه،لم ينجحوا في ذلك».(اسوار، 1381هـ.ش: 129).والتحق الشاعر بالرفيق الأعلى في الرابع والعشرين من كانون الأوّل عام 1964م تاركاً وراءه عدّة دواوين شعرية: أزهار ذابلة، أساطير- وأنشودة المطر .

-عبد الوهاب االبياتى

عبد الوهّاب البياتي شاعر وأديب عراقي (1926 - 1999) ويعد واحدا من أربعة أسهموا في تأسيس مدرسة الشعر العربي الجديد في العراق (رواد الشعر الحر) وهم على التوالي نازك الملائكة وبدر شاكر السياب وشاذل طاقه. تزوج الشاعر من السيدة هند وانجب منها ولدين وبنتين بنته نادية توفاها الله في حادث سير في الولايات المتحدة وعليه انفصلت زوجته عنه كونها فضلت السكن مع حفيدتها هناك واستقر الشاعر في أسبانيا وبعدها انتقل الى سورية للإقامة بها ألى أن وافته المنية أما بالنسبه إلى باقي أولاده فله بنت تزوجت من دون إرادته وكان معارضا لزواجها من شاب فلسطيني وكذلك أولاده علي وسعد أذ أن من المعروف أن سعد قد انفصل عن زوجته بعد فضيحة مدوية تداولها اغلب الناس في بغداد وأنجب ابنه من زوجته بنتين أحداهما متزوجة من شاب مسيحي وهو مايتعارض مع أعراف المجتمع العراقي المحافظ أما البنت الأخرى فتدعى سرى وقد تخلص سعد من زوجته بعد الحاح من والدته ووالده.

تخرج بشهادة اللغة العربية وآدابها 1950 م، واشتغل مدرسا من عام 1950-1953م. مارس الصحافة عام 1954م في مجلة الثقافة الجديدة لكنها أغلقت، وفصل عن وظيفته، واعتقل بسبب مواقفه الوطنية. فسافر إلى سورية ثم بيروت ثم القاهرة. وزار الاتحاد السوفييتي ما بين عامي 1959 و1964 م، واشتغل أستاذاً في جامعة موسكو، ثم باحثاً علمياً في معهد شعوب آسيا، وزار معظم أقطار أوروبا الشرقية والغربية. وفي سنة 1963 م أسقطت منه الجنسية العراقية، ورجع إلى القاهرة 1964 م وأقام فيها إلى عام 1970 م.

وفي الفترة (1970 - 1980م) أقام الشاعر في إسبانيا, وهذه الفترة يمكن تسميتها المرحلة الأسبانية في شعره, صار وكأنه أحد الأدباء الإسبان

البارزين, إذ أصبح معروفا على مستوى رسمي وشعبي واسع, وترجمت دواوينه إلى الإسبانية. يمتاز شعر عبد الوهاب البياتي بنزوعه نحو عالمية معاصرة مُتأنية من حياته الموزعة في عواصم مُتعددة وعلاقاته الواسعة مع أدباء وشعراء العالم الكبار، مثل الشاعر التركي ناظم حكمت والشاعر الإسباني رفائيل ألبرتي والشاعر الروسي يفتشنكو والمقام الكبير فالح البياتي، وكذلك بامتزاجه مع التُراث والرموز الصوفية والأسطورية التي شكلت إحدى الملامح الأهمّ في حضوره الشعري وحداثته.

-نازك الملائكة

نازك صادق الملائكة (بغداد 23 آب - أغسطس -1923 القاهرة 20 حزيران - يونيو 2007) شاعرة من العراق، ولدت في بغداد في بيئة ثقافية وتخرجت من دار المعلمين العالية عام 1944. دخلت معهد الفنون الجميلة وتخرجت من قسم الموسيقى عام 1949، وفي عام 1959 حصلت على شهادة ماجستير في الأدب المقارن من جامعة وسكنسن في أمريكا وعينت أستاذة في جامعة بغداد وجامعة البصرة ثم جامعة الكويت. عاشت في القاهرة منذ 1990 في عزلة اختيارية وتوفيت بها في 20 يونيو 2007 عن عمر يناهز 83 عاما[1] بسبب إصابتها بهبوط حاد في الدورة الدموية ودفنت في مقبرة خاصة للعائلة غرب القاهرة[2]

-بلند االحيدرى

بلند االحيدري ولد في بغداد في 26 أيلول سبتمبر 1926 شاعر عراقي، كردي الأصل واسمه يعني شامخ في اللغة الكردية. والدته فاطمة بنت إبراهيم أفندي الحيدري الذي كان يشغل منصب شيخ الإسلام في إستانبول. في بداية حياته تنقل بلند بين المدن الكردية ؛ السليمانية وأربيل وكركوك بحكم عمل والده كضابط في الجيش. في العام 1940 انفصل الوالدان. ولما توفيت والدته التي كان متعلقا بها كثيرا في العام

1942 انتقلت العائلة إلى بيت جدتهم والدة أبيه. لم ينسجم بلند في محيطه الجديد وقوانينه الصارمة فحاول الانتحار وترك دراسته قبل أن يكمل المتوسطة في ثانوية التفيض، وخرج من البيت مبتدءاً تشرده في سن المراهقة المبكر وهو في السادسة عشرة من عمره.

توفي والده في عام 1945 ولم يُسمح لبلند أن يسير في جنازته. نام بلند تحت جسور بغداد لعدة ليال، وقام بأعمال مختلفة منها كتابة العرائض (العرضحالجي) أمام وزارة العدل حيث كان خاله داوود الحيدري وزيرا للعدل وذلك تحد للعائلة. بالرغم من تشرده كان بلند حريصا على تثقيف نفسه فكان يذهب إلى المكتبة العامة لسنين ليبقى فيها حتى ساعات متأخرة من الليل إذ كوّن صداقة مع حارس المكتبة الذي كان يسمح له بالبقاء بعد إقفال المكتبة. كانت ثقافته انتقائية، فدرس الأدب العربي والنقد والتراث وعلم النفس وكان معجبا بفرويد وقرأ الفلسفة وتبنى الوجودية لفترة ثم الماركسية والديمقراطية، علاوة على قراءته للأدب العربي من خلال الترجمات. وتوفي بلند سنة 1996 في مستشفى بنيويورك.

***- سعدي يوسف**

سعدي يوسف شاعر عراقي ومُترجم، وُلد في أبي الخصيب، بالبصرة عام 1934. أكمل دراسته الثانوية في البصرة. ليسانس شرف في آداب العربية. عمل في التدريس والصحافة الثقافية.

غادر العراق في السبعينيات لأسباب شخصية بحتة ونال جوائز في الشعر: جائزة سلطان العويس، والتي سحبت منه لاحقا، والجائزة الايطالية العالمية، وجائزة كافافي من الجمعية الهلّينية. في العام 2005 نال جائزة فيرونيا الإيطالية لأفضل مؤلفٍ أجنبيّ. في العام 2008 حصل على جائزة المتروبولس في مونتريال في كندا.

* الشعراء الإيرانيون/

- نيما يوشيج

هو رائد شعر التفعيلة في اللغة الفارسية؛ « وُلد سنة 1276هـ.ش الموافق لسنة 1897م في قرية يوش وهي إحدى قُرى مازندران (محافظة في شمال ايران)».(پورنامداريان، 1381 هـ.ش:21).فَنيما يوشيج يعني « نيما اليوشي»؛لأنّ حرف الجيم في اللهجة الطبريه[1] تماثل حرف«ياء» النّسبة في الفارسيّة والعربيّة.«كان والده إبراهيم خان نوري يتكسب بالزراعة والرّعي»(ياحقي،1389هـ.ش: 38). فقد كانت طفولته مَليئة بالسعادة والهناء، حيثُ عاش في الجبال والفلوات والغابات الخضراء في شمال إيران مُتعوّدا على الحياة القروية البهيجة الساذجة.فَكَرِهَ حياة المدينة ومافيها من صخب وضوضاء مُشيرا في ثنايا شعره إلى ذلك.«تعلّم القراءة والكتابة في مَسقط رأسه، ثمّ رحل إلى طهران مُتقنا الفرنسيّة بمدرسة «سن لوئى» الفرنسيّة».(پورنامداريان،1381هـ.ش: 2)وكان ذا ذهن وقّاد وموهبة فذّة.« فمارس الشعر بتشجيع من أستاذه آنذاك الشاعر الإيراني «نظام وفا» كما أتقن اللغه العربية حيثُ ساعدته على إستيعاب الأدب الفارسي القديم المشفوع بالكثير من المفردات العربية.»(ياحقي،1379هـ.ش: 38). فاضت روحه سنة 1338هـ.ش الموافق لِسنة 1959م في العاصمة الإيرانيّة طهران.« له مجموعة شعرية كاملة طُبعت في طهران عام 1364هـ.ش الموافق لسنة 1986م وقام بجمعها سيروس «طاهباز» وأشرف على نشرها ابنه»شراگيم يوشيج»».(الزغلول،2000: 166).

*-فروغ فرخزاد

ولدت الشاعرةعام1312هـ.ش(1932م) وتوفيت على أثر حادثة تصادم عام 1345هـ.ش(1966م)،وهي من أشهر شاعرات الفارسية

1 -نسبة إلى «طبرستان» إسم «مازندران» الحالية في العصور الماضية.

فى العصر الحديث.كانت فروغ امرأة تفضل التعبير عن أحاسيسها ومشاعرها وأفكارها على أى شئ،وتسمح لنفسها بالخروج على أية تقاليد أو عادات فى سبيل بيان أفكارها وما تُريد قوله.وربّما كانت جرأتها هذه هى الدّافع لحديث النّاس عنها منذ خطواتها الأولى على طريق نظم الشعر.

طُبع ديوانها الأوّل(أسير)عام1334ش(1955م)،ثمّ نُشر ديوانها الثانى(ديوار) بعد ذلك بسنتين (1957م=1336هـ.ش)، وديوانها الثالث(عصيان) بعد ذلك بعام(1958م=1337هـ.ش)،والقارئ لدواوينها الثلاثة هذه يلحظ روحاً سجينة حتّى من خلال أسماء هذه الدّواوين: الأسير،الجدار،العصيان،ويشعر بأنّ جدران السجن تؤلمها وأنّها تُحاول تحطيم هذه الجُدران بالعصيان حتّى تبدأ حياة جديدة وقد أعطى هذا الإحساس ثراء لشعر فروغ فى المعانى والأفكار.ومن أهمّ دواوينها أيضاً ديوان(تولدى ديگر).(1963م=1342هـ.ش)

- مهدي أخوان ثالث(م.أميد)

ولد مهدي أخوان ثالث في مدينة مشهد عام 1307هـ.ش(1927م)،وأتمّ دراسته الإبتدائيّة والمتوسطة هناك،ثمّ أتمّ دراسته الصناعية في مدينة مشهد0فرع الحدادة) عام 1326هـ.ش(1947م)،واشتغل بالتدريس هناك.وقد سُجن أخوان عدة مرات ونُفي مرة إلي ضواحي كاشان،وفي عام 1329هـ.ش(1950م) تزوج أخوان،وبعد خروجه من السجن عام 1336هـ.ش (1957م) عمل بالإذاعة ثمّ في تلفيزيون خوزستان.

وفي عام 1353هـ.ش(1947م) عاد من خوزستان إلي طهران مرة أخري،وعمل بالإذاعة والتلفيزيون الوطني الإيراني،ثمّ أخذ يُدرّس الشعر القديم والمعاصر في جامعات طهران عام1356هـ.ش(1977م)،وعمل بعد ذلك بعامين في مؤسسة الثورة الإسلامية للنشر والتعليم(مؤسسة فرانكلين سابقاً)،ثمّ تقاعد بعد ذلك عام 1360هـ.ش(1981م).

وفي عام 1369هـ.ش(1990م) سافر إلي الخارج وزار عدّة دول منها إنجلترا والدانمرك والسويد والنرويج وفرنسا،وتوفّي بعد عودته من هذه الرحلة بعدةأشهر،ودُفن في مدينة طوس بجوار مقبرة الفردوسي،وقد ترك ابنة واحدة وثلاثة أبناء.

ومن أهم دواوينه:ارغنون(1330هـ.ش=1951م)،زمستان(1335هـ.ش=1956م)،آخر شاهنامه (1338هـ.ش=1959م) ، ازيناوستا (1344 هـ.ش= 1965م)، منظومة شكار (1345هـ.ش=1966م)، پاييز در زندان (1348هـ.ش=1969م)،عاشقانه ها وكبود (1348هـ.ش=1969م)،بهترين اميد(1348هـ.ش=1969م).

- سهراب سپهری

ولد سهراب سپهري عام 1307هـ.ش في مدينة كاشان،وأتمّ تعليمه الإبتدائي والمتوسط في نفس هذه المدينة،ثم التحق بكلية الفنون الجميلة بجامعة طهران،وحصل علي درجة الليسانس في شعبة الرسم عام)، 1332هـ.ش(1953م).وسافر بالبر عام 1336هـ.ش(1957م) إلي باريس ولندن،وفي سنة 1337هـ.ش(1958) اشترك في أول بينالي في طهران،ثم في بينالي فينيسيا،وفي عام 1339 هـ.ش اشترك في البينالي الثاني في طهران وحصل علي الجائزة الأولي للفنون الجميلة،وبالإضافة إلي كونه رساما فقد كان شاعراً،وقام بترجمة بعض القصائد اليابانية إلي اللغة الفارسية.وفي سنة 1340هـ.ش(1961م) اعتزل العمل الحكومي واشتغل بالرسم ونظم الشعر فقط.وفي عام 1358هـ.ش(1979م) سافر إلي إنجلترا للعلاج من مرض سرطان الدم ولكنّه عاد إلي إيران في نفس هذا العالم،وتوفي في طهران عام 1359هـ.ش(1985م)،ومن أهمّ دواوينه: زندگي خوابها(1332هـ.ش=1953م) وشرق اندوه (1340هـ.ش=1961م) وصداي

پاي آب(1344هـ.ش=1965م)،ماهيچ،ما نگاه(1356هـ.ش=1977م). ويمتلئ شعر سپهري بالصور الجديدة والجميل].ويتميّز شعره بأسلوب ولغة خاصة به،وهو ينقل القارئ في شعره إلي عالم جذاب.وكان يميل في بداية أشعاره إلي الحزن،ولكنّه اتجه بعد ذلك إلي الأفكار الصوفية الى حد ما.ومع أنّ أشعاره لها وزن في الغالب الأعم،إلا أنّها تفتقد إلي هذا الوزن أحيانا وتقترب من الشعر المنثور،وتصل بعض مصاريعه إلي سطر كامل وأحيانا تكون كلمة واحدة.وهو متأثّر في ديوانه»شرق اندوه»بالأشعار اليابانيّة القصيرة.

-أحمد شاملو(أ.بامداد)

ولد أحمد شاملو في طهران عام 1304هـ.ش(1924م)،وكانت دراسته الإبتدائيّة والثانوية غير منتظمة نظرا لتنقله بين عدة مدن لأنّ والده كان ضابطاً بالجيش،وأخيراً أنهي دراسته الثانوية في طهران،وفي عام 1323(1944م)نفض يده من التعليم واشتغل بالكتاب] وإنشاد الشعر ضمن نضاله السياسي،ولم يشغل أي منصب حكومي عدا الكتابة في الصّحف وإدارة المجلات الأدبية.وهو يُجيد اللغة الفرنسية وقد ترجم عنها بعض القصص والروايات،وتولي إدارة المجلات الأسبوعية:(آشنا)،(كتاب هفته)،(خوشه).

تزوّج أحمد شاملو ثلاث مرات،أنجب من زوجته الأولي ثلاثة أبناء وبنتاً واحدة وقد نُشرأوّل ديوان له وهو بعنوان»آهنگهاي فراموش شده» عام 1326هـ.ش(1947م) وطُبع ديوانه (باغ آيينه) عام 1329هـ.ش(1950م ثم ديوان(آيدا در آينه) عام 1339(1954م)،ثمّ طُبع في السنة التالية ديوانه(آيدا،درخت وخنجر وخاطره).ومن دواوينه الأخري أيضاً ديوان(ققنوس در باران)1345هـ.ش(1966م)،ود

يوان(مرثيه هاي خاك) 1348هـ.ش(1969م)،وديوان(ترانه هاي كوچك غربت)1359هـ.ش(1980م).

ويُعد أحمد شاملو خير ممثل لشعراء الشعر الذي لا وزن له أو ما كان يسمّي أيضا خطأ بالشعر الأبيض «شعرسپيد»،وتعتمد أشعاره علي موسيقي الألفاظ،كما أنّه يُعتبر رائدا من رواد الشعر الإجتماعي والإنساني.

اللّغة السواحلية "امتدادها إفريقيًا"

أ.د. عبد الجليل مرتاض (ج . تلمسان)

لم يعد العلماء على مختلف تخصصاتهم يشكّون أدنى شك، كلما تحدثوا عن الفصائل اللغوية، في أن يعزوا اللغات الإفريقية الرئيسة إلى السلالة الحامية، ولكن بعض الدراسات تحاول أن تستثني اللغة المصرية القديمة من اللغة الحامية رابطة إياها بالأزمنة التاريخية والمراحل التي مرّت بها مِصْرُ مرّاً موغلاً في القدم، بل جرّدت حتى اللغة القبطية التي لا تزال لغة تواصل حية بين ملايين المصريين من أمها الحامية[1]، وهذا ما لم يقل به أحد من الدارسين المحدثين، بل مثلها مثل التشادية، والبربرية، والكوشية،...[2].

اللّغات الإفريقية المرجّحُ اشتقاقُ أصولها الأولى من الحامية نسبة إلى حام بن نوح تمثّل تجمّعات لغويّة متفاوتة في مناطق القارّة الإفريقية الشاسعة، ومن هذه اللغات الكوشية التي تشمل الركن الشرقي لإفريقية ماعدا المناطق التي تنتشر فيها اللغة الحبشية باعتبار هذه الأخيرة تنتمي إلى العائلة السامية، ولكن الكوشية تتوزع إلى لهجات منها البجّة، والعَفْر، والجالا galla، فالأولى تحتل شمال أرتيريا، وداخلها لهجات متعدّدة، والثانية منتشرة في جنوب أرتيريا، والثالثة (الجالا) اتخذت غربي هضبة أثيوبيا رَبَضاً لها وتنقسم بدورها إلى لهجات وتكلمات، ومما يؤسف له أن الأدب الشعبي الجاليَّ دوّن بالحروف اللاتينية، وإلى جانب الكوشية نجد

الصومالية التي تنتشر حتى خارج هذا البلد في أجزاء من أثيوبيا وكينيا[3].

سواء علينا آقْرَرْنا بحامية اللغات الإفريقية أم لم نقرّ بها جملة وتفصيلاً، فإنّ معظم التكتلات العرقية الإفريقية لا تبرح تحتفظ بممارسة لغاتها ولهجاتها، لكن العرقية منبوذة من الأصل اللغوي، إذ ثمة أفراد من جماعات عرقية مختلفة يتواصلون بلغة واحدة مشتركة، ومع ذلك، فإنّ اللغة تظل في الغالب السبيل الوحيد لتمييز الإفريقيين أعضاء في جماعات عرقية معينة[4].

أمام العدد الهائل من اللغات الإفريقية التي قدّرها العلماء ما بين سبعمائة إلى ألف، فإنّ المرء لا يتصور تفاهماً متاحاً بين أصحاب هذه اللغات إلا في إطار لغة جامعة، وإلا غدا التواصل متعذراَ، إن لم نقل مستحيلا، بين سكان القارة.

وتنقسم هذه اللغات التي يتحدث بها زهاء ثلاثمائة مليون نسمة يقطنون أساساً جنوب الصحراء وإلى الغرب من السودان الجنوبي إلى ثلاث عائلات رئيسة [5]:

1 - النيجرية- الكردفانية.

2 - النيلية- الصحراوية.

3 - الخويسانية.

تعدّ الأولى أوسع لغات إفريقيا السوداء انتشاراً، فهذه وحدها تشمل زهاء ثلاثمائة من لغات البانتو التي لا تزال تستعمل حتى الآن بين إفريقيّ وسط وشرق وجنوب القارة، وتعتبر اللغة السواحلية أكثر لغات البانتو اكتساحاً، غير أنّ مجموعة اللغات النيجيرية الكردفانية تضم لغات أخرى لا صلة لها بالبانتو، ونجدها في غربي إفريقيا منها اليوروبا المنافسة للهاوسة انتشاراً واستعمالاً في دول غربي إفرقيا، مما يمكن أن نضفي على

هذه اللغة الإفريقية الواسعة صفة اللغة "شبه الجامعة". وأما اللغات النيليّة الصحراويّة فتضمّ قرابة خمسة وثلاثين مليون متكلّم في نواحي من تشاد وكينيا ومالي والنيجر والسودان وتنزانيا وأوغندا، وداخل هذه اللغة الواسعة الانتشار لغات رئيسية أخرى تتمثل في لغات الدينكا، والكانوري، والماساي، والنوير، على حين أن اللغة الثالثة (الخويسانية) التي يتحدث بها عدد قليل من الإفريقيّين مستعملة من لدن مجموعتين صغيرتين داخل تنزانيا، وأيضا من الخويخيين والسان، وربما سُمّيَت هذه اللغة من اللسانيين بلغات "التكتكة"، لكون نسبة كبيرة من كلماتها تتخلّلها أصوات الذلاقة، لكن الغرابة تكمن في أن اللغات الخويسانية هذه على قلة متكلميها لا تنتمي إلى أي من اللغات الإفريقية الأخرى، ويبدو أنها لم تُشَخَّصْ حتى الآن تشخيصاً لسانياً كلياً، وهذه الظاهرة تميل بنا إلى إعادة النظر في بعض المصطلحات الجزافية التي تطلق على تصنيف العائلات اللغوية دون مقارنة ولا تمحيص علميّين لسانيّين.

وإذا لم نكن بحاجة ماسّة إلى التذكير بسائر اللغات الإفريقية الآسيوية الأخرى كالعربية والأمازيغيّة والأمهرية والجالا والهوسة والصومالية والملاجاسي في مدغشقر اللغة العائدة إلى سلالة اللغات الملايوية- البولينيزية، فثمة لغات هندو- أوروبية انتشرت بانتشار الاستعمار الغربي، وخاصة اللغة الأفريكانية التي طوّرها المستوطنون الهولنديون المبكرون في جنوب إفريقية: وهي كريّول هولندي إفريقي، لتصبح لاحقا إحدى اللغتين الرسميتين لجنوب إفريقية، بل أنتج باللغة الأفريكانية هذه كتّاب جنوب إفريقية أعمالاً أدبية[6].

وعلى هذا، فكل من تسوّل له نفسه، ولو بحسن نية، أن يُقْدِمَ على أن يخوض غمار تجربة بِكْرٍ في حديث عميق أو سطحي عن التعددية

اللسانية في قارتنا الإفريقية التي نفتخر بالانتماء الجغرافي والتاريخي والوجداني إليها، إلا وكشف عن دهشته أمام هذا الكمّ الهائل من اللغات الإفريقية غير المتوازنة في ديموغرافيتها بشكل لا يكاد يوجد له مبرّر لغوي أو دليل تاريخي.

ويضاف إلى هذه الدهشة إدبار شبه مبرمج من الهيئات الدولية والمجامع اللغوية المحلية والإقليمية للعزوف عن الوقوف على أسرار هذه اللغات واللهجات الإفريقية التي تعدّ جزءاً لا يتجزأ من تراث لساني آيل إلى الانقراض في ظل العولمة الجشعة وقلب ظهر المِجنّ لحماية الأقليات العرقية واللغوية.

لكن هل التعددية اللسانية على مستوى بلد واحد حصيلة لتعددية ثقافية أم أنّ الأمر لا يعدو أكثر من ظروف وملابسات لا سلطة عليها لفرد من أفراد المجتمع الواحد والثقافة الواحدة؟ ومع ذلك من الضلالة بمكان أن نعزل اللغة عن ثقافتها أو الثقافة عن لغتها، فالشعب الأصيل لا يرضى باستيراد دوالّ صوتية خارجية ليعبّر بها عن مداليل ثقافية داخلية، لكن لا أعتقد أن الإنسان البدائي كان يفكر في أكثر من الإمكانات التي تضمن له التواصل والبقاء.

إننا حين نلتفت إلى الحديث عن الأشتات اللغوية نجد أنفسنا أمام "عالم ثالث" من اللغات " لا يبدو أن هناك مبالغة في القول بوجود "عالم ثالث" في ميدان دراسة اللغات الاثنيّة وأن اللغات في إفريقيا السوداء تشكل هذا الانتماء، أدركنا تدريجياً منذ القرن السابع عشر هذا الأمر، لكن هذا التوثيق الوصفي، وإلى غاية عهد قريب غالباً ما تعوزه الصرامة العلمية"(7).

وعلاوة على ما أشير إليه أعلاه، فإنّ اللسانيات المقارنة توصّلت إلى نتائج لكنها نتائج شاملة، في الوقت الذي كانت تصطدم فيه بنهاية ما تفرضه عليها الحالة الراهنة لمعارفنا، ومن هنا وجب اتباع مسعيين لازمين لتوجيه الدراسات بهذا الشأن: وصف حالات اللغات والبحث عن تصنيف داخلي لتجمعات اللغات المتواشجة، علماً بأنّ أقدم وثيقة مكّنت الباحثين من وضع ترجمة توجد في قصيدة شعرية سواحلية مكتوبة بالحرف العربي، وتعود إلى تاريخ 1714م، ومؤلفة من مقطع شعري mille strophes ووجود هذه القصيدة السواحلية يقيم لنا الدليل على أن التقليد الأدبي كان حيّاً لدى السواحلية، بل "نعلم من جهة أخرى أن إحدى وقائع الأخبار القديمة المؤرخة في سنة 1500م والمثبتة في أحد التقارير البرتغالية قد تضاعفت،... ومع ذلك نستطيع أن نستخلص في الوقت الحالي نتيجتين: العالم الأوروبي، ومنذ القرن السابع عشر، أصبح له إلمام ببعض اللغات الإفريقية، وفي مقابل ذلك، فإنّ الوثائق الإفريقية الصِّرف هي المؤكَّدة ولا تقبل التعويض"[(8)]، ويردف المصدر ذاته أن حضارة إفريقيا السوداء، إذا ما وصفناها بمقتضى تقنيات التبليغ، حضارة شفوية وتقدّم لنا معالم كرونولجية قليلة، وهنا يجد اللساني نفسه أمام اللغات الإفريقية السوداء كالآثاريّ أمام وضعية دون علم الطبقات الجيولوجية حيث الرياح سوّت كل الطبقات.

وإذا ما أشارت هذه الورقة إلى علاقة اللغة السواحلية باللغة العربية وتفاعلهما الطويل، فإنّها لا تقصد بذلك أي حديث عن تموقع اللغة العربية بالقارة السمراء، لأنه حديث يحتاج إلى حديث مستقل بيد أنّ هذه الملاحظة المنهجية لا تحول بين هذا الموضوع والعلاقات العربية التي كانت لها مسحات لغوية ثرية ومتنوعة على الوعاء الأصيل للغة مناطق

الساحل الشرقي الإفريقي وحوض النيل وأماكن أخرى، مما أدّى إلى ظهور مزيج لغوي عربي إفريقي ساحلي.

ليست العلاقات اللغوية بين العرب في غرب شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي الإفريقي علاقات ظرفية حدثت بعد انتشار الإسلام في هذه الربوع، بل علاقات تجارية واقتصادية واجتماعية وسياحية حدثت قبل ظهور الإسلام بقرون عدة "فقد استطاع العرب – ومن خلال رحلاتهم البحرية- أن يعبروا مضيق باب المندبِ منذ أقدم العصور وأن يكتشفوا البلاد الواقعة على الساحل الشرقي الإفريقي من بلاد الدناقلة والحبشة شمالاً وحتى موزنبيق ومدغشقر جنوباً، وكان التبادل التجاري وتسويق منتجات المنطقة في الأسواق الخارجية حينذاك مثل بلاد الشام والهند هو الأساس الحقيقي لترسيخ الاتصال العربي الإفريقي، وهو ما دفع بالعرب إلى الاستقرار في مناطق الساحل الشرقي الإفريقي"[(9)].

ومع ذلك لم تتوطد العلاقات العربية بدول الساحل الشرقي الإفريقي نتيجة ضربة حظ أو هبّة ريح عابرة، بل حدثت نتيجة عوامل متعدّدة، منها التجاور، والمناخ الجغرافي المتمثل في الرياح الموسمية المنتظمة التي كانت تساعد على سهولة الملاحة البحرية بين سواحل البلاد العربية المشرفة على ساحل المحيط الهندي وسواحل الشرق الإفريقي، وكان للعرب من هذا نصيب من الملاحة التجارية إبّان رحلتي الشتاء والصيف، ثم ما لبث أن بزغ فجر الإسلام وهجرت أفواج من العرب المسلمين إلى الحبشة والساحل الإفريقي، مما جعل دائرة اللغة العربية تتسع باعتناق جماعات إفريقية الإسلام في الفالا في الهضبة الحبشية والتقرى في إرتيريا، وبعد ظهور مراكز تجارية عربية في حواضر وجزر ساحلية من شرق إفريقية كزنجبار، وكلوا، وممباسا، توغلت المؤثرات العربية

الإسلامية لاحقاً في منطقة البحيرات الاستوائية المكوّنة من تنجانيقا (تنزانيا)، وكينيا، وأوغندا، ورواندا، وبوروندي، والكونغو، وحيث ظَلَّ لهذه المؤثرات الثقافية العربية نفوذ كبير، ولاسيما في منطقتي تنجنيقا وزنجبار، وأدّى هذا التمازج العربي الإفريقي إلى أن يَدْخُلَ أحشاء اللغات الإفريقية المنطوقة بالأصالةِ العديدُ من المفردات العربية التي أطلق عليها مصطلح "اللغة السواحلية".

ورغم أنّ العالم بتاريخ دول شرق إفريقيا لا ينكر أسبقية اللغات السامية وتفاعلها بلغات تلك البلدان، فإنّ العربية كانت أكثر اللغات السامية تفاعلاً مع لغات تلك البلدان، ويظهر ذلك جلياً في بقاياها في لغات إفريقية عديدة مثل الصومالية، والهوسا، والفولاني، والبانتو، والتجرينية، والعفرية، والأمهرية، والأورومية، وسواها من اللغات الإفريقية المقدّرة عند علماء اللغة ما بين سبعمائة إلى ألف لغة محلية[10].

ومِمَا يَذْكُرهُ المحقّقون أن لغة البانتو تُعدّ اللغة الأمّ التي يُشْتَقّ منها عدد كبير من اللغات الإفريقية الأخرى، غير أن العرب خلال قدومهم إلى مناطق الساحل الشرقي الإفريقي لم يكونوا على علم بلغة البانتو، كما أن السكان الأصليين من قبائل البانتو لم يكونوا يعلمون شيئا عن اللغة العربية "وكان لابدّ من وجود لغة للتواصل والتفاهم بين العرب وأبناء قبائل البانتو، ومن ثم بدأت اللغة السواحلية بمفرداتها البانتوية والعربية تأخذ قالبا خاصاً حاملاً سمات وأصوات اللغة البانتوية والحرف العربي"[11].

ويذهب الدارسون إلى أنّ تأثير اللغة العربية في اللغة السواحلية في المجال الاقتصادي يكمن في أنّ جلّ العرب الذين كانوا يجوبون هذا الساحل الشرقي من إفريقيا هم من صنف التجار، ومما جعل جملة من

الكلمات العربية ترسَخُ في هذه اللغة الإفريقية المزيج، بل تعدّى هذا التأثير السواحيلية ليثرى لغات إفريقية أخرى، وربما كان هذا أحد العوامل التي ساعدت على ترجمة معاني القرآن الكريم إلى هذه اللغات مثل السواحلية نفسها، فضلا عن خمس لغات أخرى (الهاوسا، الزولو، الأفريكان، موريثوبوس، الكريول (في جزر موريس). بأكثر من لغة، و"الصبير" عبارة عن أنظمة لسانية مُنَقّصة إلى بعض الضوابط في التركيب وإلى مفردات لحقل معجمي محدّد، إنّها لغات متعدّدة العناصر تولد من اتصال تجمّعين أو العديد من التجمّعات اللسانية المختلفة التي ليس لها أيّ إمكان آخر للتفاهم، ولاسيما في المعاملات التجارية "الصبيرات" (أو اللغات المزيج) لغات تكميلية ذات بنية نحوية مميّزة تمييزاً سيّئاً، وذات حقل معجمي فقير محدّد بالاحتياجات التي من أجلها نشأ، وبما يضمن به بقاءه، وهذه الصبيرات التي تتحالف برطانات des pidgins وأنظمة ثانوية مستوفاة، ومن لغات مزيج (Sabir)، (Pidgin>)، (<Gréoles>)،... تنشأ كالصبيرات أو الرطانات، صارت لغات أمومية للتجمعات الثقافية [12].

وبناء على ما ألمح إليه أعلاه، فلم يكن بدعا أن تنشأ لغة تفاهم عرفت باللغة السواحلية "وهي خليط من كلمات وعبارات عربية وفارسية وهندية، وكلمات وعبارات من لغات الساحل ولهجاته، وكانت مدينة ممبسة بجريرة لاموِمَهْدِ هذهِ اللغةِ الجديدةِ، ومنها سارت إلى زنجبار، وعبرت إلى الساحل المقابل لهذه الجزر، فانتشرت في ساحل كينيا وتنجانيقا، وصعدت إلى جنوب الصومال، وهبطت إلى موزمبيق، ووصلت إلى جزائر القمر ومدغشقر، ولم تقنع اللغة السواحلية بالساحل الشرقي لإفريقيا، بل قفزت إلى الداخل، فوصلت إلى الكونغو، وحملها الملاحون والتجار إلى مناطق غير إفريقية مثل عدن والساحل الجنوبي لبلاد العرب حتى الخليج العربي والمحيط الهندي[13].

ولم تقتصر اللغة السواحلية على ما دخلها من عناصر لغوية وثقافية وحضارية عربية فحسب، بل أخذت لاحقا مجموعة كبيرة من الكلمات الدخيلة الأخرى، وخاصة بعد ظهور الاستعمار البرتغالي منذ القرن السادس عشر وورديفه الاستعمار الإنجليزي، ولعل التاريخ اللساني لهذه اللغة المزيج سهّل عليها التعاطي والتلاقح بما تعانقت به من لغات واردة، ومن فصائل لغوية متباينة، حيث فتحت قاموسها لكل ما يجعل التواصل ممكناً بين طوائف ذلك الساحل الإفريقي مهما كانت جنسياتهم ولهجاتهم متباينة.

لكن اللغة السواحلية التي نشأت كلغة مزيج من لغات شتى محلية وإقليمية وأجنبية لم تبق مجرد لغة هجين مشكّلة من رطانات مختلفة للتواصل التجاري والتعبير بها عن أغراض سريعة وضيّقة، بل اتسع نطاقها لتصبح "لغة متداولة في مختلف شؤون الحياة بالبلاد الواقعة على ساحل إفريقيا الشرقي وبالجزر المقابلة لهذا "الساحل"، ومن ثمَّ أصبحت ضرورية للسائحين والدعاة و"المبشرين"، وهذا فتح الطريق لهذه اللغة لتترقى وتزدهر، فظهرت لها آداب رفيعة، وترجمت لها أكثر الكتب المقدسة، ودوّنت بها معارف واسعة وكتب مهمة"[14].

وإذا ذهب بنا القول والاعتقاد إلى اعتبار اللغة السواحلية المتأخرة في إفريقيا الشرقية مجرد هجين، فمن الأولى أن نعتبر بعض اللغات البلقانية والآسيوية والأوروبية كذلك ،"إذ تبيّن أنّ 430 كلمة فقط من بين 5140 كلمة هي كلمات مشتقة من الوعاء الأصيل للغة، أما الكلمات الباقية فكلها كلمات دخيلة مقتبسة من لغات أخرى، واقتبست اللغة الكورية ما يقرب من 75 في المائة من مفرداتها من اللغة الصينية، واقتبست اللغة الإنجليزية الحديثة ما بين 55 و75 في المائة من مجموع مفرداتها من اللغتين الفرنسية واللاتينية وغيرهما من اللغات الرومانية[15].

والشيء نفسه يكاد ينطبق على اللغة السواحلية التي تكوّن العربية أكثر من ثمانين في المائة من مفرداتها[16]، لكن هذه النسبة العظمى هي التي عجّلت ببلورة السواحلية كشبه لغة عامة رضيت بها كل شعوب إفريقية الشرقية، ولكن هذه اللغة سرعان ما حاربها الداعون إلى التنصير للحيلولة دون تأثير الإسلام على مسلمي أوغندة، بل حُظر استخدامها كأداة للتعليم في مدارس أوغندة، وقد عبّر المطران الأنغليكاني في أوغندة عن ذلك بوضوح "السواحلية قريبة من المحمدية بحيث لا يمكن الترحيب بها في المدارس الأوغندية"[17]. وهو لا يقصد بالمحمدية هنا إلا اللغة العربية، وهذا يؤكّد نسبة العربية، المشار إليها آنفا في هذه اللغة، حتى أصبحت في نظر من حظروها في أوغندا لا فرق بينها وبين وعائها الرديف المتمثل في أكثر من ثمانين في المائة.

غير أن الروابط التاريخية والاجتماعية كانت عملت عملها، فالساحل الشرقي من هذه القارة سبق أن عمّره عرب من حضرميين وسواحليين على مدى قرون خلت، وهناك "حقيقة تاريخية، وهي أن أول مجموعة متعلمة في شرق إفريقية (باستثناء المقيمين من العرب والهنود الإيرانيين) كانت من السواحليين، فقد شكّل هؤلاء أول نخبة إفريقية مسلمة، ومع التوسع الكبير للإسلام في الساحل خلال القرنيين التاسع والرابع عشر الماضيين، طوّر السواحليون، بل والأجانب كذلك، معرفتهم بحيث بدؤوا ينتجون أدباً إسلامياً مكتوباً ومحلياً شفهياً باللغة السواحلية مستخدمين الحروف العربية [18].

ولسنا نعجب كثيراً من الثروة اللغوية العربية الكامنة في أحشاء اللغة السواحلية، حين نعلم أن الروابط التجارية والاجتماعية بين الفريقين قد ترجع إلى القرن الثاني الميلادي، لأنه في هذه الفترة شرع العرب الجنوبيون الغربيون يوسّعون علاقاتهم التجارية نحو الساحل الشرقي

لإفريقيا الذي أطلق عليه ذات يوم اليونانيون والرومان "أزانيا"، لأن هذا الساحل يشمل كذلك الشاطئ الغربي للمحيط الهندي.

وما من شك في أنّ هذه الشعوب كانت تتكلم لغة إفريقية بالأصالة، هي لغة البانتو bantou، لكن هذه اللغة الإفريقية الواسعة الانتشار لم تَحُلْ دون التغلغل الثقافي المتبادل بين العرب المحاذين لهذا الساحل وسكّانه ولعل شهادة بيريبلوس في القرن الأول الميلادي القائل "يرسل سكان موزا (في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية) للعديد من السفن الكبيرة إلى هنا، وعليها قباطنة ووكلاء عرب متكافئون مع السكان المحلّيين، ويتزوجون فيما بينهم، وهم يعرفون الساحل ويفهمون لغاته"[19] تدعم ما أومأنا إليه أعلاه، وإذا ضمن هذا الخليط الاجتماعي المنحدر من آباء وأمهات مختلفي الأعراق واللغات تكون هذا الجيل السواحلي الجديد الذي ظل متمسّكا بلغته المحلية رغم ما دخلها من كلمات عربية كثيرة .

إحالات البحث

1 - وقفت على هذا في مجلة "المجمع العلمي العربي"، ج:3، مجلد: 40، سنة 1965، ص692-691.

2 - أنظر مثلا:

Comprendre la linguistique, p :4, sous la direction du Bernard Pottier Marabout verviers, 1975.

3 - يراجع مجلة "المجتمع العلمي العربي"، أعلاه، ص: 693.

4 - بهذا الصدد، يراجع "الموسوعة العربية العالمية: إفريقيا".

5 - يُنْصَح بمراجعة المصدر السابق.

6 - اعتمدنا في أخذ حقائق وأرقام بشكل خاص، على "الموسوعة العربية العالمية: إفريقيا".

7 - Encyclopédie universalise, 2004.

8 - المصدر السابق.

9 - يراجع: مواقع موسوعية عربية مختلفة، والموضوع من إعداد: مها عبد المجيد.

10 - ينصح بالرجوع إل المصدر أعلاه.

11 - المصدر نفسه.

12 - Dictionnaire de linguistique, p : 425. Jean Dubois, Librairie, Hachette, Paris.

13 - د. أحمد شلبي ، منبر الإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، العدد: 11، سنة 1972، ص 41.

14 - نفسه، ص: 41.

15 - الأصوات والإشارات، ص: 92.

16 - حامد المرسي الدين ومحمد حسن أبو حطب، منبر الإسلام، العدد: 03 سنة 1971، ص 203.

17 - عيسى ك.ك. لوكواغو، الثقافة الإسلامية ضمن إطار السيطرة المسيحية مثال أوغندة، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 30-28 يوليو 1983، ص 89.

18 - المصدر السابق، ص: 263.

19 - أ. شريف، حضارة ساحل شرق إفريقية السواحلية حتى القرن الخامس عشر، المصدر أعلاه، ص: 287.

التواصل في أبـحاث أمبرتو إيـكو *

د/محمد بلقاسم و أ/حياة لصحف) ج.تلمسان)

لقد ولَّد الاهتمام بالاتصال رمزا وإشارة ونطقا وكتابة ...الخ علما يدرس أشكاله المختلفة وهو "علم التواصل" أو "علم الاتصال" الذي قال عنه "هوغ Hogue": "يشكل جزءا من ديكور الإنسان الذي عرف تطورات مع مرور الزمن"[1]. ومن هنا بات من الضروري دراسة قضاياه دراسة علمية، من أجل الإفادة منها في حل الإشكاليات التي تطرح في مجاله. ونظرا لهذه الأهمية فقد شغل موضوع "التواصل" معظم العلماء والباحثين المختصين في مختلف فروع المعرفة الإنسانية، وقد سلطت الضوء في هذا المبحث على أمبرتو إيكو (Umberto Ecco) كمنظر سيميائي إيطالي وقد تشجعت في خلق هذه الإشكالية أي التواصل في أبحاث إيكو، لاشتغاله على عدة أنساق دالة كالنصوص الجمالية اللغة والإشهار والصورة والسينما والموضة والفولكلور والتاريخ والفلسفة وفلسفة اللغة ثم الرواية وكتابة الرحلات[2].

فإذن يُعدّ إيكو الأب الفعلي للنظرية التأويلية النقدية* الباحثة عن علاقة التأويل النصي بالثقافة والتواصل. وقد أعطى التواصل من الناحية الدلالية بعدا موسوعيا للسان/ النص. المتلقي، وهبط بالثقافة من عليائها المتعالي وأطعمها بأدوات الواقع المحض. فكان مغامرا في المعرفة ، أراد إيجاد منزلة بين المنزلتين فأقام تركيبا كيميائيا معقدا جدا[3].

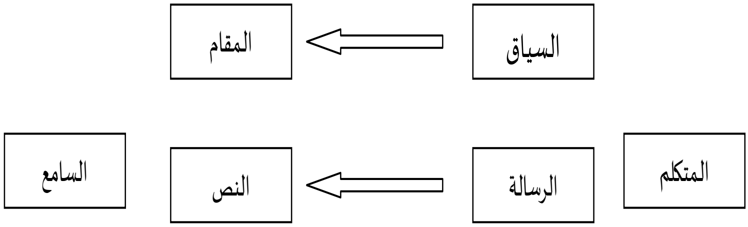
ولا بد من الإشارة إلى نقطة مهمة، كان قد أشار إليها مصطفى ناصيف في كتابه **"اللغة والتفسير والتواصل"**[4]وهي ضرورة استبعاد الفهم التام عن الافتراضات التواصلية مقارنة بتعدد الخطابات التي تتطلب دراسة بتقنياتها وأنظمة تعبيراتها لذا يجب قراءة الملاحظات الخاصة بالمعنى واللغة والتواصل، فالبلاغة مثلا تهتم بالشكل وبالمعنى في حين أن التداولية تدرس استعمال الشكل وتودُّ الوصول إلى المعنى.

1- مقولات تنشيط القراءة عند إيكو:

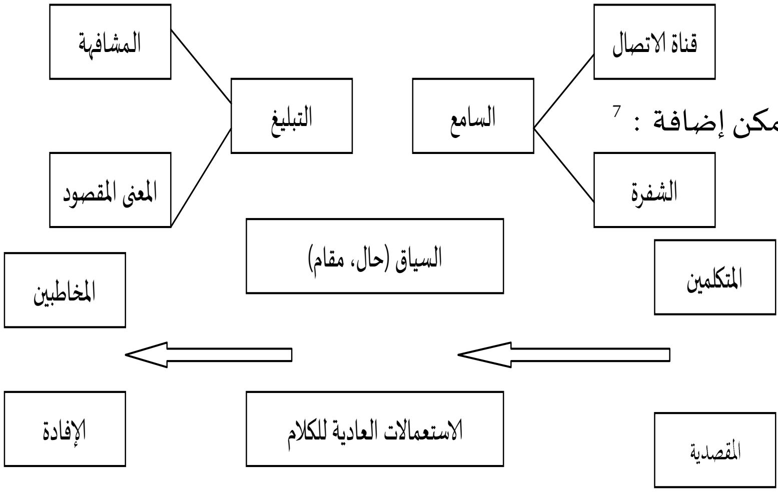
وإيكو يتعامل مع النص على أنه آلة كسولة ترغب في"قارئ نموذجي"يعمل على التنشيط والتوليد والتأويل كما فعل الكاتب في البناء والتكوين، وقد طرح ميكانيزمات القراءة من خلال تحديد المقولات الثلاث العاملة على تنشيط القراءة وهي: الموسوعة، الوقع المفترض، والعالم الممكن[5].

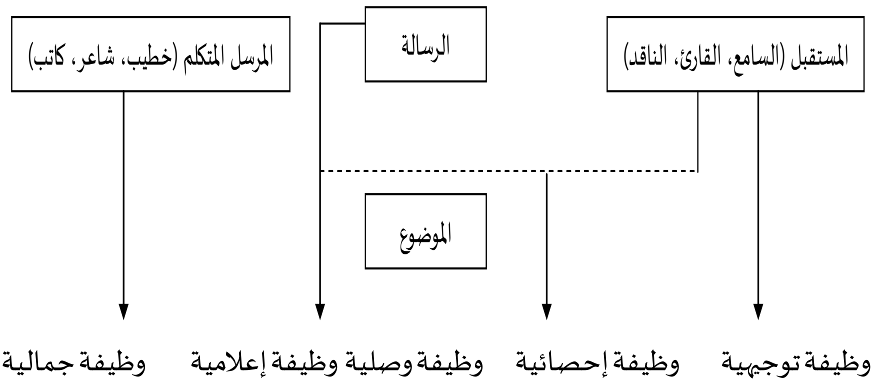
وسأحاول في هذا المبحث تبيان كيفية تحقيق هذه المقولات الثلاث لقراءة نشيطة تساهم في خلق تواصل فعلي بناء ومثمر.

- مخطط جاكوبسون[6] (Jakobson) للتواصل: (أ)



ويمكن إضافة :[7]





ولنفترض أن المخططات الثلاثة (أ)، (ب)، (ج) (الباحثة في العملية التواصلية بلاغيا وتداولا أي تداوليا) تمثل الأركان الأمثل والنموذج المقاس عليه في العملية التواصلية، أو بعبارة أخرى لنقل أن هذه المخططات هي القاعدة الأساسية للتواصل التي سنرى مدى توافق آراء ومقترحات إيكو معها وبالتالي سنجيب عن إشكالية مهمة وهي: هل يوجد تواصل صريح أو ضمني أو دعوات إليه في أبحاث **إيكو**؟

والجواب[9]: بالتأكيد إيجابا، فالموسوعة هي رصيد لغوي وثقافي ضارب في سياق اجتماعي، والموقع المفترض أو الموضعية يمثل أداة ميتا-نصية تداولية ومنطقية، ثم العالم الممكن والذي يبني سلسلة من المرجعيات الممكنة وتعد من آليات القراءة القائمة على ثلاثة مستويات:

بما هو أداة ضرورية للقارئ الكفء.

باعتباره مسجلا في النص.

بتوجيه السلوك المقترح (Propositionnel) لكائنات النص ومكوناته.

يعتبر **"أمبرتو إيكو"** العمل الفني رسالة غامضة، أي أنه كثافة من المدلولات المتواجدة في دال واحد. وهذه المسلمة عن الأثر المفتوح انطلق منها في كتابه "الأثر المفتوح" وهو عبارة عن توسيع نظري لمداخلة بعنوان: "إشكالية الأثر المفتوح" قام بطرحها سنة 1958 في الملتقى الدولي للفلسفة.

يفهم إيكو الأثر على أنه انفتاح تأويلي قائم على دورة التواصل بين الكاتب والمتلقي (Récepteur) بحيث لا يرى في عمل الفنان أو الأديب المنتجين للجمال إلا مشروعا من خلال رسالة تحمل موضوعا بغرض التوصيل والإقناع.

ولعل الخلفيات المعرفية والمرجعية المحورية في كتاب الأثر المفتوح، هي نظرية التواصل والإخبار المستمدة من حقل السبرانيات (La cybernétique) والتواصل الذي يشمل الإخبار، ولكن لا يستطيع استنفاده، فكل إخبار عبارة عن تواصل، ولكن ليس كل تواصل عبارة عن إخبار؛ لأن الكثير من الرسائل لا تحتوي على عنصر الجدة، مما يجعلها مرات عديمة المعنى: فأن أقول مثلا "إن باريس هي عاصمة فرنسا والجزائر هي عاصمة الجزائر"، فإنني لا أضيف للمستمع شيئا جديدا، لهذا لا مناص أن ينجر عن ذلك غموض ما بل انعدام في الدلالة[10].

يعد هذا الأمر بداهة عند علماء الاتصال والسيميولوجيا، لهذا يعرفه سيميولوجي صديق لإيكو "كليكينبرغ"، كما يلي: "تحتمل كلمة اخبرا معنى محددا في نظرية الإخبار، أن الإخبار هو ما كان جديدا ومباغتا: لأن أية إجابة لا تحتوي على عنصر المباغتة فهي لا تحتوي البتة على عنصر الإخبار"[11].

ولم يهتم إيكو بمعطيات نظرية التواصل هذه في مقارباتها للكلام العادي والطبيعي، بل حاول أن يحدد جدلية الإخبار والتواصل في النصوص الجمالية سيما المفتوحة. إن الرسائل الجمالية لا تولد غموضا من النوع التواصلي المباشر، الذي لا يضيف للدلالة شيئا جديدا، بل على العكس من ذلك، يلحظ إيكو، بأن الرسائل الجمالية مليئة بعنصر الإخبار، لأن الغائية المرتجاة من كتابتها تكمن في اختراق الشفرات السائدة والأنساق المرجعية الجاهزة. وكلما كانت العناصر الإخبارية ذات كثافة كلما كان الغموض غائما، وكلما كانت العناصر الإخبارية ضئيلة كلما كانت درجة الغموض سطحية نوعا ما.

ولنأخذ على سبيل المثال مقتطفا من ثلاثية أحلام مستغانمي[12]، جاء فيه: "...ماذا تراها تخبئ في حقائبها الثقيلة، وكتبها السميكة؟ أنيقة حقائبها، سوداء دائما، كثيرة الجيوب السرية، كرواية نسائية مرتبة بنية تضليلية كحقيبة امرأة تريد إقناعك أنها لا تخفي شيئا ولكنها سريعة الانفتاح كحقائب البؤساء المغتربين ..أكلُّ كاتب غريب به قفل، غيرمحكم الإغلاق، لحقيبة أتعبها الترحال لا يدري صاحبها متى ولا في أي محطة من العمر يتدفق محتواها أمام الغرباء فيتدافعون لمساعدته على لملمة الأشياء المبعثرة أمامهم لمزيد من التلصص عليه؟ وغالبا ما يُفاجئون بحاجاتهم مخبأة مع أشيائه ... الروائي سارق بامتياز سارق محترم لا يمكن لأحد أن يثبت أنه سطا على تفاصيل حياته وأحلامه السرية ومن هنا فضولنا أمام كتاباته كفضولنا أمام حقائب الغرباء المفتوحة على السجاد الكهربائي للأمتعة ... أكان ذلك الكتاب هدية القدر؟ أم رصاصته الأخرى؟ أكان حدثا أم حادثا آخر في حياتي؟ ربما كان الاثنان معا ..."[13].

ويعتقد إيكو بأن الاستعمال الذي يوليه البشر للأدلة السيميائية، تتوارى خلفه إرادة عظيمة لتبادل ونقل المعلومات، فالمتكلم يروم أن يقر أو يتحدث شيئا لا يعرفه الآخرون، لهذا فهو يتموقع في سيرورة تواصلية من نوع[14]:

منبع – باث – قناة – رسالة – شفرة - مستقبل

ولنطبق مثلا الحكمة التالية:

"La vie ressemble à un conte; ce qui importe ce n'est pas sa longueur mais sa valeur".

منبع: الثقافة الغربية.

الباث: Sénèque.

قناة: Langue/ parole.

رسالة: " La vie ... sa valeur"

شفرة: *Un conte*

مستقبل: Lecture

لا تخالف هذه الخطاطة الآراء المعروفة في نظريات التواصل، لهذا من الممكن أن نجدها في معظم الخطابات التواصلية مهما تعددت وتنوعت. وقد لاحظ أمبرتو إيكو بأن الرسائل الجمالية خاصة الراديكالية منها، محاولة مؤلفيها مسف الشفرات المساعدة على ضمان العملية التواصلية واشتغالها. وعن هذا يعبر في كتابه (الدليل): "من الأجدر أن نختزل السيرورة التواصلية التي تنعدم فيها الشفرة، أي تنعدم فيها الدلالة، إلى سيرورة أخرى من نوع محفز- استجابة"[15].

لا يقصد **إيكو** من استثماره لهذا **المبدأ البافلوفي** أن الرسائل الجمالية تنحصر وظيفتها في عملية تشريط سطحية تنعدم فيها الدلالة، فالأديب مهما بلغت تغميضاته درجة قصية من الإبهام السديمي، فإنه يحاول، ولو لا شعوريا أن يتفاعل تفاعلا تواصليا من نوع خاص مع متلقيه. فقولي الحكمة التالية **"آفة العلم النسيان"** والتي قابلها في اللغة الأجنبية "Le fléau de la science c'est remèdes l'oublie" قد تبدو غامضة للوهلة الأولى ولكن وبعد فك رموزها وشفراتها تخلق تواصلا مع المتلقي. ولهذا يمكن أن نعتبر السيرورة محفز – استجابة بعدا واحدا فقط من أبعاد التجربة الجمالية. ولا نخرج قيمة الانفتاح من أن تكون وتعرف حسب **إيكو** تتكاثر وتتعدّد من المعاني المحتلمة في رسالة ما ... أي كتكاثر إخباري[16].

إن النموذج التواصلي الذي اعتمده إيكو كان نموذجا تقريبيا استشكافيا، فإيكو على علم تام بأن هذا النموذج لا يخلو من نقائص وثغرات معرفية، فالوصف السيميائي[17] لا يمكن أن يتوقف عند دراسة الوظائف التواصلية، بل عليه أن يدرس قائمة الأدلة واشتغالات الأنظمة[18].

فالخطاطة التواصلية تسمح فقط بالتعرف على الوظائف وليس على الأشكال، أي معناه أنه يمكن لوظيفة واحدة أن تجسد بواسطة أشكال مختلفة، كما يمكن لشكل واحد أن يحف بوظائف متباينة[19].

ينطلق **إيكو** من فرضية **[المواضعة الثقافية]** حيث يقول: "ترمي إحدى الفرضيات التي تقوم علها السيميائية حاليا، إلى أن كل سيرورة من الواصل تتبنى قواعد وشفرات تتعكز على مواضعات ثقافية، فلو انتابنا شك ما بأن الأدلة تنتج بطريقة حدسية، ومشاركات عفوية واتصالات روحية صرف، خارج كل وساطة اجتماعية، فإننا نقر بأن السيميائية لا وجود لها"[20].

- 2 - الأنظمة السيميائية عند إيكو (التقسيم المنهجي):

الأنظمة السيميوحيوانية: العناصر التواصلية عند الحيوان، تتبع السلوكات البيولوجية أثناء عملية التواصل ...

الأنظمة الشمية: شفرة العطور، الأمارات، indices

التواصل اللمسي: يعد من مجال البسيكولوجيا (Psychologie) ساهمت في تطوير التواصل بين العميان، تشمل السلوكات الاجتماعية مثل: القبل، الصفع، الضرب على الكتف ...

- **شفرات ذوقية:** الانتروبولوجيا (كلود ليفي شتروس)، مجالات الطبخ ..

- **أنظمة لسانية حافية:** التواصل اللساني، دراسة الكفائية الداعمة، دراسة الصوت ..

- **السيميائيات الطبية**: الأعراض المرضية كأمارات الأمارة (بيرس).

- **الأنظمة الحركية:** الانتروبولوجيا الثقافية، شفرة ثقافية ...

- **الشفرات الموسيقية:** وصف الحقل التواصلي للموسيقى كنسق مبين بصرامة.

- **الطبقات الصورية**: الميتاسيميائيات، البديل لنظرية المعرفة على رأي جوليا كريستيفا.

- **اللغات المكتوبة والشفرات الملغزة:** الغراماتولوجيا، الحفريات ..

- **اللغات الطبيعية:** ميدان اللسانيات العامة ودراسة اللسان بوصف مستوياته.

- **التواصل البشري:** أم الفروع السيميائية، السينما (كريستيان ميتز)، فلسفة الصورة (ريجس دوبري) ...

- **نظام الأشياء:** رؤية الأشياء كحوادث تواصلية من الهندسة إلى الأشياء عموما.

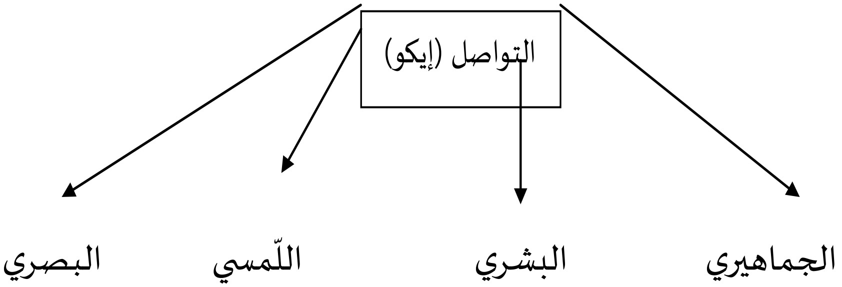
- **بنى الحكي:** معرفة أنظمة السرد داخل الأنظمة/ الخطابات الحكائية: بحوث بروب، جريماس، بريمون، تودوروف، جينيت...

- **شفرات ثقافية:** تتبع الظواهر الثقافية ...

- **شفرات ورسائل جمالية:** لا تسمح كل شفرة إلا بالاستعمال الجمالي لأدلتها الخاصة ...

- **التواصل الجماهيري:** الاهتمام بالرواية البوليسية، الثقافة التلفزيونية، نظام الموضة ...

- **الأنظمة البلاغية:** البحث عن أنساق للتحكم في الإقناع، الحجاج، المحادثة ..



يُعَدّ إيكو واحدا من الباحثين الذين دعوا إلى تطوير الدراسات اللغوية بدراسة استعمالها في التواصل في إطاره الاجتماعي وكان من المشاركين في دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب اللغوي وتحليله وتأويله وتبيان مقاصده وكذا معرفة أنواع السياقات وإدراك مدى تأثيرها على توليد الخطاب[21].

ولعل الاتجاه التواصلي تجسد في عدة مناهج، حيث كونت لنا **إيكو التداولي[22] وإيكو النحوي (النحو الوظيفي)، وعالم اللسانيات الاجتماعية[23]، فإيكو محلل الخطاب[24].**

وعلى الرغم من تعدد هذه الدراسات، وخصوصية كل منها في ارتكازها على جوانب مختلفة إلا أنها خليط في قالب واحد هو التواصل، لذا حاول إيكو مع غيره تحديد هذا العقل ومعرفة كيفية حدوثه واستراتيجيات المرسِل انطلاقا من مبدأ اجتماعية النشاط التواصلي ونظام مقتضيات اللغة المستعملة فيه ومن أهم خصائصه المؤثرة:

- الاشتراك في العلاقة والمكان والزمان والمعتقدات والهدف الذي يبني الخطاب.

- يجوز التواصل باللغة، كما يجوز بالعلامات والإشارات والرموز (أي سيميائيا).
- التواصل فعل تخطيطي محكم ذو مقاصد أهمها: التبليغ والإقناع.
- يعمل التواصل على احترام العرف الاجتماعي وان اختلف من شخص لآخر[25].

ومن أهم ميزات هذا الاتجاه هو اتجاه توظيف اللغة الطبيعية ومراعاة قواعدها ومستوياتها التركيبية والدلالية والصوتية وبالتالي تحقيق مقاصد التواصل وتأويل الخطاب، في حين تميزت الدراسات ذات الإطار العام للتواصل بأنها لسانية مرنة وهنا يتجلى الفرق بين الاتجاهين، كون المنهج الأول بشقيه غير معتد بما هو خارج نظام اللغة أو بما يحيط بها، كما لا يعترف بقدرتها التأثيرية في بنيتها الداخلية، بينما الاتجاه الآخر يحفل ويحتفي بسياق الإنتاج وأثره في بينة الخطاب[26].

الهوامش

1 - يُنظر: محمد مزيان، "مدخل إلى نظريات الاتصال المعاصرة"، منشورات دار لالة سكينة، الجزائر، ط1، ص: 11.

2 - يُرجع إلى: "حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي"، منشورات الاختلاف، ط1، 2008، ص: 12.

* - نظرية التعضيد التأويلي.

3 - المرجع نفسه، ص: 127 – 129.

4 - سلسلة عالم المعرفة،الكويت،العدد:193،يناير،1995.

5 - محمد خرماش، "فعل القراءة وإشكالية التلقي"، مجلة علامات، العدد 10، 1998. بتصرف.

6 - قضايا المصطلح الأدبي، مجلة فصول، مجلد 7، العددان: 3 و4، أبريل-سبتمبر 1987، ص: 27. وأنظر أيضا مجلة دراسات، الجزائر، العدد 1، ماي، 2008، جمادى الأول 1429 هـ، ص: 56 – 57.

7 - أنظر لمزيد من الشرح: خولة طالب الإبراهيمي، "مبادئ اللسانيات"، دار القصبة للنشر والتوزيع، 2000، ص: 156.

8 - تمام حسان، "الأصول: دراسة ابستمولوجية لفصول الفكر العربي"، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1997، ص: 387.

9 - مجلة علامات، العدد 10، 1998، محمد خرماش، "فعل القراءة واشكالية التلقي"، بتصرف. أنظر خاصة:

A- La recherche la structure absente, Introduction sémiotique, Paris, 1972.

B- Lector i, fabula ou la coopération interprétative dans les textes narrative, Paris, Grasset, 1985.

10 - وحيد بن بوعزيز، "حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي"، منشورات الاختلاف، ط1، 1429 هـ، 2008 م.

11- Jan Marie Klinkemberg, Précis de sémiotique générale, édition de boeck, université, Seuils, Paris, 1996, p: 73.

12 - روائية جزائرية، عابر سرير.

13 - أحلام مستغانمي، عابر سرير.

14 - وحيد بن بوعزيز، "حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي".

15- Voir: Umberto Uco, Le signe, traduit par: Jean- Marie Klinkemberg, édition, Labor, Bruxelles, 1988, p: 29.

16- Umberto Eco, L'ouvre ouverte, p: 62.

17 - قول جون ماري كليكنبرغ.

18 - وحيد بن بوعزيز، "حدود التأويل: قراءة في مشروع أمبرتو إيكو النقدي". ص: 29.

19 - Jan Marie Klinkemberg, Précis de sémiotique générale, p: 63.

20 - Umberto Eco, La structure absente: introduction à la recherche sémiotique, traduit par: Ucio Esposito Torrigiani, édition Mercure de France, paris, 1972, p p: 13-14.

21 - عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، 2004، ص: 09.

22 - وتمثل بعض مراجع هذا البحث نماذج للدراسات التداولية.

23 - يُنظر: هدسون، "علم اللغة الاجتماعي"، ترجمة: محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1990.

24 - Deborah Schiffrih: Discourse markers, Cambridge University press, 1987, pp: 6-30.

25 -ج.ب.براون وج.يول، "تحليل الخطاب"، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، 1418 هـ، 1997 م، مقدمة المؤلفين.

26 - B.J.Haslett, Communcation; strategies action in context, LEA, New Jersey, 1987, p: 74.

27 - تحدث عدد من الباحثين عن الفروق بين الاتجاهين، والمقارنة بينهما صعبة على رأي البعض.

إعلان عن جائزة اللغة العربية 2016

يعلن المجلس الأعلى للغة العربية عن تنظيم "جائزة المجلس للغة العربية لسنة 2016"، التي تهدف إلى تشجيع الباحثين من داخل الوطن، وتثمين منجزاتهم العلمية والمعرفية، ذات المردود النوعي الهادف إلى إثراء اللغة العربية، والإسهام في نشرها وترقيتها، سواء أكانت هذه الأعمال مؤلفة باللغة العربية، أم مترجمة إليها،

1. شروط الترشح للجائزة:

- أن يقدم العمل باللغة العربية؛

- أن يتوفر العمل على قواعد المنهجية العلمية؛

- أن يكون البحث موثقا وأصيلا، ولم يسبق نشره، وفي مجال الترجمة ترفق نسخة للنص بلغته الأصلية؛

- أن يكون البحث المقدم بين مائة(100) صفحة و خمسمائة(500) صفحة(مكتوبة بخط simplified arabic حجم 14)

- أن لا يكون البحث قد نال به صاحبه جائزة أو شهادة علمية؛

- أن يندرج البحث في أحد المجالات المذكورة أدناه.

- قرارات لجنة التحكيم غير قابلة للطعن؛

- لا ترد الأعمال إلى أصحابها سواء فازت أم لم تفز.

2 مبلغ الجائزة:

حدد مبلغ الجائزة بـ 2.000.000 دج، يوزع بمقدار500.000 دج لكل مجال من المجالات الأربعة التالية:

2 - 1 - جائزة المجلس في علوم اللسان.

-2 2 - جائزة المجلس في الترجمة إلى العربية.

2 - 3 - جائزة المجلس في العلوم والتكنولوجيات الحديثة.

2 - 4 - جائزة المجلس في أحسن عمل ميداني لتعريب الإدارة والمحيط.

يوزع المبلغ المالي في كل مجال من مجالات جائزة المجلس للغة العربية على النحو التالي:

- 50 % للفائز الأول أي 250.000 دج؛

- 30 % للفائز الثاني أي 150.000 دج ؛

- 20 % للفائز بالجائزة التشجيعية أي 100.000 دج في حالة وجود عمل تتوفر فيه الشروط العلمية للبحث المشار إليها أعلاه، وبتوصية من اللجنة.

- يمكن أن يتكفل المجلس بنشر الأعمال الفائزة باستثناء الجائزة التشجيعية التي تحال على هيئتي تحرير مجلتي: اللغة العربية و مجلة معالم للترجمة للتداول بشأن إمكانية نشرها في عدد من أعدادهما.

- تصبح الأعمال الفائزة بجائزة المجلس ملكا له، إلا أنه يمكن لمؤلفها استعادة حقوقه بعد موافقة المجلس، وبعد انقضاء مدة ثلاث سنوات -على الأقل- من نشر العمل في طبعته الأولى؛

- تعرض الأعمال المرشحة على لجنة تحكيم مكونة من ذوي الاختصاص الذين لا يسمح لهم بالمشاركة في الجائزة.

3. طلب الترشح:

يتكون طلب الترشح للجائزة من الوثائق الآتية :

- طلب خطي؛

- نسخة من وثيقة الهوية (بطاقة التعريف أورخصة السياقة)؛

- السيرة العلمية للمشارك؛

- نسختين من البحث المقدم لنيل الجائزة :

- النسخة الأولى مسجلة على قرص والنسخة الثانية توجه عن طريق البريد المسجل، ويكون تاريخ الختم البريدي شاهدا على ذلك.

4. يفتح باب الترشح للجائزة ابتداء من نشر هذا الإعلان في وسائل الإعلام إلى غاية 31 ديسمبر 2015

للاستفسار الاتصال بالروابط: الهاتف: 09 07 23 / 021

البريد الإلكتروني:sg.hcla@gmail.com

5- يوجه ملف الترشح إلى العنوان الأتي :

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت، الجزائر

أو

ص.ب : **575** شارع ديدوش مراد الجزائر العاصمة

" جائزة المجلس للغة العربية **2016**"

طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
وحدة الرغاية - الجزائر-
2015
Achevé d'imprimer sur les presses
ENAG, Réghaïa
-Algérie-
Bp 75 Z.I. Réghaïa Tél: (023) 96 56 10 /11

اللُّغَةُ العَرَبِيَّةُ

مجلة نصف سنوية تعنى بالقضايا الثقافية والعلمية للغة العربية

تصدر عن المجلس الأعلى للغة العربية - الجزائر

اللغة العربية وعاء مستوعب لحياة الإنسان

يزعم جاحدون /أن اللغة العربية غير قادرة على استيعاب المخترعات الحديثة ومواجهتها بأسماء عربية، وهذا زعم باطل لا يلبث أن يتلاشى ويتبخر أمام الحقيقة التي لا تغرب عن أحد إلا إذا غربت عنه الشمس وهي في رابعة النهار، وهذه الحقيقة هي أن اللغة العربية قادرة على أن تكون وعاء لكل ما يحدث، وما يخترع على اختلاف أنواعه وأشكاله، وإنما الذي يجب أن ينسب إليه هذا العجز هو الإنسان الذي لا يملك أداتها ويحاول أن يعبر بها، ينسب العجز إلى المجامع العربية التي قصرت في واجبها، ولم يقف عند هذا الحد دعاة التغريب أو أعداء العربية، بل ذهبوا إلى أخطر من ذلك، فقالوا إن العربية بعيدة عن مجرى الحياة العملية، إنها في واد والحياة في واد آخر، مما جعل المتكلمين بها يلجأون إلى اللغات العامية يعبرون بها عن شؤون حياتهم، وإنما العربية - في نظر هؤلاء- لغة الخيال، ولغة الأحلام، لا تخدم شؤون الناس، ولا تهتم بمشكلاتهم وواقعهم المعيش، وهذه الدعوى باطلة أيضا لا نصيب لها من الصحة، فإن اللغة العربية كانت وما تزال مع الناس في أوضاعهم وأحوالهم، في آلامهم وآمالهم، في ظواهرهم وبواطنهم، تشهد بذلك دواوين الشعراء، وذخائر الكتب التي تزخر بها المكتبات العامة والخاصة في مختلف أرجاء العالم.

إلى أن يقول..... وهكذا فإذا عدت إلى مختلف العصور الإسلامية، واستعرضت ما كتبه الكتاب، والأدباء، والمفكرون، والفلاسفة، والمصلحون في كل عصر وجدته صورة لأحوال الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم.

فمحاولة التنقيص من شأن العربية -إذن- ليست إلا زعما باطلا، وفرية داحضة، فقد كانت وعاء لتفكير الأمة العربية في كافة عصورها، وكافة أقطارها، وكافة أوضاعها وظروفها، وحملت تراث الجاهليين، والإسلاميين، والعباسيين، والمحدثين، في كل قطر من أقطار الدنى. إذ يقول عنها حافظ إبراهيم:

أنا البحر في أحشائه الدر كامن   فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

× نص من كتاب/ العربية لغة العلم والحضارة للأستاذ محمد الصالح الصديق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2005 ص 101-100-99.